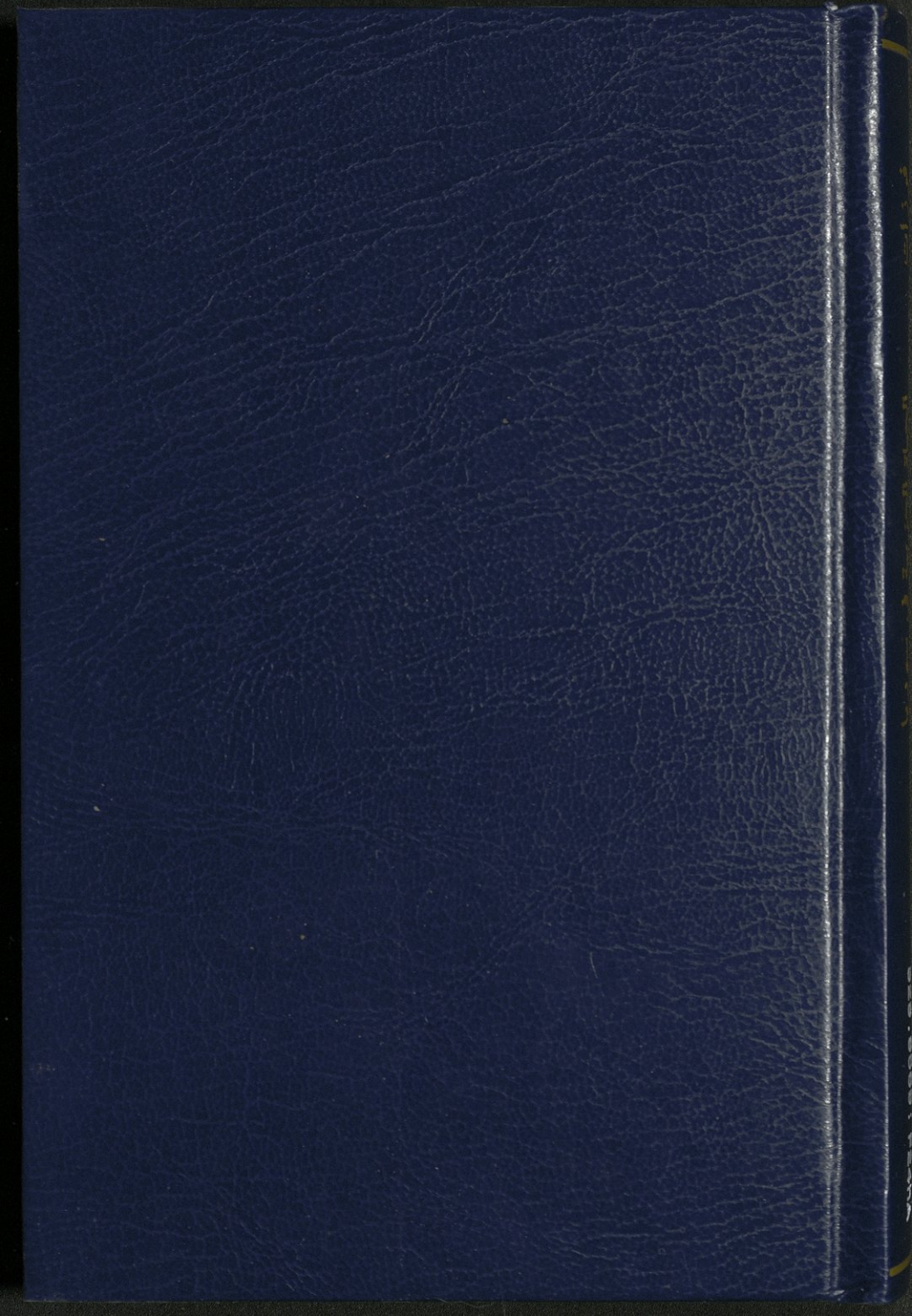
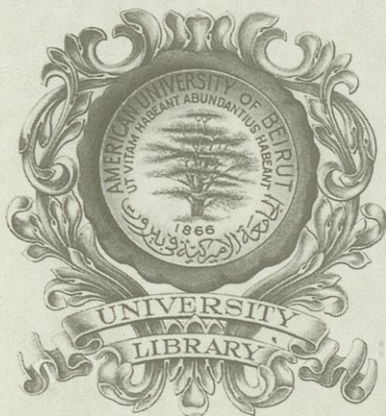




BEIRUT LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



SELB. LIBRARY

5

محمد عبد الفتاح

329.9569

F24hA

الحياة الخزبية في سوريا

دراسة تاريخية لنشوء الأحزاب السياسية وتطورها

بتين

١٩٥٥-١٩٠٨

نشرته دار الفكر



الطبعة الأولى

حزيران ١٩٥٥

جميع الحقوق محفوظة

(٩-٢٦) مفهوم الحزب السياسي ١٠ - المذاهب السياسية
الرئيسية وطرائقها الحزبية ١٣ - الصفات العامة للحياة
الحزبية في سورية ٢١ - طريقة البحث وهدفه .

الفصل الاول (٢٧-٤٨) الحياة الحزبية في سورية في العهد العثماني :

نشاط الاحزاب والجمعيات السياسية بين اعلان الدستور
والحرب العالمية الاولى : ٢٨ - جمعية الاخاء العربي العثماني
٢٩ - الكتلة البرلمانية العربية ٣٠ - المنتدى الأدبي
٣١ - حزب الامر كزية الادارية العثماني ٣٢ .

مؤتمر باريس العربي ١٩١٣ واهدافه : ٣٦

النشاط السياسي السري : جمعية العهد ٤٠ - الجمعية
العربية الثورية ٤٢ - الجمعية العربية الفتاة ٤٢
موقف الهيئات العربية في الحرب العالمية الاولى ٤٣
مميزات الحياة الحزبية في العهد العثماني ٤٦ .

الفصل الثاني (٤٩-٧٩) الحياة الحزبية في عهد الاستقلال الاول :

أهم الاحداث السياسية : اتفاق فيصل - وايزمن ٥٠ -
اللجنة الاميركية ومطالب البلاد ٥١ - بدء الاصطدام
بالفرنسيين ٥٣ - اتفاق فيصل كمنصو ٥٤ - اعلان
الاستقلال ٥٥ - الدستور ٥٨ - الاحزاب والملك ٥٨ -
الانذار ٥٩ .

الجمعيات والاحزاب : جمعية العربية الفتاة ٦١ - حزب

الاستقلال العربي ٦٤ - النادي العربي ٦٥ - حزب التقدم

٦٥ - جمعية العهد السوري ٦٩ - حزب الاتحاد السوري

٧٠ - اللجنة الوطنية العليا ٧٣ - الحزب الديمقراطي ٧٥

الحزب الوطني السوري ٧٦ - مميزات الاحزاب في العهد

الفصيلي ٧٨ .

الفصل الثالث (٨٠ - ٩١) النشاط الحزبي خارج سورية ٩٢٥-٩٢٥

التطورات السياسية ٨٠ -

النشاط الحزبي : حزب الاستقلال ٨٤ - حزب الاتحاد

السوري واللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني ٨٥

- مؤتمر جنيف ومقرراته ٨٦ - زيارة كراين وأول

مظاهرة وطنية ٨٨ - الحزب الحديدي ٩٠

الفصل الرابع (٩٢-١٠٧) الاحزاب في دور الثورة الوطنية ٩٢٥-٩٢٧

التطورات السياسية : قيام الثورة ٩٣ - دي جوفيل

وسياسة التفاهم ٩٤ - برنامج حكومة الداماد ٩٧ -

الميثاق الوطني ٩٩ - بونسو وظهور الكتلة الوطنية ١٠٠ .

الاحزاب في عهد الثورة : حزب الشعب ١٠١ - حزب

الوحدة ١٠٥ - اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني

١٠٥ - الكتلة الوطنية ١٠٦ .

الفصل الخامس (١٠٨-١٢١) الحياة الحزبية في فترة النضال الدستوري

٩٢٨ - ٩٣٢

الكتلة الوطنية والمجلس التأسيسي ١٠٩
موقف الأحزاب والهيئات الأخرى ١١٤
احقاق سياسة التعاون ١١٩

الفصل السادس (١٢٢-٢٠٤) الحياة الحزبية في دور المعاهدة ٩٣٢-٩٣٩

المرحلة الأولى ٩٣١ - ٩٣٦ : احزاب المجلس ١٢٣ -
رد مشروع معاهدة (١٩٣٣) ١٢٥ - السياسة السلبية
والميثاق الوطني ١٢٦ - مشروع معاهدة (١٩٣٦) ١٣٥ -
الجهة الوطنية المتحدة ١٣٦ - عصبة العمل القومي ١٣٨ -
الحزب السوري القومي ١٤١ .
المرحلة الثانية : الكتلة الوطنية في الحكم ١٦٣ - المقررات
الأولى للمجلس النيابي ١٦٦ - مقررات المجلس في كانون
الأول (١٩٣٨) ١٧٢ - موقف الكتلة الوطنية عام ٩٣٩
موقف الهيئة الشعبية ١٨٠ - محاولات التوفيق بين
الحكومة والمعارضة ١٨٧ - عصبة العمل القومي ١٨٨ -
الحزب السوري القومي ١٩١ - الحزب الشيوعي ١٩٤ .

الفصل السابع (٢٠٥-٢٤٨) الحياة الحزبية بين ١٩٣٩ - ١٩٤٩

المرحلة الأولى ١٩٣٩ - ١٩٤٤ : حول مقتل الشهبندر
٢٠٧ - ظهور شكري القوتلي ٢٠٨ - مجلس عام ١٩٤٣
٢١٠ .

المرحلة الثانية ١٩٤٤ - ١٩٤٩ : ظهور المعارضة البرلمانية
٢١١ - ظهور الكتلة البرلمانية ٢١٣ - خطاب رئيس

الجمهورية في مجلس النواب ٢١٤ - وزارة فارس الخوري
الثالثة وظهور الكتلة الدستورية ٢١٧ - انتخاب عام ٩٤٧
ومتأجها ٢٢٠ .

مجلس عام ١٩٤٧ : تعديل الدستور ٢٢١ - احزاب
المجلس : الحزب الوطني ٢٢٢ - حزب الشعب ٢٢٤ -
الكتلة الجمهورية ٢٢٦ .

الاحزاب البرلمانية : الحزب السوري القومي الاجتماعي ٢٢٨
- تعديل المبادئ ٢٢٩ - حزب البعث العربي ٢٣٢
- الحزب التعاوني الاشتراكي ٢٤١ - الحزب الشيوعي
٢٤٣ - الاخوان المسلمون ٢٤٦ .

الفصل الثامن مجمل النشاط الحزبي بين ١٩٤٩ - ١٩٥٥

النشاط الحزبي : موقف الأحزاب من الأحداث
السياسية ٢٤٩ - ميثاق حمص والائتلاف الحزبي ٢٧١ .
(٢٧٨ - ٢٨٠) .

خاتمة

جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٤	٤	السورية	السوريه
١٩	٧	اساش	أساس
١٩	٧	ومراعاة	ومراعاة
٢٢	١٦	الاعتبار	للاعتبارات
٤٧	٤	المفيد	المفيد
٥٩	١٤	وتنبهراً	وتنبهراً
٦٦	٤	المحفظ	المحافظ
٧٤	١١	ترضي	ترضى
٨١	١٠	فاستمرت في	فاستمرت الثورات في
١١٦	٩	اساسي	اساسي
١٤٨	٥	السياسة	السياسة
١٥٣	٩	لتجعل	لتجعل
١٦٤	٨	وانه	وانه
١٦٩	٥	وكانت الاسكندرون	وكانت مسألة الاسكندرون
١٩٢	١	عايتها	غايتها
٢٠٧	١٠	جريمة	جريمة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢١٣	٣	اتفاق	اتفاق
٢١٣	٨	فرقان	فرقتان
٢٣٦	٨	اتصال	اتصال
٢٣٧	١٦	والصفة الاساسية	والصفة الاساسية الرابعة
		للحزب	للحزب
٢٤٩	١	١٨٥٥	١٩٥٥
٢٤٩	٣	٢٩٥٣	١٩٥٣
٢٥٣	٢٠	البلد	البلد
٢٦٠	٧	البعث العربي	البعث العربي الاشتراكي

توطئة

موضوع الحياة الحزبية في سورية موضوع مهم في تاريخها المعاصر ، ودراسته تتيح للباحث تفهم نشأة الفكرة القومية ، وتلقي ضوءاً ساطعاً على قيام هذه الجمهورية وتطورها ، وهي كذلك تكشف النقاب عن النشاط السياسي ومراحل في دور الاستقلال الاول ، في عهد فيصل ، ودور الحكم الاجنبي ، وبعد الجلاء كما تطلعنا هذه الدراسة على اسس حياتنا السياسية الحاضرة .

الى هذه الأهداف ساقتي الرغبة في ولوج هذا البحث ، وأنا مقدر ما يعتوره من صعوبة وما يتوجب الخوض فيه من حذر ولكنني آثرت المضي موقناً ان ما أنهي اليه في الفترة المقررة للقيام بهذه الدراسة ليس الا محاولة ، لا بد من محاولات تليها للفصل في مسائل مرت بتاريخ جمهوريتنا المعاصر ، وهي ما تزال موضع جدل أو طي الكتمان .

لقد أضحي للحياة الحزبية في البلاد التي تقدمتنا في مضمار حياة السياسية دور رئيسي في حياتها العامة ، حتى ان بعض الحقوقيين مثل الاستاذ روبر بيللو الفرنسي يرى ، دعماً لمبدأ الحكم الشعبي ، النص على وظيفة الأحزاب في صلب الدستور كهيئة مسؤولة الى جانب هيئات التشريع والسلطات التنفيذية .

وقد غدت الاحزاب ضرورة مطلقة في كل مجتمع سياسي حر ،
يثبت وجودها حرية المجتمع وتطوره الفكري والمادي ويكون
ضامناً لاحترام مؤسساته الدستورية وحقوقه الاجتماعية والفردية . (١)
على ان تقدم الحياة الحزبية في هاتيك الدول ، كان ثمرة
من ثمرات تقدم الفكر السياسي والاجتماعي فيها . بينما نجد بلادنا ،
للظروف التاريخية التي فرضت عليها قروناً طويلة ، كانت بعيدة
عن تفهم الحزبية فيها صحيحاً ، بل ان الحزبية كانت وما تزال
تعني التحزب الشخصي والعائلي والاقطاعي ، ولكن قد تكون
المناهج احياناً ستاراً لها ، تخفي وراءها الصورة الواقعية الشوهاء .
فما هو مفهوم الحزب السياسي اذن ؟

يعرف الحزب بأنه الجمعية التي تمارس العمل السياسي (٢)
ومارابوتو يقصد بذلك المفهوم الحقوقي ، ولكن الحزب حقاً ليس
جمعية ولا شركة ولا نقابة ، انما الحزب السياسي عقيدة تناضل
في صفوف الشعب بنظام ووفق خطة مدروسة ، تمثل مصلحة
الوطن الخالدة ، وتسعى لحل مشاكله الطارئة في ظروف
تطوره التاريخي .

(١) الاتاني ، الدكتور عدنان : أزمة الحكم في سورية ص ٩٣

حمص ١٩٥٤ .

(2) Marabuto , Paul : Les partis politiques et les mouvements
sociaux sous la IVème république p . 3 pa ris 1948

العقيدة اساسية في الحزب أو في الحركة السياسية ، والعامل
البشرى عامل فعال محرك لاهياة للعقيدة بدونه ، والسياسي الحزبي
يجب ان يكون مؤمنا بعقيدته السياسية ايمانا صادقا مقدرأ
للمسؤولية الشخصية ، لاتنقصه الثقافة الاجتماعية والسياسية ،
ذكيا قادرا على الكفاح والتغلب على الصعوبات بالايمان وبالعقيدة
والصراحة لا بالدسائس والكذب والنفاق وخداع الشعوب . ان
السياسة يجب ان تنقلب من مهنة الى رسالة (١)

ومهمة الحزب السياسي ودوره لابد ان يكونا منبثقين عن
واقع البلاد وظروفها التاريخية . ونجاح الأحزاب أو اخفاقها
في تأدية مهمتها يكون في ادراكها رسالتها التاريخية ، فمن خطأ
الادراك السياسي مثلا ان تقوم احزاب للعمل في سبيل الحكم
البرلماني بذاته ، والمساهمة فيه ، في دور يكون الواجب الاول
فيه تحرير البلاد من السيطرة الاجنبية . فالأحزاب أو الحركات
القومية الشاملة ، هي التي نحتاج اليها في مرحلتنا الحاضرة .
حتى يتم للبلاد العربية التحرر والوحدة .

ليس ضروريا الآن التشبه بالنظام الحزبي القائم في البلاد
الأخرى التي اتمت بناء كيائها القومي . فنظام الحزبين في انكلترا

(١) عياد ، الدكتور كامل : السياسة كمهنة ، مقالة في مجلة

الطليلة دمشق العدد الثالث أيار سنة ١٩٣٦

أو الولايات المتحدة ، قد يكون ملائماً لبلاد توطد فيها النظام البرلماني واتفق فيها الرأي العام على مبادئ أولية عامة ، لا يجد فيما بينه من اختلاف الا في طرق تطبيقها (١) كما ان نظام الحزب الواحد لا يؤدي الى فائدة اكيدة اذ لابد من افساح المجال امام الشعب لاختيار العقائد والمناهج تلقائياً . فهمة الحزب ، هي العمل في صفوف الشعب لتمثيل الرأي العام ، وتصفية الأحزاب إذا تعددت هي من اختصاص الشعب لا الحكومات .

ان النضال الحزبي لابد له من توافر الحرية كشرط اساسي لقيام هذا النضال على وجهه الصحيح الكامل . ولكن الحرية قد تحبس عن المواطنين في ظروف قاهرة تحت حكم اجني او ساطة جائرة فتضطر الاحزاب الى القيام بالنشاط السري ويصبح النضال في سبيل الحرية هدفاً من اهدافها . وان فقدان بلادنا للحرية السياسية امداً طويلاً . فضلاً عن فقدان الحرية الاجتماعية اوجد لفكرة المستبد العادل ! انصارا في بلادنا حتى ان المستشرق الالماني هانس فاندر يقول: ان قسماً كبيراً من العرب يخشون الحرية لانهم لم يعرفوها (٢) . فاذا سوغ للاجني ان يخنق الحرية في

-
- (١) محررو مجلة (فورشن) الاميركية . وارسل دافنبورت بـ الثورة الدائمة . فصل عن الاحزاب السياسية ص ١٣٢ دمشق مطبعة الانشاء ١٩٥٢
- (٢) فاندر البروفسور هانس : من كتابه الشرق الجميل مقال مترجم في جريدة الصباح حلب العدد ٢٨٣ سنة ١٩٥٣ .

بلاد يستثمرها . حرصاً على منفعه الخاصة فليس هناك عذر للحكومات الوطنية ان تحد من حريات المواطنين وان تقيد نطاق سعيهم في سبيل تطورهم القومي . ولكن لا بد من القول ان حق الحرية المقدس لا يجوز ان يشوّهه اصحاب المنافع الخاصة من العاملين في الحقل السياسي . فالحرية هي للجميع وليست لفئة معينة . ولا يجوز ان يقيدوها الا مصلحة الأمة .

وقوة الحزب تقاس بمثانة عقيدته ووضوح منهاجه ودقة نظامه وانضباطه ، وبمدى نشاطه وفعاليته .

فعقيدة الحزب المنبثقة من فلسفته أو نظريته الى الحياة والمجتمع أمر اساسي لا يصحح نشأة الحزب ولتفهم غايته وأهدافه ولضمان تجرده والثقة به . وبديهي انه لا يجوز ان تكون هذه النظرة او العقيدة وسيلة لخداع الجماهير ، بل يجب ان تكون واسطة لتنوير الرأي العام وتثقيفه .

ان المدارس السياسية والاجتماعية التي نشأت في اوربا منذ القرن الثامن عشر ، تحولت الى احزاب سياسية تمثلها . واصبحت برامجها بمثابة التعبير العملي عن هذه النظريات ومبادئها الثابتة . ويميز رويير بيللو فيها حالياً ، ثلاثة اتجاهات رئيسية (١) قد تتشابه

(١) بيللو ، رويير ، (استاذ الحقوق في جامعة ليون) : المذاهب السياسية وأنظمة الحكم ص ٦٩ ترجمة الدكتور محمد الفاضل ، دمشق مطبعة الجامعة السورية ١٩٥٠ .

اهدافها احياناً في برامج بعض الاحزاب . وهذه التيارات هي :
 المذهب الديمقراطي ، والمذهب الاستبدادي ، والمذهب الاشتراكي .
 وقد انتشرت مبادئها جميعاً في العالم وتأثرت بها الأحزاب
 السورية أيضاً .

فالديموقراطية : هي حكم الشعب بالشعب وللشعب ، وهي مذهب
 سياسي وطريقة في الحكم ترمي الى تأمين الحرية السياسية ،
 والحرية الاقتصادية ، وتسعى اليها عن طريق النظام البرلماني القائم
 على مبدئي الانتخاب المباشر وحكم الاكثرية لمصلحة المجموع .
 ولكن مذهب الحرية الاقتصادية المتبع في الدول الغربية أدى الى
 نتائج ليست في مصلحة الديمقراطية في شيء ، فقد ولد النظام
 الرأسمالي ، وجمع الثروات بيد فئة معينة من مجموع الامة وأدى
 الى استعمار الشعوب وفساد الحكم باستغلال النظام البرلماني .
 وعجزت الديمقراطية بسبب ذلك عن تأمين المساواة الاجتماعية
 التي هي أساس أولي من اسس الديمقراطية . والحقيقة ان هذا
 هو ما دفع الكثيرين الى التطلع الى المذاهب الاخرى الاستبدادية
 والاشتراكية .

أما الاستبدادية أو الديكتاتورية : فهي تقوم بصورة عامة
 على اساس إخضاع الفرد للمجموع . حتى ان اوغست كونت
 ينكر وجود الانسان المحض ، وينجم عن هذه الفكرة ، نكران
 الحقوق الفردية ، والقول بفكرة الواجب الاجتماعي . وتتفق المناهج

الاستبدادية الحديثة بتعصبها القومي ، وتمجيد فكرة الدولة والمجتمع ووقوفها ضد الاتجاهات غير القومية كالدين ، والدولية والعالمية . والانسانية ، . . غير انها تختلف في التفاصيل من منظمة الى اخرى . . فالفاشستية ترى الحكومة المثالية في حكومة الصفوة المختارة التي هي ، في رأيها ، هيئة الحزب الفاشستي ، وترى التنظيم الامثل في تنظيم الدولة على اساس تقابي ، ولزعامة والطاعة فيها دور اساسي . ومنهجها الاقتصادي (١) يعترف بالملكية الشخصية ، ولكن الدولة هي التي تشرف على الملكيات ذات الصفة العامة التي يقوم عليها اصحابها لمصلحة المجتمع . ويوفق بين مطالب العامل ومطالب رب العمل بواسطة النقابات المشتركة بينهما ، وهو لا يحجز الاضراب . حرصاً على مصلحة الانتاج ، وعلى وحدة جهود العامل ورب العمل في سبيله .

ولكن النازية او الاشتراكية الوطنية الالمانية : فتميز بالقول بتفوق العرق الجرمانى ، لا الامة الالمانية ، الزعيم فيها له مكانة مقدسة وهو يمثل فكرة مجردة ولا يعنى شخصية معينة ، وفكرة الزعامة تنتقل الى العمل ايضاً فصاحب العمل هو زعيم العمال فيه . والاقتصاد موجه لمصلحة الدولة وغاياتها . ولا تقر النازية مبدأ تنازع الطبقات ، فهي لذلك لا تحجز الاضراب .

(١) عنان ، محمد عبد الله (المذاهب الاجتماعية الكبرى) راجع فصل الفاشستية . مصر ١٩٤٤ .

أما التيار الاشتراكي : فيرمي عامة الى تحقيق المساواة الاقتصادية والاجتماعية ، ولكن ضمن هذا التيار العام توجد اتجاهات عدة تتباين في موقفها من الملكية الشخصية ، واسلوب العمل . ومسألة الحكم ، فزاء هذه المشاكل توجد جهتان : الاشتراكية المعتدلة وتمثلها الاحزاب الاشتراكية في انكلترا والمانيا وفرنسا مثلا ، والاشتراكية المتطرفة وتمثلها الاحزاب الشيوعية في روسيا وغيرها ..

وللمذهب الشيوعي نظرية معينة في الكون والمجتمع فهو يقول بالحقيقة الموضوعية للمادة ، او المادية التاريخية ، القائمة على مبدأ نضال المتضادات . وأهم ما في الماركسية هو اسلوبها الثوري الرامي الى تغيير اسلوب الانتاج لتحقيق انقلاب شامل في الحياة الاقتصادية ، ولها برنامج عام (١) يلغي الملكية الخاصة ويضع رأس المال تحت تصرف الدولة ويدعو الى النضال في سبيل الامة البروليتارية ، وضد كل نظرة قومية ، وهي ترى ان تسبق المرحلة الشيوعية ، مرحلة ديكتاتورية البروليتاريا ، كمرحلة نهائية لتنازع الطبقات .

بينما نجد الاشتراكية المعتدلة تنظم الملكية الخاصة ولا تلغيها وهي تؤمن بالحرية ولا تقرض ديكتاتورية ما على الشعب ، وترفض فكرة صراع الطبقات ولكنها تسعى لتحقيق فرص مكافئة للجميع ،

(٢) ماركس ، كارل وانجلز ، فريدريك : البيان الشيوعي ١٨٤٧

تعريب خالد بكداش طبعة سورية آذار ١٩٣٣ .

وفكرة الدولة جوهريّة عندها ، وهي تؤمن بالنظام البرلماني (١) .
تلك هي المبادئ الأساسية للمذاهب الكبرى ، ولكن ماهي

طرائقها في النضال الحزبي ؟

تتصل طريقة العمل الحزبي بالتنظيم الحزبي . فالتنظيم الحزبي هو البناء الداخلي للحزب (٢) : قيادته ، تشكيلاته ، المنظمات المنضمة إليه ، لجانه ، وسائل النشر والدعابة ... ان معرفة هذه العناصر في تنظيم الحزب تلقي ضوءاً على قوة ومدى نجاح الحزب ، وما نشاط الحزب إلا التعبير العملي عن تنظيمه وتكتيله . وفي هذه الناحية تلعب القيادة ، والاعضاء العاملون المناضلون دوراً بارزاً .

فالأحزاب الديمقراطية ، في ظل الحكم الديمقراطي تمارس نشاطها علناً ، وبالوسائل العادية من دعاية في الاوساط القريبة من الحزب وفروعه وبواسطة صحيفته وشعاراته واجتماعاته ، ومؤتمراته الدورية . وعن طريق سلوك ونشاط اعضائه في الحياة الاجتماعية . ويبلغ هذا النشاط ذروته في فترة الانتخابات النيابية .

أما الأحزاب الاستبدادية فهي تتبع هذه الوسائل عينها قبل الوصول الى الحكم . ولكنها تغني كثيراً بمظاهر القوة . وقد تستعمل العنف والضغط أحياناً . وهي عندما تتوصل الى السلطة

(١) ماكدونالد ، رمزي : الحركة الاشتراكية ٨٨ - ٨٩ ترجمة

محمود حسني العراقي بمصر .

(2) Ma rabuto P. : Les partis Politiques P , 24 .

تدخل الحزب في جهاز الدولة . وتستعمل كل وسائل الحكومة
لنفع الحزب ويتم دكتاتورية حزبية مركزية قاسية . وتحرم
المواطنين من ابداء أي رأي معارض .

والاحزاب الاشتراكية يؤمن المعتدل منها ببدء التطور والثورة
عندها غاية لا وسيلة (١) . وهي تعمل في ميدان البرلمان عن
طريق التشريع والادارة لتحقيق برنامجها ولتمكين النظام البرلماني .
وهذه هي الطريقة التجريبية . أما الطريقة الثورية فهي :

طريقة الحزب الشيوعي : وضع لينين خطوطها الاخيرة ولذا
فهي تسمى بالطريقة اللينينية . وتقوم على النضال الطبقي الجماهيري
الثوري والاستيلاء على السلطة اذا كانت الظروف ملائمة ، حتى
ولو لم يكن الشيوعيون اكثرية في البلاد .

وترى اللينينية ان الاستعمار هو أعلى مراحل الرأسمالية .
وتدعو الى خرق جبهة الاستعمار من اضعف النقاط . وتحويل
الثورات البورجوازية الى ثورات بروليتارية . وتحدد مهمة
البروليتاريا قبل الثورة بتهيئة بذور الثورة باعداد أزمة وطنية (٢) .
وتضع على عاتق الثورة المنتصرة واجب مساعدة وايقاظ الثورة في
جميع الاقطار . وهي تنظر الى قضايا التحرر الوطني من زاوية

(١) ماكدونالد : الحركة الاشتراكية : ٨٦ .

(٢) ستالين : راجع كتاب اسس اللينينية . فصل المسألة الوطنية .

مترجم الى العربية بيروت مطبعة النجاش ١٩٥٤ .

الثورة البروليتارية العامة . ومدى فائدة الثورة منها . وهي تهدف بمساندتها لهذه القضايا الى تحويل البلدان المستعمرة والتابعة من احتياطي للاستعمار الى احتياطي للبروليتاريا . ولذا فهي لا تدعم من الحركات الوطنية الا ما يؤدي منها الى اضعاف الاستعمار (١) . ويوصي ستالين احزاب البروليتاريا . بقرن النشاط العملي بالأساس النظري . والاهتداء بالعقيدة الماركسية . والبناء على اساس واقعي لحياة المجتمع المادية . ومراعاة الظروف المكانية والزمانية (٢) .

والحزب وتنظيمه في الحركة الشيوعية اهمية بالغة الخطورة . فهو الزعيم السياسي والعسكري للطبقة العاملة وهو الشكل الاعلى لاتحاد البروليتارية طبق وقيادتها للاستيلاء على الحكم . ولولا هذه المسألة الاخيرة لما كانت للحزب هذه المكانة العليا . والقيادة الحزبية تحسب حساباً دقيقاً لمسألة الاستراتيجية الحزبية . أي لقوى الحزب وتوجيهها في مرحلة معينة من مراحل التطور الثوري . وتتبع تكتيكاً معيناً وخطة مدروسة مرنة تؤمن التقدم الظافر

(١) ستالين اساس اللينينية . ص ٩٦ — ٩٧ .

(٢) ستالين : المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية . النظرية الفلسفية العامة لتطور الكون والمجتمع : ص ١٤ و ٤٤ . بيروت دار القلم . الطبعة الثالثة ١٩٥٣ .

كما تسهل التراجع السليم (١) . ولما كان للحزب هذا الدور الرئيسي فهو لا يقبل وجود التكتلات الانقسامية حفظاً لوحدة ادارته . ولذلك يرى اينين ان الحزب يقوى بتطهير نفسه من العناصر الانتهازية .

هذه المركزية الشديدة في تنظيمها الدقيق ومراقبتها الدقيقة لخطوات الحزب تتطلب من المسؤولين فيه الاخلاص العميق للطبقة العاملة . والاتحاد الوثيق بال جماهير . وتوافر روح تحمل التبعات والانضباط وصلابة العقيدة . وضمن هذا المخطط تسعى الاحزاب الشيوعية في البلاد غير الشيوعية الى تكتيل الطبقة العاملة واقناعها بتعارض مصالحها مع مصالح الطبقة البورجوازية (٢) . والمساهمة في الدعوة الى الحكم الجمهوري . الذي ترى فيه خير نظام للحكم في ظل الرأسمالية . ونشر افكار الاممية والسلم ودكتاتورية البروليتاريا . وهي تقف في كل قطر بجانب الاحزاب التي تسعى الى حركة ثورية ضد النظام السياسي القائم فيه (٣) والشيوعيون فوق كل ذلك يرون في روسيا « جمهورية العمال » ويعتبرون

«١» ستالين : اسس اللينينية . فصل الحزب ١٣٤ — ١٤٤ .

«٢» توريز . موريس ١٨٧ ترجمه عن الفرنسية الى العربية محمد

عيتاتي بيروت ١٩٥٣ .

«٣» ماركس وانجلز : البيان الشيوعي ٩٧ .

قضيتها قضيتهم وقضية العمال في جميع بلاد العالم (١) .
 هذه هي الشيوعية وهذه هي طريقتهما . ولكن ألا يجوز لنا
 ان نسأل مع روبرت بيللو : اذا كان مبدأ صراع الطبقات هو
 مهاز التاريخ . فألا يخشى على التاريخ من الجمود عند زوال
 الطبقات من المجتمع الشيوعي المرتقب ؟ ومن يدري متى تنتهي
 دكتاتورية البروليتاريا ومن يضمن لنا تنازل الدكتاتورية عن
 السلطة ؟ على ان اهم ما يوجه الى الشيوعية من نقد هو تغاضيها
 عن حقيقة الواقع القومي للامم . ومعالجتها مشاكل الانسان على
 أساس طبقي عالمي .

ان هذه النظرة العامة على اهم المذاهب السياسية وطرائقها
 الحزبية تتيح لنا المقارنة بينها وبين الحياة الحزبية في سورية في
 الفترة التي ندرسها .

**فماهي المشاكل التي عالجتها الاحزاب السياسية السورية وما
 هي صفاتها العامة ؟**

قادت بعض الاحزاب حركة التحرر الوطني في العهد التركي
 وحاولت تأسيس دولة مستقلة في عهد فيصل ، وامسكت بدفة
 السياسة في عهد الانتداب ، وتربعت على ارائك الحكم في عهد
 الاستقلال ، ولكنها في هذه المراحل كلها كانت حركات خاضعة
 للظروف ، وهي بخضوعها هذا ، اساءت للحركة الوطنية ولتطورها

ولستقبلها فقد اجمعت حيث وجب الاقدام ، وسلكت سبيل
التعاون مع الاجني حين وجبت المقاومة . وخاضت في اساليب
العمل البرلماني حين كان من الافضل اتباع طريق الكفاح
السلي . وهي حين تسلمت وسائل العمل الايجابي اخفقت
اخفاقا ذريعا .

وقد بقيت الحياة الحزبية بعيدة عن الشعب ، وبعيدة عن
المفاهيم السياسية الكبرى فترة طويلة من تاريخها الى ان بدأت
المسائل الهامة تحتل مكانها في النضال الحزبي كالمسألة القومية
والمشاكل الاقتصادية وطرق معالجتها . وشكل الحكم وموقف
بلادنا من التطورات الاجتماعية . . . أي ان الاحزاب العقائدية
بدأت تحتل مكانها في الحياة السياسية . ونشأ عن ذلك قيام
صراع علني ومستمر بين جيلين . جيل قديم وجيل جديد .
بين جيل حكم البلاد وتولي زمامها أمداً من الزمن وجيل ينزع
الى تولي قيادة بلاده الى الاهداف التي يدعو اليها .

وقد قامت احزاب لم تراع في سلوكها الحزبي تطور الظروف ،
وكان للاعتبار الشخصية والطبقة والعائلية المحل الاول في نشوء عدد
من الاحزاب وماتعدد الاحزاب في عهود مختلفة وظروف تتطلب وحدة
الكلمة ولا تحتمل تفرق الصفوف الا اصدق شاهد على ان المبادئ
والمناهج كان لها دور ثانوي . ومن هنا كان للزعامة الشخصية
مكانة لم تنلها القيادات الحزبية وهي ما كانت تؤدي عند بعض

رجال الاحزاب ذوي المطامع الشخصية الى افساد جهاز الحكم
وتضليل الرأي العام بواسطة استغلال الصحافة وحجب الاقلام الحرة .
ومما زاد في حراجة الفوضى الحزبية في بلادنا خلو التشريع
من قانون منظم لها . لقد نص الدستور السوري لعام ١٩٢٠
والدستور الصادر في العام ١٩٣٠ في مادتيه ١٤ و ٢٥ على
حرية القول والكتابة والاجتماع وأفسح المجال - دستورياً - امام
الاحزاب للقيام بنشاطها . وكفلت المادة الثامنة عشرة من الدستور
المنشور في الخامس من ايلول عام ١٩٥٠ « للسوريين حق تأليف
احزاب سياسية على ان تكون غايتها مشروعة ووسائلها سلمية
وذات نظم ديمقراطية » . على ان الفقرة الثانية من المادة نفسها
تركت للقانون ان ينظم طريقة اخبار السلطات الادارية بتأليف
الاحزاب ومراقبة مواردها .

وقد حافظ واضعو دستور تموز عام ١٩٥٣ الذي كان نافذ
المفعول حتى شباط ١٩٥٤ في المادة السابعة عشرة منه على النص
السابق والشروط السابقة . ولكنهم اضافوا : ان على القانون ؛
الذي نص هذا الدستور على وضعه لتنظيم الحياة الحزبية ، ان
يشمل عداً ما سبق في دستور عام ١٩٥٠ ما يضمن قيام أعضاء
الاحزاب بانتخاب سلطاتها العليا مرة في السنة على الاقل . وتضمن
دستور عام ١٩٥٣ فقرة جزيلة الفائدة نبيلة المعنى ، ولكنها مناقضة
تماماً لسلوك الحاكمين واهدافهم آنذاك تنص على ان « يهدف

القانون الى اعتبار الاحزاب السياسية مدارس تعمل لتكوين صفوة من المستيرين المخلصين واعدادهم اعداداً ديمقراطياً لتحمل التبعات العامة كما تهنيء للشعب سبل تربيته القومية وتيسر له استكمال الوعي في شؤونه العامة وتقوده الى تحقيق مصلحته فيها .

وبقي التشريع المنظم للحياة الحزبية في البلاد هو قانون الجمعيات العثماني الصادر عام ١٩٠٨ ومراسيم المفوض السامي الفرنسي التعسفية حتى ايلول من عام ١٩٥٣ حين صدر القانون رقم ٤٧ الخاص بالجمعيات والاحزاب الذي مالبت حتى الغي في جملة مالماني من آثار العهد الديكتاتوري بعد حركة ٢٥ شباط ١٩٥٤ وعودة الحياة الدستورية الديمقراطية الى البلاد .

إن هذه الدراسة لن تستطيع ان تكون جامعة لكل مايمكن ان يقال في هذا الموضوع الدقيق . إذ أن ذلك لا يمكن ان يتم الا بعد الاطلاع على المصادر المتعلقة به كلها ، مانشر منها وما لم ينشر بعد ، مما هو محفوظ عند اصحاب العلم . ولكنني سعيت الى الاطلاع على مصادر هذا الموضوع في الكتب التي بحثت تاريخ سوريا الحديث وفي عديد من الصحف والنشرات الحزبية المختلفة ومجلات مذكرات المجالس النيابية المتعاقبة ، - ماوسعني الجهد - كما استأنست بمعلومات شخصية ممن لهم الاطلاع على الاحداث في بعض الفترات كالاساتذة السادة عزة دروزة ونزيه المؤيد وفهمي الحائري وعمر الطيبي ، فلهم الشكر .

على أن من الجدير بالذكر انه إذا كان من خصائص البحث التاريخي جملة ، الموضوعية والتجرد ، فإن التصدي للبحث في تاريخ الاحداث المعاصرة - كموضوعنا - يستوجب شيئاً أكثر من الحذر .

ولذا فلئن كانت هذه الدراسة هي محاولة اولى متواضعة فان معالجة الحياة الحزبية في الفترة القريبة الماضية هي - بلا شك - تجربة غير كاملة . ولئن كان من الافضل التريث أمداً من الزمن الكافي لنضوج الحوادث حتى تتوافر مصادر اوفى لسد ماقد يكون هناك من ثغرات فانه من الممكن ايضاً البدء منذ الآن حتى يتاح فيما بعد الوصول الى الاكمل .

وفي العام الماضي كنت قد اعددت رسالة جامعية ، للحصول على شهادة الاجازة في الآداب من الجامعة السورية عن الحياة الحزبية في سوريا بين عامي ١٩١٩ و ١٩٤٩ باشراف الاستاذ الدكتور نور الدين حاطوم .

وقت بتشجيع من الاستاذ الكريم ، بإعادة النظر في البحث وازافة فصل جديد اليه حتى عام ١٩٥٥ واعداده للطبع .
وإني اذ اتقدم بهذه الدراسة الى القراء ، فان جل ماهدف اليه هو ان اعطي صورة تاريخية عامة عن الحياة الحزبية منذ نشوئها في العهد العثماني ، مستعرضاً تطورها حتى عام ١٩٥٥

راجياً ان يكون هذا الجهد المتواضع بعض مايتوجب على الشباب
العربي القيام به في مجال البحث العلمي ، وان يكون مساهمة
بسيطة لتوفير مصدر عن هذا الموضوع يفيد للاطلاع على هذه
الناحية الهامة من نواحي حياتنا .

فان وفقت فحسبي جزاء والله من وراء القصد .

محمد عرب فرزات

دمشق



الفصل الثالث

الحياة الحزبية في سوريا في العهد العثماني

كانت الأحزاب التي نشطت على مسرح السياسة في سورية في عهد فيصل ، وما بعده ، وليدة الجمعيات والمنظمات الحزبية التي قامت في مطلع النهضة العربية الحديثة قبيل الحرب العالمية الأولى ، فلذا كان الاطلاع على نشوء هذه المنظمات ومعرفة أسسها وأهدافها ، وملاحظة نشاطها مفيد في تفهم الحياة الحزبية في الفترات التالية : ولما كانت الدولة العثمانية خاضعة لنظام من الحكم المطلق يرأسه السلطان ويديره جماعة من مستخدمي القصر ، فقد استبعد المواطنون « الرعية » عن المشاركة في شؤون الحكم ، فلم تقم لذلك احزاب سياسية ، تمثل اتجاهات الرأي العام ، اذ لم يكن للشعب آنئذ ، رأي في سياسة البلاد ، وهكذا خضع العرب كثيرهم من شعوب الامبراطورية ، لهذا الواقع .

ولكن الدولة العثمانية رضخت للضغط الداخلي والخارجي معاً ، واضطرت الى تعديل بعض مظاهر الحكم فيها ، فأعلنت دستور عام ١٨٧٦ م وظهرت في هذه الاثناء بوادر النهضة الحديثة في سورية والبلاد العربية عامة ، خاصة بعد الاتصال بالثقافة الغربية

عن طريق البعثات الأجنبية ، وحملة نابليون على مصر ، وتفتت
براعم نهضة فكرية ثقافية ، كان مسرحها لبنان ، بسبب وضعه
السياسي الممتاز بعد العام ١٨٦٤ ، وما يؤمنه من الحرية النسبية
فيه . ورغم ذلك فقد بقيت السياسة مادة مهربة ، لا بد للعامل
في ميدانها من التستر بسواد الليل .

وقد دخلت حركة النهضة الحديثة مرحلتها السياسية بظهور
اول جمعية سياسية في سوريا (١) . تأسست في بيروت عام ١٨٧٥
من خمسة شباب ، وضمت اليها فيما بعد اثنين وعشرين شاباً من
الطوائف الدينية المختلفة ، وكان لها فروع في بيروت ودمشق
وطرابلس . وقصرت نشاطها منذ نشأتها على الدعوة الشفوية سرّاً ،
ثم لصق نشرات مغفلة على الجدران ، ضد الاستعباد التركي ،
وتنبه الى خطر الاستعمار الأوربي وتطالب بالحكم الذاتي . وكانت
اهم نشرة لها هي التي ألصقت على جدران بيروت ليل ٣١ كانون
الاول ١٨٨٠ م تتضمن برنامجاً يحوي اربع نقاط (٢) : — منح
الاستقلال لسورية متحدة مع لبنان . والاعتراف بالعربية لغة
رسمية في البلاد . والغاء الرقابة والقيود التي تحول دون حرية
الرأي وانتشار العلم . وعدم استخدام الوحدات العسكرية المجندة

(١) انطونيوس ، جورج : — يقظة العرب : — ٧٩ ترجمه الى العربية

علي حيدر الركابي دمشق ١٩٤٦

(٢) نفس المصدر : — ٨٥

من اهل البلاد الا ضمن حدود بلادهم .
 وكان من الطبيعي ألا تلاقي الدعوة آئناً نجاحاً ملموساً ،
 بسبب ضعف الوعي الشعبي ، وعدم ملائمة الظروف عامة ، ولكنها
 نجحت في تحديد اهداف تبنتها فيما بعد دعوات سياسية عربية اخرى .
 ولئن خفت صوت هذه الجمعية السرية ، ولم يسمع عن نشاط
 منظمة اخرى بعد ذلك ، فقد دوى في البلاد صوت الافغاني منهاً
 الى خطر الاستعمار والضعف ، وعلت صيحة الكواكبي في وجه
 الاستبداد والاستعباد . ثم لما قامت جمعية الاتحاد والترقي بانقلاب
 عام ١٩٠٨ الدستوري ، اشترك فيه عدد من الضباط العرب ،
 املاً بما سيوفره العهد الجديد للعرب من حرية ؛ تحفظ
 كياناتهم القومي ؛ وتقسح لهم مجالاً للمشاركة في تحمل اعباء الدولة
 والمساهمة بدورهم فيها .

آ - نشاط الجمعيات والامزاج بين اعلان الدستور والحرب العالمية الاولى

بعد اعلان الدستور « المشروطية » في ٢٣ تموز ١٩٠٨ ، قام
 العرب والسوريون منهم على الأخص ، بنشاط سياسي كبير في
 المجال القومي ، كان من مظاهره قيام منظمات تجمع شملهم وتنطق
 بلسانهم وكان اولها : —

جمعية الاخاء العربي العثماني : — وقد تم افتتاح مقرها في الثاني

من ايلول ١٩٠٨ في الآستانة ؛ ونص قانونها الاساسي على ان لا تضم غير العرب ، فهي جمعية قومية ، مخلصه للدولة العثمانية ، تسعى للمحافظة على احكام الدستور بالتعاون مع جمعية الاتحاد والترقي (١) . وترمي الى رفع شأن الامة العربية من النواحي الاقتصادية والثقافية والدفاع عن مصالح العرب في الآستانة . وكانت تمارس نشاطها علناً وبصورة صريحة . فقد هيات اول مظاهرة عربية شهدتها الآستانة ، عند استقبال النواب العرب بعد انتخابات كانون الأول ١٩٠٨ . ثم تلاشت بسبب فقدان الانسجام بين اعضائها ، بعد ان قامت بدور هام في بث فكرة القومية العربية في صحيفتها الاخاء العثماني ، وصحف المهجر ، اشار اليه جمال باشا في بيانه المطول الذي نشره غداة السادس من ايار عام ١٩١٦ (٢) . ولما الفت الحكومة التركية جمعية الاخاء العربي العثماني ؛ وهي اول ثمرات تنظيمهم السياسي ، انفصل النواب العرب عن جمعية الاتحاد والترقي ، والفوا كتلة **برلمانية** ضمت اكثر من ستين نائباً (٣) .

(١) سعيد؛ امين :- الثورة الكبرى المجلد الاول ص ٧ مصر ١٩٣٤
 (٢) القائد العام للجيش الرابع العثماني :- ايضاحات عن المسائل السياسية التي « جر » تدقيقها بديوان الحرب العرفي المتشكل بعاليه ص ٧ الآستانة مطبعة الطنين ١٣٣٤ هـ .

(٣) انطونيوس :- يقظة العرب : ١١١ . سعيد؛ امين :- الثورة العربية التكبرى ١ : ٦ سبعون نائباً .

في آذار ١٩١١ ؛ واسهموا مع العناصر التركية المعتدلة في المجلس ،
ومع النواب غير الاتراك في تكوين حزب الحرية والائتلاف العثماني ،
الذي وقف موقف المعارض من الاتحاديين ؛ وكان مما يهدف اليه
تحقيق اللامركزية الادارية ، التي ستصبح شعاراً للهيئات السياسية
العربية فيما بعد ؛ ثم أسس :

المنتدى الأدبي : — عند ما اسفرت الحكومة الاتحادية عن
نياتها دفع العرب الى العمل السري لنشر الفكرة القومية وتحقيق
اهدافهم السياسية ، فعندها قام عبد الكريم الخليل ، وسيف الدين
الخطيب ، ورزق سلوم بتأسيس المنتدى الأدبي وعاضدهم رشيد
رضا والزهرراوي وطالب النقيب وعزيز علي . . . وتستر المنتدى
وراء نشاط ثقافي ظاهري ، يرمي الى جمع الطلبة العرب في العاصمة
والعناية بهم ؛ وقام بدور سياسي فعال ، فمثلت لجنته الادارية
الجانب العربي للمفاوضة لاجل تسوية الخلافات مع الحكومة حول
المطالب العربية ، وأسهم في الدعوة للفكرة القومية ، وتوسيع
مداها لا في خلق دافع جديد يحركها (١) . فضم الآلاف وافتتح
فروعاً له في الشام والعراق ، وكان ينشر افكاره عن طريق
اعضائه المتجولين ، ونشراته السرية التي كانت توزع بعد طبعها
في مطبعة جريدة المفيد في بيروت ، كما كانت له جريدة تنطق
باسمه ، تصدر في الآستانة واسمها لسان العرب . ولكن اهم منظمة

(١) انطونيوس : — نقطة الغرب : ١١٧ .

سياسية أسسها العرب في العهد العثماني هي حزب اللامركزية
الإدارية العثماني .

حزب اللامركزية الإدارية العثماني :- ظلت « اللامركزية »

شعار العاملين في حقل السياسة من العرب ، والسوريين خاصة ،
حتى قيام الحرب العالمية الأولى وظهور نيات الاتراك تجاه العرب ،
فتبلورت فكرة الاستقلال التام ، وقامت الثورة العربية . وقد
تأسس الحزب في القاهرة اواخر عام ١٩١٢ ، ومن مؤسسيه
رشيد رضا ، وعبد الحميد الزهراوي ، ورفيق وحقي العظم . وله
برنامج مكتوب (١) يهدف الى اقناع الحكومة والشعب بفوائد
اللامركزية ، وضرورة اتخاذها اساساً للإدارة في الدولة العثمانية
في مختلف اقطارها . وكان على صلة بحزب الحرية والائتلاف ،
وهو يتفق معه في المبدأ الاساسي ، اللامركزية ، واعتمد عليه
في تحقيق اغراضه ، وتم بسعي السوريين تأسيس شعب لحزب
الحرية والائتلاف في سورية ولبنان ، ولكن عندما حل هذا
الحزب بقيت هذه الشعب تابعة لحزب اللامركزية في القاهرة (٢)
وعلى الرغم من ان منهاج الحزب يعني الدولة العثمانية جميعاً ،
فانه ظل حزباً عربياً ، لم يضم اليه غير العرب ، وهو لم يكن

(١) سعيد ؛ امين :- الثورة العربية الكبرى ١ :- ١٤ وما بعدها .

(٢) قائد الجيش الرابع :- ايضاحات عن المسائل السياسية ٤٥

حزباً خفياً ، ولكنه لم يكن مرخصاً (١) . وهو لم « يجنح الى العمل في السر والخفاء لظهور ضعف حزب الحرية والائتلاف (٢) » بقدر ما دفعه الى التكتم وقصر مساعيه على مصلحة العرب ، سلوك الاتحاديين العدائي .

وعندما اقتنع الحزب بعدم جدوى السعي للامركزية في ظل الدولة العثمانية اخذ يعمل للانفصال التام ، وقد كان هو يهد لذلك منذ البدء . . . في رسالة من رئيس اللجنة العليا للحزب بمصر الى احد الاشخاص في سورية يوصيه بالعمل على « اعداد النفوس لقبول مبادئ الحزب واشعار المتكئين من مبادئه بأن تعديلاً كثيراً سيدخل في برنامجه بحيث يصبح حزباً عملياً ذا قوة ومكانة في البلاد .. » (٣) . وفي بيان نشره بعنوان « الصرخة الثالثة الى ابناء الامة » جاء فيه قوله « وليعلن العرب ان حركتهم لن تقف دونها دسائس الساسة وانهم ضاربون هذه الدولة من اركانها حتى تحقق في البلاد راية العرب على سكاكنها » (٤) وختم البيان بهذه الجملة « فسلاماً على الامة سلام بر امين ، يظلمه في سواد الليل بياض الضمير وخضرة الامل اليقين » وهذه الالوان

(١) دروزة ، عزرة :- حول الحركة العربية ١ :- ٣٥

(٢) ايضاحات عن المسائل السياسية :- ٤٨

(٣) » » » » » ٧١

(٤) نفس المصدر ٩٨

الثلاثة التاريخية تمثل شعار الحزب .

وكان تنظيم الحزب يفوق تنظيم ما سبقه من الحركات العربية وأوكل الاشراف عليه الى لجنة قوية من عشرين عضواً من المقيمين في مصر ، ينتخب ستة منهم للقيام بمهام اللجنة التنفيذية . واستت له فروع في اكثر المدن السورية واهم المدن العراقية . وكانت تتألف اصغر وحدة حزبية من عشرة اشخاص يرأسهم «عريف» وكل فئة يقوم عليها « دليل » وتتألف الهيئة الادارية لكل فرع من اربعة اعضاء ، وتتصل مباشرة بمصر .

وفي رسالة هامة من سكرتير اللجنة العليا للحزب حقي العظم الى محمود الحمصاني في بيروت ينصح فيها بتوسيع التشكيلات السرية واتباع بعض النظم العسكرية فيها « والاجتهاد في ان لا تكون في البلاد قوة عاملة إلا وهي منقادة اليها ولو في جماعات مختلفة الأسماء » (١) ويوضيه فيها بالحرص على التكم والتنظيم ، حذراً من الوشائيات .

اما موارد الحزب المالية فكانت تتجمع مما يجبي عن طريق المرتبات الشهرية على الأعضاء ، والتبرعات غير المحدودة من الحزبيين الاثرياء .

وكان الحزب على صلات مع منظمات عاملة اخرى في البلاد العربية كجمعية النهضة اللبنانية في بيروت . وكانت هذه تسعى لتحقيق

لبنان الكبير وتمادت في سبيل ذلك في الاعتماد على فرنسا حتى اساءت الى القضية الوطنية ومهدت السبيل الى النفوذ الاجنبي (١) وتعاون الحزب مع الحركة الاصلاحية البيروتية التي تأسست اوائل عام ١٩٣١ وبرنامجها هو البرنامج الاصلاحى الامر كزى الذى تقدم به بعض اعضائها الى حكومة الدولة العلية فى كانون الثانى عام ١٩١١ ، ولكنه رفض واغلق مكتب الحركة فى نيسان ١٩١٣ وأدى ذلك الى هياج كبير فى البلاد العربية جميعاً (٢) وسام الحزب فى تقل القضية العربية الى الصعيد الدولى وشرح مطالبه أمام الزأى العام بالمشاركة الفعالة فى مؤتمر باريس العربى عام ١٩١٣ وهكذا يتضح ان حزب الامر كزىة هذا ، كان اوسع حركة سياسية قام بها العرب فى العهد التركى ، فقد جمع الى النشاط العلانى ، العمل السرى ، وعمل على ضم جهود المنظمات العاملة تحت شعار الامر كزىة ، ومهد السبيل لفكرة الانفصال ولكن لما يؤسف له ان المنافع الخاصة عند بعض اعضائه وسوء نية بعض آخر بمن عملوا فى ظل الحزب من اعضاء الجمعية اللبنانية والجمعية البيروتية . طعنوا هذه الحركة فى صميمها بربط

(١) العمري الموصلى ، محمد طاهر : تاريخ مقدرات العراق

السياسية المجلد الاول ١٦٧ بغداد المطبعة العصرية ١٩٢٥ .

(٢) انطونىوس : بقظة الغرب ١٢٢

مقدرات بلادهم بمنافع استعمارية للدول الطامعة . أو باستسلامهم
الاعمى لما توشمونه من حسن نية فرانسا أو بريطانيا .

ب - مؤتمر باريس العربي ١٩١٣

في تلك الظروف الدولية الحرجة التي كانت تحاك فيها
المؤامرات حول بلاد الدولة العثمانية ، دعا عدد من الشباب العرب
كانوا قد اسسوا جمعية سرية اطلقوا عليها اسم « الفتاة » (١) الى
مؤتمر عربي يعقد في باريس . وتألقت لجنة تحضيرية من ثمانية
شباب أربعة منها من مؤسسي الفتاة هم عبد الغني العريسي ، وعوني
عبد الهادي ، وجميل مردم ، ومحمد المحمصاني . وجهت بيانا
بالدعوة الى عقد مؤتمر « يقوم به السوريون ويمثل به العرب
جميعاً وينبسط فيه للامم الاوروبية انا أمة مستمسكة ، ذات وجود
حي لا ينحل ، ومقام عزيز لا يضام وخصائص قومية لا تنزع ومنزلة
سياسية لا تقزع ، ونصارع الدولة العثمانية بأن الامر كئز قاعده
حياتنا ، وان حياتنا أقدس حق من حقوقنا ، وان العرب شركاء
في هذه المملكة شركاء في الحرية ، شركاء في السياسة ، وأما في
داخلية بلادهم فهم شركاء انفسهم » (٢) .

لبت الدعوة وفود عن حزب اللامر كئز في القاهرة وجميعه

(١) سعيد امين : الثورة العربية الكبرى ١ : ٩

(٢) دروزة عزة : حول الحركة العربية ١ : ٣٨

الاصلاح البيروتية والمنتدى الأدبي ، ومندوبون من السوريين في امريكا ، وبعض شباب العراق . وعقد المؤتمر جلساته التي بدأت في ١٨ حزيران ١٩١٣ في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية بشارع سان جرمن برئاسة عبد الحميد الزهراوي مندوب حزب اللامركزية . وتضمن جدول الاعمال أربع نقاط هي : الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال وحقوق العرب في المملكة العثمانية ، وضرورة الاصلاح على قاعدة اللامركزية ، المهاجرة من سوريا واليهما . وقد دام عقد المؤتمر ستة ايام تقرر فيه مبدأ الاصلاح على قاعدة اللامركزية ، والمحافظة على وحدة المملكة على شرط المحافظة على حقوق العرب كشركاء (١) وحظر فيه على المؤتمرين قبول أي منصب حكومي في حال عدم الاستجابة لهذه المطالب الا بموافقة جميعياتهم ، وجعلت مقرراته منهجاً سياسياً يلزم به العاملون في سبيل القضية العربية .

وقد صرح رئيس المؤتمر في باريس بقوله « نحن لأنتمسك بالوحدة السياسية لأجل الرابطة الدينية ، بل رغبة منا في إيجاد مجموع عثماني قوي يرتقي فيه مجموعنا العربي بدون حائل يقف في طريقه واملا بقيام حكومة رشيدة تكون لنا مشاركة في امورها (٢)

(١) انطونيوس : يقظة العرب ١٢٥

(٢) كتاب سورية للسوريين تأليف مسلم ؟ طبع بيروت ١٣٣٩ هـ من حديث للزهراوي نشر في جريدة الطان الفرنسية في ١٠ حزيران

١٩١٣ .

ولما ظهر ان فرنسا أرادت استغلال المؤتمر ذهب وفد يمثلها الى وزارة الخارجية الفرنسية ليقول لها « اننا نحترم الفرنسيين ولكننا لانرضى ان يكونوا رؤساء علينا ، بل نرغب في معاضدتهم لاصلاح احوالنا بشرط ان نبقى عثمانيين » فكتب وزير الخارجية الفرنسية يقول « ان الحركة العربية قد انقلبت علينا » ونصح بالتظاهر بمساعدتها والسعي بالخفاء للقضاء عليها ! (١) .

واذا كانت الغاية من المؤتمر هي الاعتراف بحقوق العرب كعثمانيين ، في الاشتراك في ادارة الدولة والمحافظة على كياناتهم الخاص ، واسماع صوتهم للرأي العالمي ، كما حدد هذه الغاية الزهراوي لجريدة الطنان الباريسية (٢) ، فان المؤتمر نجح في ذلك وفي توحيد وجهات نظر المنظمات العربية امام الحكومة العثمانية . وقد اضطرت جمعية الاتحاد والترقي الى ارسال سكرتيرها مدحت شكري بك الى باريس لمفاوضة رجال المؤتمر فاتفق معهم على عدة أمور وافقت الحكومة الاتحادية على قسم منها في قرار صدر (٣) في الآستانة في آب ١٩١٣ ينص على ادارة الاوقاف محليا ، وان تكون الخدمة العسكرية في منطقة الجند اثناء السلم

(١) الحصري ساطع : محاضرات في نشوء الفكرة القومية

٢٠١ - ٢٠٢

(٢) العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ١ : ١٧١

(٣) نفس المصدر ١٧٣

وان يكون التدريس بالعربية بجانب التركية ، وضرورة المام الموظفين بالعربية ، كما نص القرار على نوع من الاستقلال المالي وقد قبل العرب الاتفاق متساهلين حسماً للخلاف ، وظهروا حسن نياتهم تجاه الدولة باعراهم عن تعلقهم بالعرش العثماني . ولكن اتضح ان الحكومة العثمانية خدعت العرب ، ووافقت الخلاف في صفوفهم فعينت الزهراوي وستة آخرين في مجلس الاعيان ومناصب أخرى بمرسوم صدر في ٤ كانون الثاني ١٩١٤ قبل تنفيذ المطالب وخلافا لمقررات المؤتمر ، وعمدت الحكومة للتملص من اتفاقها بحملها عددا من الرجال العرب ، وبينهم بعض رجال الدين ، على مهاجمة الاتفاق ، والدعوة الى صرف النظر عنه ، وتأييد الحكومة حفاظاً على وحدة المملكة أمام الاخطار (١) .

كان مؤتمر باريس ونتائجه مرحلة حاسمة في العلاقات بين العرب والترك ، ودفع الترك لرفع القناع ، واوضح للعرب طريق الخلاص ، ورد على ألعايب المستعمرين وسيطر على المؤتمر جو قومي وطني وابتعدت عن زعامته العناصر النفعية المتساهلة .

على ان الشباب القوميين الذين اقتنعوا بثقل المهمة التي ندبوا انفسهم لتحملها ، وشعروا بحجاجة الظروف الداخلية لجؤوا الى العمل سراً .

(١) العمري : تاريخ مقدرات العراق السياسية ١٧٥

ج - الفاظ السري

فقد تأسس في هذا الدور منظمات قوميتان عربيتان ، قدر لهما ان تلعبا دوراً هاماً في سوريا زمن العهد الفيصلي ، وهما جمعية العهد ، وجمعية العربية الفتاة . وكانت هاتان الهيئتان بصورة خاصة مظهرًا خطيراً من مظاهر سرعة تطور الفكرة العربية ورسوخها ، وكانتا رد فعل على الحركة القومية التركية التي سار عليها جماعة الاتحاديين . وقد اعتمدتا النشاط السري وحده في العهد العثماني ، مسترشدتين بالجمعيات القومية الاوروبية والتركية الاولى التي سلكت هذا السبيل لتحقيق اهدافها في الوحدة والاستقلال أو كفاح الطغمان القائم (١) أولهما : **جمعية العهد** : سبقت نشأة هذه الجمعية ، جمعية أخرى كانت مرحلة اولى في قيامها هي :

الجمعية القحطانية : تأسست في الاستانة عام ١٩٠٩ من مدنيين وعسكريين بينهم الزهراوي وعزيز علي المصري وسليم الجزائري وكانت تعمل في سبيل الملكية المزدوجة العربية - التركية . ومارست نشاطها سرّاً وبصورة شفوية فقط . واتبعت في ذلك طرقاً دقيقة في الادخال والتعارف بين الاعضاء ، وقد اهتم بعض اعضائها بالدعوة بين المدنيين ، بينما قصر آخرون نشاطهم على الدعوة في

صفوف الضباط العرب في الجيش ، مما مهد السبيل لقيام جمعية العهد
تم تأسيس جمعية العهد في الآستانة عام ١٩١٣ (١) ، على يد
عزيز علي المصري ، وقد حافظت على مبدأ الملكية المزدوجة ، ولكن
البرنامج الآن صيغ بلغة عسكرية ، واقتصرت على العسكريين
فقط زيادة في الحرص على سريتها ، بعد ان تسببت وشاية احد
اعضاء الجمعية القحطانية بها باعتبارها منحلة من تلقاء نفسها . (٢)
كانت جمعية العهد قومية عربية عملت بكتمان وتنظيم شديدين
وأُسست لها فروع في مدن الشام والعراق الرئيسية . وفي ٩
شباط ١٩١٤ اعتقل عزيز علي في الآستانة وحكم بالاعدام بتهمة
الخيانة . ولكن لم تعز اليه المحكمة أية تهمة بالعمل في جمعية سرية
لجلها أي شيء عن الجمعية . ولكن الاتحاديين ، وكانوا يصفونه
بأنه بيت الفكرة العربية في الجيش (٣) ، ارادوا القضاء عليه .
وقد أدت محاكمته الى هياج الرأي العام العربي وكانت سبباً في
النفرة بين العرب والترك ، كما كان لها صدى في الصحافة الاوروبية .
فاطلق سراحه بعد توسط السفراء الاجانب . فسافر الى القاهرة
وبقي فيها حتى اعلان الحرب العالمية الاولى .

(١) العمري :- مقدرات العراق السياسية ١ :- ٣٦٩

(٢) انطونيوس :- نقطة العرب ١٢٦

٣ العمري :- مقدرات العراق ١ :- ٣٦٩ - ٣٠٧

وفي القاهرة أسس عزيز علي مع الابقاء على جمعية العهد
الجمعية الثورية العربية ، دعت صراحة الى الاستقلال التام وتأليف
دولة عربية لا مركزية . (١) وكانت على اتفاق تام مع حزب
اللامركزية في القاهرة .

أما المنظمة القومية السرية الاخرى التي نشأت في هذه الفترة
ايضاً وكان لها دور رئيسي في سورية بعد الحرب الماضية الاولى فهي:-
جمعية العربية الفتاة :- أسست في باريس عام ١٩١١ ومؤسسوها
سبعة من الشبان العرب السوريين وواحد منهم عراقي (٢) وكانت
تهدف ، بادىء الامر ، الى النهوض بالامة العربية وعدم الانفصال
عن الترك ، وكان أهم اعمالها تهيئة المؤتمر العربي في باريس ،
دون ان يعرف من أمر الجمعية شيء ، ولكن بعد اعلان الحرب
صارت تدعو الى الانفصال والاستقلال الناجز . (٣)

كانت هذه الجمعية عربية قومية تعمل في نطاق امة عربية ،
وكيان عربي موحد ، لا يقبل فيها الا العرب عسكريين كانوا
او مدنيين ، سرية لا يتم الانتساب اليها الا بعد اجتياز ادوار
اولها الترشيح ، أي ان يرشح احد اعضاء الجمعية شخصاً دون
علمه امام الهيئة الادارية ، فاذا درس الترشيح وقبل ففتح المرشح

(١) ايضاحات عن المسائل السياسية ٢٥ و ٢٩

(٢) دروزة ، غزة : حول الحركة العربية ١ : ٢٨

(٣) سميد ، امين الثورة العربية الكبرى ١ : ٩

بذلك فيدعى إلى حلف اليمين بالأخلاص لمبادئ الجمعية وأهدافها التي تنص على بذل الجهد لايصال الأمة العربية إلى مصاف الأمم الراقية الحرة والمستقلة الكبرى (١) .

انتقل مركزها إلى بيروت ١٩١٣ ثم إلى دمشق عام ١٩١٤ . وقد امتازت بعدد من الصفات اللازمة لنجاح الحركات السرية والقومية خاصة ، منها متانة إيمان أعضائها وإخلاصهم ، وشدة فعاليتهم ، والكمائن الشديد ، حتى أنه لم يعرف عن وجودها شيء حتى في محاكمات ١٩١٥ - ١٩١٦ التي جرت في الديوان العرفي في عاليه ، وأدت إلى الكشف عن نشاط الجمعيات وإسرارها ، وبرغم إعدام اثنين من مؤسسيها هما محمد الحمصاني وعبد الغني العريسي ، وبعض أعضائها الآخرين ..

د - موقف الرهائن العربية في الحرب العالمية الأولى :-

وقد لعبت جمعية العربية الفتاة دوراً هاماً في تطورات القضية العربية إبان الحرب ، وقد اتصل بعض أعضائها بفيصل في دمشق في ٢٦ آذار ١٩١٤ وهو في طريقه إلى الآستانة ، فلما أوضح لهم أن تفضيله للترك هو بسبب خشيتهم من أوروبا (٢) ، اكتشفوا أن هذا الشعور يتفق مع قرار سري للفتاة اتخذ قبل أشهر تقرر

(١) دروزة :- حول الحركة العربية ١ :- ٢٩

(٢) نفس المصدر ١ :- ١٩ .

فيه انه في حالة ظهور مطامع اوربية في البلاد العربية ينبغي على ان تعمل الى جانب تركيا في مقاومة النفوذ الاجنبي مها كان نوعه وشكله وتم التفاهم بعد ذلك بين فيصل الجمعية فعرّفوه على سرها فأقسم اليمين على الاخلاص لها . (١)

وفي ظرف احتمال دخول تركيا الحرب ارسل عزيز علي المصري كتاباً الى الاعضاء البارزين في جمعية العهد ، يؤكد لهم ان واجب العرب يقضي بالوقوف الى جانب تركيا ما داموا غير حازين على ضمانات قوية تبديد مخاوفهم من من اطاع اوروبا . فناء هذا القرار مؤيداً لموقف هيئة الفتاة . ولم يكن أعضاء الفتاة والعهد مطلعين حتى ذلك الوقت على المفاوضات التي كانت قد بدأت بين الحسين وكتشنر المقيم البريطاني في مصر في عام ١٩١٤ . وعندما عاد فيصل الى دمشق في ٢٣ ايار ١٩١٤ سلمه اقطاب الفتاة والعهد متفقين بياناً (٢) تضمن المطالب العربية التي يتوقف على القبول بها التعاون بين العرب وبريطانيا ، وطلبوا اليه حملها الى والده ليستوضح رأي بريطانيا بها ، بعد ان علموا بامر المفاوضات الدائرة . ويتضح اثر هذا البيان في الرسالة التي وجهها الحسين الى مكماهون في ١٤ تموز ١٩١٥ (٣) شارحاً قضية العرب في

(١) انطونيوس :- يقظة العرب ١٧١

(٢) نفس المصدر :- نص البيان ١٨٦

(٣) دروزة :- حول الحركة العربية ١ :- ٥٠ - ٥٢ والعربي :-

الاستقلال ، محدداً الدولة العربية العتيدة ، عارضاً مشروع معاهدة عربية انكليزية من خمسة مواد تمنح انكليترا امتيازات اقتصادية، وتنص على تعاون عسكري لمصلحة الفريقين وذلك لمدة خمسة عشر عاماً قابلة للتديد . ويتضح هذا الاثر كذلك في الرسائل الاخرى التي يتمسك فيها الحسين بالمطالب العربية .. وفي منشور اعلان استقلال العرب في ٢٦ حزيران ١٩١٦ .

وقد طالب رشيد رضا وعزيز علي ، باسم حزب اللامر كزية والجمعية الثورية العربية ، في القاهرة بضمانات من الانكليز باستقلال العرب كشرط أساسي للدعوة الى الثورة (١) . وكان من ابرز نشاط السوريين السياسي المذكورة التي رفعها سبعة منهم بواسطة الدوائر البريطانية في القاهرة إلى المراجع المسؤولة يستوضحون فيها عن موقفها من استقلال البلاد العربية ومستقبلها وحصلوا بنتيجتها في ٢٣ تموز ١٩١٨ على تصريح فيه تأكيد للوعود البريطانية السابقة .

واصبحت الثورة ضرورة قومية ، بعد أن حصل العرب على ضمانات لمستقبلهم السياسي ، وثقوا بها ، وبعد أن أطاح ديوان الحرب العرفي بعدد من الوطنيين المخلصين من السوريين . وبعد وبعد أن تقل الضباط ، والافواج العربية الى الجهات لاحباط ما

— مقدرات العراق السياسية ١ ، ١٧٩ — ١٨٠ نص الرسالة .

(١) انطونيوس :- يقظة العرب :- ١٧٩ .

كان يدبر من الاعمال الثورية في صفوف الجيش ، هذه الاعمال التي بلغ من خطورتها ما دعا جمال باشا إلى التصريح بأنها « لو خطرت لها فكرة التمرد لما كان لدي وسيلة لمنع الثورة وتسكينها » (١). وعند اندلاع نار الحرب واشتراك الاتراك فيها كان الضباط يفرون الى صف الحسين أو يستسلمون الى الانكليز لعلمهم باتفاقهم مع الشريف (٢) ، وعندما تألفت أول حكومة عربية في الحجاز في ٤ كانون الاول ١٩١٦ كان عزيز علي المصري وكيلاً للحرية فيها ولكنه استقال سريعاً بعد أن نظم الجيش مع الضباط الآخرين وبينهم نوري السعيد . وقام محمد شريف الفاروقي وهو ضابط من اعضاء العهد والفتاة بعهمة المعتمد العربي في القاهرة ، فاطلع الحكومة العربية على اتجاهات السياسة الدولية وموقفها من القضية العربية ، وآراء الاحزاب والجمعيات في القاهرة ، التي كانت تصطرع فيها وجهات النظر ، وكان بعضها يعمل بوحى أجنبي (٣).

هـ - مميزات الحياة الحزبية في العهد العثماني :-

بعد هذه النظرة الشاملة على الاحزاب العربية ومبادئها وأهدافها وأدوارها في العهد العثماني ، ما هي الصفات التي اتصفت بها ؟

(١) العمري :- مقدرات العراق السياسية ١ :- ٢٠١ -

(٢) نفس المصدر ٢٢٠

(٣) نفس المصدر ٢ :- ١٧٠

لم تكن الاحزاب التي اطلعنا عليها حتى الآن احزاباً برلمانية علنية كالاحزاب المعروفة ، ولكنها كانت حركات ومنظمات في اشكال مختلفة ، عملت في سبيل التحرر القومي . وهي في مجال عملها المفيد اضطرت الى اتباع طريقة العمل السري ، والتستر وراء اهداف علنية ظاهرة ، حتى انه لم يكن لبعضها برامج مكتوبة .

وقد قطعت هذه الحركات المراحل التي تسير بها عادة الحركات السياسية والقومية ، بسرعة كبيرة فهي ما بين ١٩٠٨ - ١٩١٦ انتقلت من مرحلة التنبيه إلى الحقوق القومية والمطالبة بها في نطاق الدولة العثمانية إلى مرحلة الثورة والنضال الاستقلالي منذ عام ١٩١٤ ولكن الظروف الضيقة ، وحراجتها هي التي املت على العرب ربط مستقبلهم القومي بمقدرات السياسة الدولية ، وهذه السرعة التي فرضتها الظروف ، كانت في غير مصلحة العرب ، إذ لم يتهيأ في ذلك الوقت الوعي الشعبي الذي يسند الفئات المناضلة الواعية ، ويقرر بارادته مصير بلاده ، متحرراً من فكرة المحافظة على الوحدة السياسية مع الترك بسبب الرابطة الدينية وحدها ، وبعيداً عن التأثير بالدعايات والمصالح الاجنبية والسير في ركابها ، في ظرف رافق فيه سعي العرب إلى فرض نفوذها على بلادنا . وأمام هذه الصعوبات والظروف القاسية من جهة ، وأشدّها خطراً نفوذ التأثير الاجنبي في بعض الأوساط ، وتعدد الهيئات

السياسية وتنافر رجالها من جهة ثانية ، لم توفق هذه الحركات
التي سبق الكلام عليها ، إلى ما طمحت به من تأسيس كيان
عربي حر مستقل موحد . ولكنها مع ذلك كانت عاملاً في
بعث الفكرة القومية العربية ونشرها ، ونقل القضية العربية إلى
الميدان الدولي كقضية مميزة مستقلة ، لأمة تتطلع إلى بناء كيان
حديث لها بين الأمم



الفصل الثاني

الحياة الحزبية في عهد الاستقلال الاول

رأينا في الصفحات السابقة كيف بدأ نشاط السوريين السياسي بعد اعلان الدستور العثماني ، واطلعنا على المساعي التي تلت مؤتمر باريس العربي عام ١٩١٣ للثورة العربية على الترك في سبيل الاستقلال التام ، وكان هذا الهدف هو الذي اعلنه المؤتمر السوري ، باحزابه المختلفة حينما قال في قرار اعلان الاستقلال « ان الامة العربية لم تثر على حكم الاتراك الا طلبا للاستقلال التام والحياة الحرة بصفتها ذات وجود مستقل ، وقومية خاصة لها الحق في ان تحكم نفسها بنفسها اسوة بالشعوب الأخرى التي لا تزيد عنها مدنية ورقيا . » (١) ولكن الاحزاب والجمعيات العربية التي سعت للتخلص من حكم الاتراك قصرت في التفكير فيما ينبغي عمله بعد ذلك ، وهذا ماسبب البلبلة والتعقيد اللذين يلازمان هذه الفترة الحرجة التي مرت في تاريخ سوريا بين ٥

(١) الحصري ساطع : يوم ميسلون ص ٢٦٢ مطبعة الكشاف

تشرين الاول ١٩١٨ الى ٢٤ تموز ١٩٢٠ .

كان هذا العهد الذي سندرس الحياة الحزبية فيه ، عهداً قومياً عربياً ، يعمل لتمهيد الطريق الى الوحدة الكبرى (١) .
وصرفت جهود كبيرة فيه ، لاجلال الوحدة القومية محل التعصب الطائفي فقد كان فيصل يقول : (العرب هم عرب قبل موسى وعيسى ومحمد) . (٢)

أما أهم الأحزاب في هذا الدور فهي : جمعية العربية الفتاة وحزب الاستقلال ، وحزب العهد ، وحزب الاتحاد السوري ، والحزب الوطني السوري . ولا بد قبل البدء بدراستها من استعراض أهم الحوادث ومواقفها منها :

أهم الحوادث التي مرت بهذا الدور هي :

اتفاق فيصل - وايزمن : حمل فيصل خلال زيارته الاولى الى اوروبا ، على توقيع اتفاق مع الصهيونيين في لندن في ٣ كانون الثاني ١٩١٩ كان أهم ماورد في بنوده التسعة كما ذكرها مؤلف

(١) امين سعيد : الثورة العربية الكبرى المجلد الثاني ص ٦٦ من تقرير اللجنة الاميركية للاستفتاء .

(٢) الحصري ساطع : يوم ميلون ١٩٨ الطبعة الثانية من خطابه

في حلب ١١ تشرين الثاني ١٩١٨

كتاب يقظة العرب (١) هو الاعتراف بكيان خاص لفلسطين ،
 يكون لليهود السيادة فيه ، وقد استند فيصل الى وعد بلفور
 الصادر في ٢ تشرين الثاني عام ١٩١٧ لحفظ حقوق العرب المدنية
 والدينية في فلسطين . ولكن فيصل كان يقدر قيمة هذا الوعد
 فاشترط قبول بريطانيا بتنفيذ المطالب التي وعدت العرب بتنفيذها
 حتى يكون ملزماً هو بتنفيذ بنود هذا الاتفاق ، واعتبر نفسه
 في حل منه ، كما كتب بخط يده في اسفل البنود ، في حالة
 عدم تنفيذ بريطانيا لتعهداتها وقد اعترف وايزمن في مذكراته
 بذلك ، وبقي هذا الاتفاق سرّاً مكتوماً عن الاحزاب السياسية
 ولم يعرف من أمره شيء حتى ثارت المشاكل بين العرب واليهود
 في فلسطين عام ١٩٢٩

اللجنة الاميركية ومطالب البلاد : وعندما عاد فيصل الى سورية
 في مايس عام ١٩١٩ لم يطلع الا المقربين على مخاوفه من سير
 السياسة الدولية ، ولكنه راح يعلق الآمال على مجيء لجنة التحقيق
 الدولية التي كان قد تقرر ارسالها . ومنذ ذلك الوقت انتشر الذعر
 بين الناس وبذلت المساعي المنظمة لاهاجة الجمهور ضد فيصل بسبب
 تكتمه الذي وصف صراحة بأنه موضع الشك لعدم وجود مبرر له (٢)

 (١) انطونيوس : يقظة العرب الطبعة الانكليزية راجع الملحق
 الخاص بالاتفاق .

(٢) انطونيوس جورج : يقظة العرب الطبعة العربية ص ٣٢١
 ترجمة علي حيدر الركابي دمشق مطبعة الترقى ١٩٤٦

وبناء على اقتراح رجال السياسة والاحزاب ، واتفق على الدعوة الى انتخاب مؤتمر سوري عام لتمثل البلاد والتكلم باسمها امام اللجنة الدولية ، وقد عقد المؤتمر اولى جلساته في ٧ حزيران ١٩١٩ في النادي العربي بدمشق . وفي ١٠ حزيران قدمت لجنة (كنف - كراين) أو القسم الاميركي من لجنة الاستدابات الدوائية في تركية كما كانت تعرف رسمياً ، وفي ٣ تموز سلم رئيس المؤتمر السوري الى اللجنة قراراً بمطالب البلاد (١) عرف فيما بعد ببرنامج دمشق ، واصبح نموذجاً لأكثريّة العرائض التي قدمت الى اللجنة .

تلقت اللجنة خلال اقامتها في سوريا ١٨٦٣ عريضة تحمل ٩١٠٧٩ توقيعاً طالبت بالمطالب الآتية مرتبة حسب نسبتها المئوية من مجموع العرائض (٢) : سورية المتحدة بمحدودها الطبيعية وضمها كيميائية وفلسطين ، الاستقلال الناجز وبعضها طلب المساعدة الاجنبية الفنية والادارية ، والاستقلال والحرية الاقتصادية للعراق ، رفض المطالب الصهيونية في فلسطين ، وجاء في العرائض طلب المساعدة من الولايات المتحدة الامريكية اولا فان لم تقبل فانكلترا ، ونالت فرنسا نسبة ضئيلة ، واحال عدد كبير من

(١) امين سعيد : الثورة العربية الكبرى المجلد الثاني ص ٤٨

(٢) راجع نص التقرير الذي قدمته اللجنة الى جمعية الامم في

المواطنين امر اختيار الدولة المنتدبة الى المؤتمر السوري ، وطواب
 بإنشاء مملكة ديموقراطية دستورية برئاسة فيصل ، واحتج على
 الانتداب والمعاهدة السرية . وقد وصفت اللجنة هذا البرنامج
 بأنه « كان نتيجة اتفاق احزاب مختلفة متضاربة لأن الكل شعروا
 بوجوب الاتحاد والتضامن لسلامة الوطن ، وكان لسعي الحكومة
 والأحزاب الأخرى تأثير على الاحزاب المتطرفة الى اليسار أو الى
 اليمين ، فسارت في الصف بعد نشوزها ، مثل الذين كانوا
 يطلبون الاستقلال التام بلا وصاية ، أو الذين كانوا يطلبون
 الوصاية وحدها ، ومما لا ريب فيه ان مواد هذا البرنامج الرئيسية
 تعبر عن فكر الجمهور العام » . وكانت النسبة التي حصت عليها
 كل دولة اجنبية تعبر عن مدى النفوذ الذي اكتسبته بتأثير
 الدعاية الخاصة بها والتي كانت قائمة على قدم وساق وبصورة علنية
 وقد اوصت اللجنة ، التي لم يكن لعملها تأثير في تقرير مصير
 البلاد ، بتوصيات كانت في مصلحة القضية العربية بصورة عامة
 فأوصت بالاعتراف بحقوق العرب واستقلالهم والحد من البرنامج
 الصهيوني ، والعدول عن فكرة اقامة حكومة يهودية فيها وعدم
 تجزئة سورية .

بدء الاصطدام بالفرنسيين : والحادث الذي بدأ به الاصطدام
 بالفرنسيين هو الازمة التي قامت بسبب استبدال قوات فرنسية
 بقوات بريطانية في القضية الاربعة ، تنفيذاً لخطة فرنسا المقررة

لاحتلال سوريا . وقد وقف الشعب موقفاً مشرفاً ، وقامت المظاهرات تدعو الحكومة للوقوف موقفاً حازماً أمام هذه المؤامرة التي تعني تنفيذ اتفاقية سانكس - بيكو بخذايرها ، ورأى في السكوت عنها تنازلاً عن المطالبات القومية في الوقت الذي كان ينتظر فيه الجميع جلاء القوات الاجنبية عن البلاد . ووقفت احزاب المؤتمر السوري صفاً واحداً تجاه هذه الازمة الخطيرة وانتهى الأمر بتجريد المنطقة وتكليف الدرك السوري بتأمين الأمن فيها . ومنذ ذلك الوقت اشتدت المقاومة الاهلية بقيام ثورات الدنادشة في تللكخ والشيخ صالح العلي في جبال العلويين والامير فاعور في جبل عامل بتنشيط الاحزاب وتشجيعها .

اتفاق فيصل - كلمنصو : وقد اضطر فيصل بدفع الانكليز (١)

ايضاً الى مفاوضة الفرنسيين ، واجتمع في باريس بكلمنصو رئيس الوزارة الفرنسية في ٢٧ تشرين الاول وتوصل الطرفان الى اتفاق مبدئي سري في ٦ كانون الاول ١٩١٩ ، عدل باتفاق آخر عقد في باريس ايضاً في ١٦ كانون الاول ، كان اكثر تفصيلاً من الأول وأدق وأوضح منه ، واحسن تأمينا لمصلحة سوريا نسبياً (٢) وابقى على التحفظ الذي ينص على كتمان هذا الاتفاق

(١) انطونيوس : بقطة العرب ٣٣١

(٢) النص الكامل للاتفاقيتين في الجزء الثالث من مقدرات العراق

السياسية : محمد طاهر العمري ١٧٧ - ١٨٢

وكان فيصل يميل الى توقيع المعاهدة نهائياً بناء على نصيحة
كلنصو نفسه ، وعلى موافقة بعض مراقبيه ، ولكن الدكتور احمد
قدري وهو من اقطاب الجمعية العربية الفتاة وكان يرافقه في رحلته
لم يوافق على ذلك ، فعاد الى سوريا دون توقيع المعاهدة (١)
وهو عندما عاد الى دمشق في كانون الثاني ١٩٢٠ اضطر الى
طرح المشروع جانبا أمام الهيجان الشعبي الذي قوبلت به اخبار
الاتفاق بتأثير الاحزاب ، وساد في البلاد اتجاه باحداث أمر
واقع باعلان الاستقلال . وامام ضغط الاحزاب والرأي العام
اضطر فيصل الى التصريح ثأراً في احدى خطبه « انا لآتخيفي
قوة الحكومة ولا قوة الجمعيات وانما اخاف التاريخ » (٢) وقد
اكرهت الاحزاب الركابي على تقديم استقالة حكومته ، ليلة
الى التفاهم مع الحلفاء وتألقت في ٢٦ كانون الثاني حكومة مجلس
مديرين برئاسة الامير زيد ، وكان أمين التميمي معاوناً له ،
ويوسف العظمة رئيساً لاركان حرب الجيش وهما من جمعية الفتاة .
اعلان الاستقلال : ودخلت البلاد مرحلة جديدة خطيرة
باعلان الاستقلال ، وملكية فيصل بقرار اتخذه المؤتمر السوري

(١) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ٢ : ١٩٠ والحصري :

يوم ميسلون ٨٠

(٢) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ٢ : ١٢٣

في ٧ آذار ١٩٢٠ تنفيذاً لخطة « الفتاة و الاتحاد السوري » (١) ومؤيديها ، طالب فيه بالجلاء عن الاراضي السورية رافضاً المزاعم الصهيونية ، معتبراً نفسه هيئة تأسيسية ومجلساً نيابياً ، واعلن حق العراق بالاستقلال على ان يكون بينه وبين سوريا اتحاد سياسي واقتصادي . ولم تكن هذه الخطوات ، تقل خطورة عن الخطوات التي قطعها الاحداث الوطنية الكبرى في التاريخ ولكن الظروف السيئة والعقبات التي قامت في الطريق ، قدرت لها ان تصبح في حيز الاماني ، بعد ان دخلت في نطاق الفعل امداً قصيراً . وقد حملت « جمعية « الفتاة » وهي الجبهة المتطرفة من الاحزاب يومئذ ، حكومة الركابي المسالمة على الاستقالة بالتطابق مع الملك (٢) والف هاشم الاناسي في ٣ مايس وزارة جديدة يكون اولهما المحافظة على الأمن والراحة في الداخل والدفاع عن حقوق هذا الوطن ازاء كل من يريد به سوءاً ، او الوقوف في سبيل استقلاله المقدس من الخارج ، كما جاء في كتاب التكليف الملكي واشترك فيها الدكتور عبد الرحمن شهنندر وزيراً للخارجية ، وكان ينتمي الى الاتحاد السوري المتسم بسمة المعارضة ويوسف العظمة وزيراً للحربية . وكان هذان الوزيران يمثلان فكرة الدفاع .

(١) العمرى : مقدرات العراق السياسية ٣ : ١٨٨

(٢) دروزة : حول الحركة العربية ١ : ١٢٢ امين سعيد : الثورة

العربية الكبرى ٢ : ١٤٢

وكان أول أعمال الحكومة عقد قرض وطني ، وتوسيع نطاق
التجنيد . وارسل رئيس ديوان الملك رسالة الى وزير الخارجية
البريطانية ، طالباً اليه الاعتراف بفصل ملكا ، قبل ذهابه الى
اوروبا ، بناء على دعوة الحكومة البريطانية للتفاهم معه . (١)
وسادة البلبلة افكار الناس ، وتراوحت اذهانهم بين التفاؤل
والتشاؤم بتوالي الحوادث السريع ، فكبت آنئذ جريدة الدفاع
في ٧ مايس « ان سياسة التخدير التي سلكتها المملكة السورية
الجديدة كانت اعظم خدمة لسياسة الاستعمار في البلاد من جيش
الجنرال غورو نفسه ، وان كانت مقاصد هذه غير مقاصد ذاك » (٢)
وفي ٩ ايار تلا وزير الخارجية امام المؤتمر السوري بيان
الحكومة (٣) واعلن ان خطتها تقوم على : اولا - تأييد استقلالنا
التام الناجز المتضمن في جملة مايتضمنه حتى التمثيل الخارجي .
ثانيا - المطالبة بوحدة سورية بمحدودها الطبيعية مع رد طلب
الصهيونيين . ثالثاً - رفض كل مداخلة اجنبية تمس استقلالنا
القومي مع المحافظة على صداقة حلفائنا ، وسجل البيان على مؤتمر
سان ريمو اعترافه باستقلال البلاد ولكنه استنكر قيد الانتداب

(١) الحصري : يوم ميسلون ٢٧٠

(٢) جريدة الدفاع سنة ١٩٢٠ العدد ٩٦

٣ نفس المصدر العدد ٩٨

لقد كانت هذه الخطوة بالواقع ايذانا بالصدام مع فرنسا وتقضا
لسياسة فيصل في اتفاهه مع وايزمن ومع كمنصو . ولم تل الحكومة
ثقة المؤتمر الا بعد ان اعلنت انها حكومة دفاع وطني .

الدستور : وكانت لجنة خاصة من المؤتمر قد هيات مشروعا
للدستور لم يتمكن المؤتمر التأسيسي من ابرامه لانهاء العهد الفيصلي
وقد نص المشروع على ان الحكومة هي حكومة ملكية مدنية
وراثية نيابية . وتدير البلاد ادارة لامركزية ، وان الملك محترم
وغير مسؤول ونص على احترام الحريات الشخصية والدينية وحق
تأليف الجمعيات ضمن القانون .

الاحزاب والملك : واشتد الخلاف في عهد وزارة الاتاسي
بين العناصر الوطنية المتطرفة الممثلة بالفتاة والعهد ، والملك الميال
الى المسالمة ومحاولة الاتفاق مع فرنسا ، على اساس اتفاقية فيصل -
كمنصو أو ما يشبهها ، رغم ادراكه لشعور الرأي العام نحوه ،
الذي بدأ يعتقد انه يخونه مع الفرنسيين (١) وكان متفائلا حتى
انه خطب في المؤتمر في ٦ آذار أي قبل اعلان الاستقلال بيوم
واحد قائلا « فرحلاتي الرسمية العديدة الى اوروبا والاحاديث
والكتابات التي جرت بيني وبين ساستها لم تبقي في نفسي مجالا
للشبهة والتردد في نيات حكوماتها الحرة » ! فأجابه المؤتمر في

(١) امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ٢ : ٢٢٣ من مذكرة

الملك الى لويد جورج في ١١ ايلول ١٩٢٠

الرد على خطبة الامير بالاحتجاج على بقاء الاحتلال العسكري الثقيل على البلاد . (١) وقد ناصر الملك في رأيه اكثر الاقطاعيين والاعيان ممن تكتلوا في الحزب الوطني السوري ، وفريق من الفتاة ، ولكن جمهرة اعضاء الفتاة كانت تعتقد ان النتيجة في حالة الخزم ، والوقوف موقفا مشرفا لن يكون بالنسبة لمستقبل البلاد اسوأ من موقف التساهل والضعف .

الانذار : وتأزمت الامور بعد الانذار في ١٤ تموز ، واستغل غورو تسرع الحكومة بقبوله لتنفيذ خطواته التالية بعد ان لمس ضعف الملك وحكومته . بينما كان الفريق الدفاعي يرى في امكانيات القوى الرسمية والثورات القائمة ، وتصميم يوسف العظمة ، املا بتدخل العالم الاوروبي ، وايجاد حل مشرف (٢) . وكان وزير الحربية قد القى بالنيابة عن الحكومة بياناً في ١٣ تموز ، في المؤتمر اعلن فيه انها لا تريد الا السلم والمحافظة على شرف البلاد واستقلالها ، وتنبأ من كل تهمة تفيد الاخلال بالعلاقات الودية مع (حليفنا وحلفائنا) وعدم رفض المفاوضات ، ورفض أي حل يعس الاستقلال ، والاستعداد والتصميم على الدفاع عن شرفنا وحقوقنا . (٣) ثم اصدرت

(١) العمري : مقدرات العراق ٣ : ٢٠٥ - ٢١٠

(٢) دروزة : حول الحركة العربية ١ : ١٢٨ - ١٢٩

(٣) جريدة الدفاع : وقائع الجلسة سنة ١٩٢٠ العدد ١٥٢

الحكومة بلاغا عاما بتأييد الادارة العرفية .

ولكن الحكومة مالت مع الملك الى سياسة عدم الدفاع ،
بينما كان رأي يوسف العظمة الدفاع مهما كانت الظروف ، وقدر
امراء الجيش امكانية الدفاع لمدة عشرين يوما ، وصرح احد اعضاء
المؤتمر أمام الملك ان الدفاع لايراد به الكسب العسكري بل
الكسب السياسي وافهام الرأي العام الدولي ان السوريين يطلبون
الاستقلال بدمائهم . (١)

وتقدمت الحكومة باستقالتها ، ولكن لما اعتذر ياسين الهاشمي
عن تأليف حكومة جديدة ، تقرر بقاءها فعملت جلسات المؤتمر
في ١٩ تموز وأمر اعضاءه بالانصراف ، بينما كان الشعب في هياج
وبلبلة ، والمظاهرات قائمة بتأثير اللجنة الوطنية تطالب بالدفاع
وقد استطاع المؤتمر اذاعة بيان على الشعب في اليوم نفسه ، وسلمه
الى معتمدي الدول ، وكان آخر بيان له اعلن تمسكه باسم الامة
بالقرارات التاريخية ، ويعتبر الحكومة لاخلالها بعهدا ، غير
شرعية وصك قبولها للانذار غير صحيح . وكتب فيصل فيما بعد
يبرر قبوله الانذار برغبته في تقادي « المصيبة » وثقته بأخذ
العدل مجراه بعد عرض القضية على الرأي العام الدولي . (٢)

(١) العمري : مقدرات العراق السياسية التفصيل في ٣ : ٢٤٠ - ٢٤٦

٢. امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ٢ : ٢٣١ من رسالة

فيصل الى لويد جورج ايلول ١٩٢٠

وانتهى العهد الاستقلالي الاول على روايي ميسلون في ٢٤ تموز
ومغادرة الملك فيصل دمشق في ٢٨ منه ، وما كانت الوقائع التي
انتهت بيوم ميسلون ، في حقيقة الامر الا حركات عسكرية
استهدفت القضاء على المقاومة الفعلية التي بدأت في المنطقة الشرقية
مع أزمة الاستبدال (١) وظهر للعيان ان فرانسوا لم تكن مستعدة
للتنازل عن الغنيمة التي كسبتها في اتفاقية سايكس - بيكو ،
ومؤتمر سان ريمو ، في الوقت الذي كانت فيه حليفها بريطانيا
تشهر السلاح بوجه الشعب العراقي لكسب حصتها المقررة .

ب - الجمعيات والاعزاب :

في غمرة هذه الاحداث التي ذكرناها ، كانت الهيئات
السياسية الهامة ، هيئات نشأت في دور النضال ضد الحكم التركي
كجمعية الفتاة والعهد ، او انها كانت تطورا عن حزب سابق
كحزب الاتحاد السوري ، او ظهرت في تلك الفترة كحزب
الاستقلال ، والحزب الوطني السوري ، واللجنة الوطنية العليا .

جمعية العربية الفتاة : ظلت هذه الجمعية سرّاً مكتوماً حتى
اذاعته هيئتها المركزية في الخامس من شباط ١٩١٩ واعلنت انها
ستمارس نشاطها العلني باسم حزب الاستقلال العربي . (٢)

(١) الحصري : يوم ميسلون ٢٥٩

(٢) انطونيوس : يقظة العرب هامش ص ٣٢٢

واستعمرت الجمعية السرية تعمل في الخفاء وكان هذا الاتجاه سليماً بالنسبة الى جمعية حملت على عاتقها مهمة قومية في ظرف دقيق لا يقل خطورة عن خطورة العهد التركي ، فالقوات الاجنبية البريطانية والفرنسية كانت موجودة في البلاد ، وكان لابد للناظر البصير من التطلع الى الافق البعيد حتى يرى ملامح المستقبل الغامض . ومع ذلك فقد كان هناك مجال « للفتاة » لتوسيع نشاطها ، فأنشأت فرعاً للدعاية والاستخبارات ، ونالت مساعدات مالية من فيصل بالاضافة الى ما كانت تجمعها من اشتراكات الاعضاء وتبرعات الاثرياء منهم ، وهم كثيرون . وكانت هذه الجمعية مدنية لا تضم الا عدداً من العسكريين ، وعدت صاحبة الدور ومبتنيته ففصل نفسه منها والركابي وياسين الهاشمي رئيس مجلس الشورى الحربي ويوسف العظمة وهاشم الاتاسي كلهم منها . وعدد من معاوني الملك كان ينتمي اليها من بينهم عوني عبد الهادي ، سكرتير الملك الخاص . وقد بلغ من تأثيرهم على الملك انه لم يكن يخل في جميع ساعات يقظته من الاجتماع الى بعضهم واخذ رأيهم في كل عمل أو شأن (١) وكان لها بذلك يد مباشرة في تسيير دفة الحكم وتوجيهه . وضمت كبار موظفي الدولة من اعضائها القدماء ، او من انتسبوا اليها بعد تسلمهم مناصبهم ، وفئة مثقفة من المحامين والاطباء والأدباء .

ولكن الهيئة المركزية للفتاة تساهلت في تطبيق شروط الانتساب للجمعية ، وانساق بدافع رغبتها في العمل على تحقيق برنامجها في نطاق دوائر الدولة وسلطاتها إلى قبول عدد غير قليل من الاشخاص بشكل سريع ، دون التأكيد من نياتهم وصدق عقيدتهم . (١)

وفي تنظيمها الجديد هيأت الجمعية الاتصال بأعضائها من طريق اجتماعات شهرية ، عامة يحضرها الاعضاء القدماء ، أي الذين مضى على انتسابهم اكثر من ستة أشهر . كما أنها أمنت الاتصال بالمتسبين الجدد ، بواسطة مندوبين موزعين على المدن السورية ومعتدين في بعض الاقطار العربية .

وتألفت هيئة مؤسسة من المنضمين في العهد العثماني حصر فيها انتخاب الهيئة المركزية المسؤولة أمامها ، والمقيدة بأراء اكثرية الحاضرين ، وفي خلال العهد النيصلي القصير توالى على قيادة جمعية الفتاة ثلاث هيئات مركزية . (٢) تألفت الاولى بعد دخول القوات العربية والحليفة دمشق ، من ستة أعضاء وكان سكرتيرها العام رفيق التميمي ومن أعضائها الركابي والهاشمي والدكتور احمد قدرى . . . ولكن بعد عودة الملك من رحلته

(١) راجع أسماء المنضمين إلى الجمعية في هذا الدور في المصدر

السابق ص ٧٧ .

(٢) أمين سعيد :- الثورة العربية الكبرى ٢ :- ٣٦ وفيها أسماء

أعضاء الهيئات الثلاث .

الاولى وتكتمه وهياج الرأي العام ، وظهور التيارات السياسية المختلفة قبل وصول اللجنة الأميركية ، استقالت هذه اللجنة وتألفت لجنة جديدة ابعد عنها ثلاثة من اللجنة الاولى ممن وصفوا بالمسيرة والاعتدال ودخلها أربعة غيرهم وهم عزة دروزة وأصبح سكرتيراً عاماً ، وشكري القوتلي وسعيد حيدر وأحمد مريود ، فأصبحت اللجنة أشد تماسكاً وأشد ميلاً نحو الحزم والشدة . واستمرت هذه الهيئة تعمل حتى آذار ١٩٢٠ ، فاستقالت بضغط التيارات المعادية لها في داخل الفتاة ، على اثر التشاد بينها وبين حكومة الركابي ، وانتخبت الهيئة الثالثة في اجتماع عقد بدار الركابي وبرئاسة الأمير زيد وكان اكثر أعضائها من الصف المسير للملك ، واختير محمد الشريفي سكرتيراً عاماً لها . وكانت هذه الهزات الانتخابية مثلاً على وجود الجبهات الشخصية وعلى ضعف التماسك والانضباط الحزبي فيها .

وقد نشأ عن هذه الجمعية السرية هيئات حزبية قامت بوجيها وعملت بتوجيهها وهي أحزاب الاستقلال العربي ، والنادي العربي ، وحزب التقدم .

حزب الاستقلال العربي : — أسس ليكون مظهرًا خارجيًا

لنشاط الجمعية السرية ، وليتسع لضم المؤيدين والمناصرين الذين لم يكن من المستحسن انسابهم إلى الجمعية السرية . وقد اتخذ مقرأ له بجانب أوتيل فيكتوريا . وهدفه هو هدف الفتاة الاول :-

استقلال العرب ووحدتهم الشاملة . وله نظام داخلي ينظم الاجتماعات الدورية ومراسم الدخول التي اتباع فيها ما تتبع في الجمعية ، وكانت تشرف عليه هيئة ادارية عامة خاضعة لتوجيهات الهيئة المركزية للفتاة . وقد تمتع الحزب بشهرة كبيرة وانتشر انتشاراً واسعاً احتجبت وراءه شهرة « الفتاة » ، وأسست له فروع في المدن السورية . ولجأت اليه الاحزاب العراقية لدعم مطالب العراق .

النادي العربي : — وتشرف عليه هيئة الفتاة ، واستوحيت فكرته من المنتدى الادبي ، وأصبح نادياً قومياً سياسياً ثقافياً ، وقد ألقى فيه الملك فيصل بعض خطبه وعقد فيه المؤتمر السوري أولى جلساته قبل انتقال المؤتمر إلى بناية العابد . وأسست له فروع في المدن السورية .

أما المؤتمر السوري فقد تألف من خمسة وثمانين عضواً منتخبين وخمسة وثلاثين مندوباً عن القبائل ورؤساء الأديان ، يمثلون جميعاً المناطق السورية الثلاث : الشرقية والغربية والجنوبية وقد ظهرت فيه كتلتان برلمانيتان إحداهما تسمى : —

حزب التقدم : — وكان مظهراً برلمانياً لجمعية الفتاة وحزب الاستقلال ، وقد أوجد لتحقيق أهداف الفتاة داخل البرلمان وكان أعضاء هذه الكتلة هم المثبتون بالاستقلال وخطة عدم التساهل تجاه المطامع الاجنبية من جهة ويحملون مبادئ اجتماعية واصلاحية من جهة أخرى . حتى أنهم تبنوا اقتراحاً تقدم به

عضو المؤتمر مندوب غزة الشيخ سعيد مراد بالمساواة بين المرأة والرجل في الحقوق السياسية . ولقد كان بالإمكان اقرار هذا الاقتراح بعد ان وافق عليه حزب التقدم ، الذي كان يؤلف اكثرية المجلس المطلقة ، لولا أنه اضطر إلى مراعاة الشعور المحفظ الذي كان يمكن أن يثيره المشوشون في ظروف لا تحتمل إثارة الفتن . وقد بقي الحزب طوال العهد مسيطراً على قرارات المجلس واتجاهاته ، وانتخب لرئاسة ثلاثة رؤساء ينتمون إلى جمعية الفتاة وهم محمد فوزي العظم وهاشم الاتالي ومحمد رشيد رضا .

وبالإضافة الى هذا النشاط والتغلغل في البلاط والجهاز الحكومي والمؤتمر . كانت فروع الدعاية والاستخبارات في الفتاة تعمل لنشر اهدافها في صفوف الشعب بواسطة المؤسسات السابقة من طريق عقد الاجتماعات العامة أو المظاهرات التي كانت تنطلق في المناسبات الهامة من النادي العربي الذي كان على صلة برؤساء الاحياء ، أو عن طريق الصحف التي كان يصدرها بعض اعضاء الجمعية أو الحزب أو المؤيدين ، ومنها جريدة المفيد التي كانت تنال مساعدات مالية منها في كثير من الاحيان .

وقد كان لنشاط هيئة الفتاة ولجانها واحزابها دور كبير في تنوير الرأي العام وتوجيهه عند قدوم اللجنة الامريكية وجاءت مطالب اكثرية البلاد مطابقة لمقرراتها ، رغم صعوبة العمل وانتشار الدعايات الاجنبية المتضاربة ، واضطرت الفتاة الى الارتكاز

على ما كان يتظاهر به الانكليز من صداقة العرب ، للوقوف بوجه الضغط الفرنسي (١) ولكن اظهرت الحوادث ان انكلترا لم تكن بالدولة التي يركن الى صداقتها ، فلم يكن سلوكها في العراق في ذلك الوقت بأقل خطراً على المستقبل العربي من سلوك الفرنسيين . وعند حدوث أزمة الاستبدال حرضت جمعية الفتاة آل حيدر في بعلبك على المقاومة ، وكانت على صلة وثقى بثورة الدنادشة في تللكلخ . ووقفت الهيئة المركزية الثانية للفتاة بوجه اتفاق فيصل - كلمنصو وقدم اعضاؤها تقارير منفردة مكتوبة لفصيل برفضها ، رغم محاولة اقناعهم بقبولها . وظهر بصفوف الفتاة بهذه المناسبة تياران يمثلان اليمين واليسار أدى الصدام بينهما الى استقالة الهيئة الثانية وانتخاب لجنة جديدة عاد اليها الركابي وانصاره ولم يكن لذلك تأثير في مجرى الحوادث اذ سارت الامور نحو اهمال الاتفاقية وعلان الاستقلال .

وبسبب التيارات الداخلية التي ظهرت في الجمعية والجهات الشخصية وتعدد الاجتماعات ، وكثرة الاجتهادات ، واحتدام المناقشات فيها وسعي الحكومة لضعافها للتخلص من سيطرتها ونفوذها ... لم تستطع المحافظة على كيانهما المتين الذي كان لها في العهد التركي . وقد تعرضت لحملات خصومها لتصرفها بمجاز الحكم ، وكانت تمثل بنظر الفرنسيين الجانب المتطرف حتى كان

(١) دروزة : حول الحركة العربية ١ : ١٠١

من جملة ما تضمنه نص الانذار الذي وجهه غورو الى الملك
اقصاء المتتمين اليها عن الحكم . وقد حكم على عدد من افرادها
بالاعدام بعد دخول الفرنسيين .

وقد كان يمكن ان توفر هذه المنظمة على نفسها تهمة
الاستفادة من الحكم ، التي وجهها اليها خصومها لو انها ابتعدت
عن التدخل في ما يتصل بالمنافع المادية . كما انه كان من الممكن
ان تنجي نفسها من الانحلال لو توافرت لها القيادة الحكيمة القوية
فقد بلغ من هلهلة الانضباط فيها انها لم تستطع فرض النظام على
اعضائها ، حتى في مجال الاخلاص لمبادئ الجمعية وبعينها وكيانها
وخاصة في مجال الاتصال بالاجنبي والتعاون معه في سبيل النفع
الخاص (١) وكان بعض الأعضاء لا يقيمون بقرارات هيئة الجمعية
المركزية . أما السبب في ذلك فهو فقدان عنصر الزعامة الضرورية
في مثل تلك الظروف من جهة ، وتغلب المصالح الخاصة من
جهة أخرى . وكان اقطاب الفتاة حلقات متقاربة السوية ، واثن
وجدت بعض الشخصيات القوية كياسين الهاشمي الذي كان يفرض
نفسه فرضاً ويجمع الاكثرية في صفه أحياناً ، ويشجع الحركات
القائمة في العراق ضد الانكليز فان هناك شخصية الركابي ،
الذي كان ينافسه ويجمع حوله من يوافقونه على رأيه في التهورين
والتسكين والمسالمة .

وكانت جمعية الفتاة وما تفرع عنها من احزاب وهيئات بمثابة الحزب الحاكم يقابلها في الجانب الآخر جمعية العهد السوري وكتلة الحزب الديمقراطي البرلمانية ، وحزب الاتحاد السوري والحزب الوطني

جمعية العهد السوري : رأينا نشاط هذه الجمعية ، السري في العهد العثماني ، واصبح مركزها العام في دمشق في مطلع العهد الفيصلي ، يشرف على شعبات الجمعية وفروعها في الشام والعراق ولكنها مالبت حتى خضعت للظروف وانقسمت في اواخر عام ١٩١٨ الى جمعية العهد السوري وجمعية العهد العراقي ، يعالج كل منهما المسألة القطرية الخاصة به ، وكان انقسامها اول انقسام اقليمي لمنظمة قومية شاملة . ولكن التعاون بين الشطرين استمر ونشط بعض العراقيين ممن يذمون الى جمعية العهد العراقي للعمل في دمشق وحلب ، في سبيل استقلال العراق ، ومن مظاهر هذا التعاون طلب المؤتمر السوري من اللجنة الاميركية الاستقلال للعراق كما طلبه لسوريا ، وعلان استقلال العراق في ٨ بدمشق عقب اعلان الاستقلال السوري مباشرة .

وكان اكثر اعضاء جمعية العهد من الضباط ، ولكن كان بينهم عدد من المدنيين منهم حسني البرازي وحسن الحكيم ، وعدد من موظفي الدولة ، ولكنها لم تقم بدور ايجابي يتصل بطبيعة صفاتها العسكرية . وكان موقف جمعية العهد الرسمي ، في الاحداث الهامة منسجما مع موقف جمعية الفتاة كما حدث عند مجي اللجنة

الامريكية ومعارضة اتفاق كلنصو ، ولكن وجد في هذه الجمعية كما في الفتاة اشخاص أيدوا الاتفاق ووقفوا بجانب فيصل . وقد انحلت هذه الجمعية تماما في ختام العهد الفيصلي .

ومها يكن فلئن اتفقت المنظمات السابقة في صفة دعوتها السياسية فان حزباً آخر توجه وجهة أخرى هو :

حزب الاتحاد السوري : تابع العرب السوريون العاملون في نطاق

حزب اللامركزية ، والهيئات السياسية اللبنانية نشاطهم في القاهرة اثناء الحرب ، وانتخبوا منهم لجنة مؤلفة من سبعة اشخاص هم رفيق العظم ، والدكتور شهنندر ، وفوزي البكري ، والشيخ كامل القصاب ، وخالد الحكيم ، ومختار الصلح ، وحسن حمادة .

وتقدموا في ربيع عام ١٩١٨ الى وزير الحربية البريطانية بكتاب طرحوا فيه سبعة اسئلة (١) تتعلق بحدود البلاد العربية وموقف بريطانيا من استقلال العرب واخربوا عن رغبتهم بتطبيق نظام اللامركزية الادارية في المملكة العربية الاتحادية العتيدة ، وعلنوا ثقة العرب ببريطانيا واعتمادهم عليها ، واستعدادهم لمناصرتها .

وطالبوا مساندة الحكومة البريطانية للحسين ، واهابوا بها ان تحقق الاهداف العربية وان تفي بوعودها . ورغم مافي الكتاب من روح الثقة الاتكالية بالانكليز ، فانه اثمر تصريحاً هو التصريح المعروف بالعهد البريطاني للسوريين السبعة الصادر في ١٦ حزيران

(١) امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ٢ : ٣٨-٤٠ نص الاسئلة

١٩١٨ . وقد تسلمه الشهبندر من مدير المكتب العربي البريطاني في القاهرة في ٢٢ حزيران وهو يحوي اربع مواد تنص على تأييد بريطانيا من جديد للاماني العربية بالاستقلال والتحرر . ويصف جورج انطونيوس هذا التصريح بأنه اخطر بيان اصدرته بريطانيا لتوضيح سياستها نحو الثورة العربية ، وتعود قيمته الى انه يؤكد تعهدات بريطانيا القديمة للغرب بصراحة فاقت كل ما ذيع على الناس في السابق ، وانه يعطى ايضاحاً رسمياً بالمبادئ التي ارتكزت عليها تلك التعهدات . ويمتاز من اتفاقية الحسين - مكماهون بأنه كان مجرداً من التحفظات الاقليمية وبعلايته ، خاصة انه جاء بعد اتفاقية سايبس بيكو ووعد بلفور . (١) وبعد الحصول على هذه الوثيقة اجتمع عدد كبير من السوريين في مصر واسفرت اجاثهم عن تأليف حزب يمثل جميع الهيئات السياسية في المطالبة بحقوق الوطن العامة ، مع المحافظة على مبادئ كل حزب ، ووضعوا برنامجاً (٢) من اربعة عشر مادة تهدف الى تكوين دولة سورية «بوحلتها القومية» من طوروس شمالاً الى العقبة جنوباً ، ومن الفرات والصحراء شرقاً الى البحر المتوسط غرباً ، على ان تكون مستقلة استقلالاً تاماً بضمانة جمعية الامم تحكمها حكومة ديموقراطية على مبدأ الامر كزية بقوانين مدنية

(١) انطونيوس : يقظة العرب ٢٩٩

(٢) امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ٢ : ٤١ مبادئ الحزب

ماعدًا مايتعلق منها بأحكام الاحوال الشخصية ، فانها تبقى على ما هي عليه ونص على حماية حقوق الاقليات ، وتعين مقر الحكومة الاتحادية في دمشق صيفا ويروت شتاء ، كما نصت على وجوب توحيد برامج التعليم وقبول الانضمام الى الوحدة العربية عند قيامها مع المحافظة على « كيان البلاد القومي » .

وقد اختير الأمير ميشيل لطف الله اللبناني لرئاسة الحزب ورشيد رضا وكيلا والدكتور شهندر وسليم سر كيس سكرتيرين وانضم اليه رفيق العظم والشيخ كامل القصاب وخالد الحكيم وغيرهم.. ولما اعرب الملك حسين عن اسفه لقصر مهمة الحزب على العمل لسوريا وحدها دون سائر الاقطار العربية اجبه الحزب بكتاب مؤرخ في ٩ شباط ١٩١٩ اوضح فيه ان الحزب الف من السوريين لأجل استقلال سوريا لدفع غائلة الاحتلال الاجنبي عنها « بعد ان رزئت بطلب الكثيرين له من اهلها » وجاء في الكتاب ان المادة الاولى من برنامج الحزب تخرج سائر الاقطار العربية من ان تكون سورية ، ولا تخرج سوريا من ان تكون عربية ، وان الحزب يرى ان يطلب كل قطر الاستقلال لنفسه فيكون ذلك تمهيداً للوحدة التي يتعناها كل عربي ، ولكن على قاعدة اللامركزية التي يستحيل الاتفاق والاتحاد بدونها . (١)

ويمكن القول ان برنامج هذا الحزب هو تطور عن حزب

اللامركزية السابق ، وقد تابع نشاطه السياسي في القاهرة ، ومع ان الدكتور شهنند أسس له فرعاً في دمشق لمتابعة العمل فيها فانه لم يكن كيان له قوي . وقد وقف رجاله موقف المعارض من الفتاة والحكومة ، واقتصر عمله على ارسال المضابط الاحتجاجية والايضاحات الى عصبة الامم ، وقد خطب الشهنند في النادي العربي قائلاً « الشعب لا يريد الوصاية أو الحماية أو أي صك يكتب أو اتفاقية تعقد » (١) .

وقد بقي شكل الحكم غامضاً في برنامج الحزب ، ولم توضح كلمة حكومة ديمقراطية ، فقد فسرت على انها جمهورية ، على ان الحزب اضطر الى تعديل خطته لللائمة مع الجو السائد في دمشق ومن ذلك انضمام الدكتور شهنند الى جمعية الفتاة ، ودخوله الوزارة الدفاعية .

وقد استمر نشاط هذا الحزب في القاهرة بعد يوم ميسلون كما سيأتي تفصيله فيما بعد .

الجمعية الوطنية العليا : كانت هذه اللجنة مظبراً من مظاهر النشاط الشعبي ، فقد تألفت من مختلف الهيئات والاحزاب في ظروف أزمة الاستبدال في تشرين الثاني ١٩١٩ برئاسة الشيخ كامل القصاب ، بعد ان عقدت اجتماعات متعددة في احياء دمشق

(١) جريدة الدفاع العدد ٢٢٢ ، ٢٣ كانون الثاني ١٩٢٠

وبلغ عدد اعضائها مئتين وخمسين رجلاً في كانون الاول (١) يمثلون احياء العاصمة ، وقررت جمع الاموال بنسبة اثنين بالمئة من ثروة كل فرد لمؤازرة الثوار في تلكلخ والقنيطرة وأيدها رجال الدين من مختلف الطوائف . وقررت تجهيز ألف متطوع للمقاتل . واقتصرت نشاطها على دمشق وحدها ، وكان وجودها مفيداً في الضغط على المترددين في وجوب الدفاع والوقوف موقف الحزم ، بالاجتماعات العامة التي عقدها والمظاهرات التي قادتها ومنها مظاهرة كبرى قامت في ١٧ كانون الثاني ١٩٢٠ تطالب بالوحدة والاستقلال ، وبتأسيس الجيش الوطني وخطب القصاب أمام فيصل بالمظاهرين قائلاً « اني واثق انك لن ترضى ، وخلصاك ان ترضى ، ان تكون أميراً على بلاد يظلك فيها علم اجني » (٢) وقدمت للامير بعد المظاهرة مذكرة من الاحزاب السياسية برفض أية معاهدة مع أية دولة أجنبية ، وطلب الدفاع مها كانت النتائج . وفي ٨ شباط ١٩٢٠ نشر رئيس اللجنة الوطنية بياناً اعلن فيه ان اللجنة هي فوق الاحزاب ، وانها ليست خاضعة لحزب معين ، تبريراً لاتهمامها بالتعاون مع الحزب الديمقراطي .

وقد مثلت اللجنة الجبهة المتطرفة بنظر الفرنسيين ، وعزا اليها

(١) امين سعيد: الثورة العربية الكبرى ٢

(٢) جريدة الدفاع العدد ١٦ ص ١٩٣٠

المعتمد السياسي الفرنسي الحؤول دون فيصل وتوقيع أي اتفاق مع فرنسا . (١)

وقد كان يمكن ان تثمر هذه الحركة الجريئة النشطة اعمالا ايجابية مفيدة لو احسنت قيادتها ، واحكم تنظيمها ، فقد غلبت على قيادتها الحماسة ، حتى أدى تهيجها الى اصطدام الاهالي بقوات الأمن وسقوط عدد من القتلى ، وفي يوم ٢٣ تموز جاء الشيخ الى الملك فيصل يقول : « مادمت قد قررت الدفاع فأنا أعدك بتجنيد عشرة آلاف حامل بندقية حتى المساء » ! (٢) وكان الفرنسيون قد أصبحوا على بعد خطوات من ميسلون .

الحزب الديمقراطي : وكان يؤلف الجبهة البرلمانية المقابلة لحزب التقدم في المؤتمر السوري وقد ضم ثلاثين نائباً تقريباً من الاقطاعيين والمحافظين والمعتدلين ، والمعارضين للفتاة والناقلين على الحكومة ، ولكن لم يكن في برنامجهم ما يعاكس الفكرة الوطنية عامة . وما ظهر من معارضتهم للحزب الآخر هو في مجال المناقشة في مواد الدستور حيث وقف الحزب الديمقراطي يعارض مثلاً رد الحقوق السياسية للمرأة ! فكان الاجدر اذن ان يحمل هذا الحزب اسم حزب المحافظين .

وقد عقد اجتماعاً عاماً في الخامس عشر من كانون الثاني عام

(١) امين سعيد : سعيد الثورة العربية الكبرى ٢ : ٢٢٤

(٢) الحصري : يوم ميسلون ١٤٣ الطبعة الاولى

١٩٢٠ في مأذنة الشحيم بدمشق حضره الف وخمسمائة نسمة ، دارت فيه الخطب حول ضرورة الدفاع وطلب التجنيد (١) وقد قام تعاون بين هذا الحزب واللجنة الوطنية العليا على يد الشيخ كامل القصاب الذي كان ينتمي الى الهيئتين معا ، وانقرض عقد هذا الحزب عقب دخول الفرنسيين الى دمشق .

الحزب الوطني السوري : نشأ في دمشق في ٢٥ كانون الثاني عام ١٩٢٠ نتيجة للتيارات والجهات الشخصية التي قامت في صفوف جمعية الفتاة ، وبسبب الدعايات الإقليمية ، والصراع القائم بين الشباب القائمين على دفعة الفتاة والشيوخ ، وبين التقدميين والمحافظين وهكذا ضم هذا الحزب عند تأسيسه ذوي الوجهة الموروثة ، واصحاب المصالح والاثرياء ، حتى لقد عرف باسم حزب الذوات (٢) وانتسب اليه عدد من مؤسسي الفتاة ومنهم سكرتيره محمد الشريفي وقد نص نظامه على ان تشرف عليه هيئة ادارية من ستة عشر عضواً وهيئة استشارية من خمسة وعشرين آخرين ، وقد اشترك فيه عدد من الاشراف الحجازيين . أما منهاجه (٣) فينص على استقلال سورية الطبيعية ، كحزب الاتحاد السوري ، ولكنه يرمي ايضاً الى تقوية الصلات القومية والادبية بين الشعوب العربية ،

(١) جريدة الدفاع العدد ١٥ سنة ١٩٢٠

(٢) دروزة : حول الحركة العربية ١ : ٨٧

(٣) امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ٢ : ٤٢

والتساوي في الحقوق المدنية والسياسية بين جميع أبناء « الوطن السوري » على اختلاف المذاهب والعناصر ، وهو يؤيد المبدأ الملكي الديمقراطي برئاسة الأمير فيصل ويتميز من الأحزاب الأخرى بالنص على السعي لتحسين النظام الاجتماعي بتأسيس صناديق التعاون الاقتصادي والخيري وتنشيط النقابات التجارية وجمعيات العمال .

وقد اعتمد عليه الملك في خطته المسيرة للفرنسيين ، ولكن لم يكن باستطاعة هذا الحزب ان يحول التيار أو أن يؤثر في اتجاه الرأي العام الذي استولت عليه فكرة الدفاع والمقاومة .

هذه هي الأحزاب التي قامت في العهد الفيصلي ، وقد وجدت هناك احزاب أخرى قليلة الشأن والاهمية منها الحزب السوري المعتدل وقد تألف من بعض السوريين في مصر ، وحزب الاتحاد العربي ، وحزب سورية الجديدة في اميركا ويضمان بعض رجال الجالية السورية ، وقد عملت هذه الأحزاب الثلاثة للترويج لانتداب الولايات المتحدة على البلاد ، وفي تموز ١٩٢٠ ظهر حزب في دمشق سمي بالحزب السوري ، وكان من أعضائه المؤسسين محمد كرد علي وقد قال عنه في مذكراته أخيراً ان معظم من دخلوا فيه ، كان دخولهم لمقاصد شخصية . (١)

تلك هي الأحزاب التي تولت اعباء النشاط الاستقلالي في فجر تاريخ سوريا الحديث فما هي مميزات العامة ؟

(١) كرد علي محمد : المذكرات ٣ : ٧١١

ج - مميزات الأحزاب في العهد الفيصلي

كان بعض هذه الأحزاب التي درسناها في هذا الفصل ، ينادي بالفكرة العربية ويؤمن بها ، بينما قصر البعض الآخر برنامجه على سوريا ، ولكنها كلها خضعت للظروف الدولية الخارجية التي فرضت عليها سياسة قطرية معينة نتيجة تجزئتها القضية القومية العامة .

وكانت المفاهيم الحزبية مختلطة ومبهمة فالحزب لايعني عند أكثرهم ، أكثر من كتلة أو مجموعة ...

واتبعت هذه الأحزاب مبدأ الانتخاب في تشكيلاتها ، ولكن اساءة استعمال القواعد الديمقراطية جرتها الى الفوضى والانشقاق . ولم تكن المبادئ محترمة فقد رأينا حزبا يتسم بالديمقراطية ، ولكنه يقف دون أبسط المبادئ الديمقراطية وهي المساواة ، كالمساواة بين الرجل والمرأة في حقوق المواطنة ، ونرى فئات أخرى أبعد ما تكون عن تمثيل مصلحة الشعب ، تتبنى مبادئ الإصلاح الاجتماعي .

على ان أخطر ما في الحياة الحزبية في هذه الفترة هو تعدد الأحزاب ، في ظرف خطير لا تتحمل فيه مصلحة البلاد الواضحة الجدل او التنافس او الخصومات الشخصية . وأكثر من ذلك هو ضعف الانضباط الحزبي حتى لقد يكون المرء منتميا الى أكثر

من حزب واحد في آن واحد . وخضع السلوك الحزبي للاجتهادات الفردية مع ما في ذلك من خطر على كيان الحزب حتى لاوشك ان يؤلف كل عضو حزبا بمفرده .

ولم تكن في البلاد صحافة حزبية بالمعنى الصحيح ، ولكن كانت هناك صحف تنحو ناحية هذا الحزب أو ذاك ، كما كانت تمثل جريدة المفيد مثلا حزب الاستقلال وجريدة الدفاع وحزب الاتحاد السوري ، والجنة الوطنية العليا .

لقد برهنت هذه المنظمات التي عملت في ذلك الدور على فشلها في العمل الايجابي ، حتى انها اخفقت في اطلاع الشعب على حقيقة قضيته وتوعيته ليكون على بينة من مستقبله . وسنرى كيف سيتحمل الشعب السوري العربي نتيجة لهذا التقصير عبء نكبات جسيمة على يد الانتداب الفرنسي .



الفصل الرابع

النشاط الحزبي خارج سوريا ١٩٢٠ - ١٩٢٥

انهار العهد الفيصلي الاستقلالي الأول ، ودخلت البلاد بعده في معركة طويلة دامت اكثر من ربع قرن ، لم يمر فيها يوم لم تعرب فيه بشكل من اشكال الاحتجاج ، السلمي او المسلح ، عن رغبتها في الحرية والاستقلال .

توالى عليها خلال السنوات التي سبقت قيام الثورة ثلاثة اشكال من الحكم كان المندوب الفرنسي يقيمها ، ويهدمها دون ان يكون للشعب رأي في ذلك أو رجاء أو اهتمام ، فما كان ليخضع بالمظاهر والاشكال المصطنعة .

وقد قبلت وزارة علاء الدين الدروبي التي تألفت قبل رحيل الملك فيصل ، التعاون مع الفرنسيين على أساس الانتداب ، رغم ان قائد الحملة الفرنسية صرح أمام هيئة الوزارة تصريحاً مبيناً حمل فيه « الأمير فيصل » مسؤولية الحوادث وحدد مسؤولية الحكومة وصلاحياتها تحديداً سلبها كل سلطة ، وانذر بكبرياء

بإستعمال القوة عند عجزها عن توطيد الأمن . (١)

وبعد حادث خربة الغزالة ومصرع الوزيرين الدرويني واليوسف في ٢١ آب تألفت وزارة برئاسة جميل الاشفي في ٦ ايلول اعقبها حكومة رئيسها حقي العظم في مطلع كانون الاول ١٩٢٠ بلقب حاكم دولة دمشق ، وكان قد تم تجزئ البلاد الى « دول » لبنان الكبير وحلب والعلوين ودمشق وجبل الدروز بعد سلخ كيليسكية وفلسطين وشرق الاردن .

وبرغم التضيق الشديد على الحريات ، وضغط الحكم العسكري القلبي ، لم تعدم البلاد وسيلة للاعراب عن استيائها من اللعب بمقدراتها فاستمرت في جبل الزاوية وجبال اللاذقية ، ودبرت مؤامرة للقضاء على حياة غورو وحقي العظم ولكنها لم تنجح ... وكانت الوحدة هي المطلب الاول للبلاد في ذلك الحين ، فأراد الجنرال غورو ان يعدل الوضع بإقامة نظام ظن انه يرضي الشعب فأصدر في حزيران ١٩٢٢ قراراً بإنشاء اتحاد بين « دول » دمشق وحلب والعلوين باسم الاتحاد السوري ، واقام مجلس اتحادي ضم خمسة اعضاء عن كل دولة من الدول الثلاث واختير صبحي بركات رئيساً للاتحاد منذ ١٧ كانون الاول ١٩٢٣ .

واقر في هذه الاثناء مجلس عصبة الامم المنعقد في لندن

(١) الحفار ، وجيه : الدستور والحكم بيان القائد غوايت ١٦٠

دمشق مطبعة الانشاء ١٩٤٨

في ٢٤ تموز ١٩٢٢ صك الانتداب (١) الذي وضعته الحكومة الفرنسية لسورية ولبنان ، عملاً بمقررات سان ريمو ، وحدد الصك سلطات الدولة المنتدبة ، ونصت بعض موادها على سن دستور للبلاد ، خلال ثلاث سنوات من تنفيذ الصك ، يصاغ بالاتفاق مع السلطات الوطنية ، ويراعي مصالح السكان .

واقعت مجالس تمثيلية لدول الاتحاد بناء على قرار المفوض السامي ، حددت صلاحياتها بالنظر في الميزانية والضرائب ، والتشريع والادارة ، وانتخاب اعضاء المجلس الاتحادي .. ولكن لم تكن لها اية سلطة فعلية بالواقع .

وبرغم احتجاج دمشق واضرابها مدة عشرة ايام ، ومقاطعة الانتخابات ، فان السلطة اخرجت النواب الذين اختارتهم وقد بلغ من ازدياد الناس بهم ماحدا بالحكومة الى تعيين شرطيين لمراقبتهم خوفاً من فتك الشعب بهم . (٢)

ولكن المفوض الجديد الجنرال ويغان ، الغى النظام الاتحادي في ٥ كانون الاول ١٩٢٤ واصبح صبحي بركات رئيساً للدولة السورية المؤلفة من دمشق وحلب ، ورئيساً للحكومة وفك ارتباط لواء الاسكندرون بدولة حلب السابقة . فأصبح خارجاً

(١) امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ٣ : ٣٣٥ - ٣٣٩

(٢) « « « ٣ : ٢٤٠

عن نطاق دولة سورية . وفي عهد هذه الحكومة نشبت الثورة السورية . وكانت السلطة الفرنسية تتبعج آنئذ انه يمكن القول انه لم يكن في عام ١٩٢٤ حزب معاكس للانتداب ، حتى ولا حزب يستطيع المجاهرة برغبته في الخلاص منه (١) ان التقرير الفرنسي يعترف انه لا احد كان يستطيع ان يجاهر برأيه !

وقد نجحت السلطة الفرنسية في لم بعض المرتزقين ذوي المطامع الخصوصية حولها لتنفيذ مآربها واتجعلهم ستاراً تنفذ وراءه خططها ، فأوسدت شؤون الحكم الى من لا عهد لهم به ، فحققوا فيه مطامعهم المادية ، واستكانوا حتى لم يكن لهم هم الا ارضاء مستخدمي الانتداب ومن لهم صلة به ، وكان الرؤساء والوزراء كاهلياً كل امام المفوض السامي الذي كان يتمتع بسلطة ديكتاتورية ولما اسست الاحزاب السورية صوتها وفضحت مساوي الحكم اتهمت بالخصومة الشخصية .

أ - النشاط الحزبي :

وقد ظل الشعب امام هذه المهازل مرغماً على سلوك سياسة سلبية حتى عام ١٩٢٦ ، وكان يعبر عن آرائه بعض الاحيان باغلاق المتاجر ورفع العرائض ، والشكوى دون ان يستطيع القيام

(١) مجموعة العام ١٩٢٧ جريدة الاحرار العدد ٦٨٦ ، ٣ شباط

١٩٢٧ من تقرير السلطة المنتدبة الى عصبة الامم سنة ١٩٢٥

بعمل منظم للدفاع عن مصلحته الوطنية . ولكن الهيئات السياسية السورية في مصر وفي الاردن . أو في أوروبا كانت تتولى اثاره المسألة الوطنية السورية أمام الرأي العام . وأهم الاحزاب هي حزب الاستقلال في الاردن ، وحزب الاتحاد السوري في مصر واللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني .

حزب الاستقلال : لجأ كبار اعضاء هذا الحزب الذي

كان الهيئة السياسية الاولى في العهد الفيصلي الى شرق الاردن آمليين ان يجدوا في الامير عبد الله الذي كان قد توجه من الحجاز على رأس قوة من رجال القبائل ، نصيراً لمعاودة النضال ضد الفرنسيين ، وقد وجه الامير وهو ما يزال في معان بياناً الى «كافة اخواننا السوريين» (١) اعلن فيها تليته لهم للمشاركة في شرف الدفاع لطرده المعتدين وقبوله تجديد الدعوة للملك فيصل . وداعبت الاماني خيال الكثيرين ولكن دون جدوى .

وقد استأنف رجال حزب الاستقلال نشاطهم الحزبي في الاردن والنفوا هيئة مركزية ، كان لها يد في تحريك حادث خربة الغزالة واطلاق النار على غورو . وقد ساعدهم على استئناف عملهم مانتقلوه من الوف الجنيهاً مما كان في صندوق الحزب (٢) في العهد

(١) الزركلي خير الدين : عمان في عمان ١٤ - ١٧ مصر ١٩٢٥

(٢) امين سعيد : الثورة العربية الكبرى : ١ : ٣٨ والنشرة -

الفيصلي ، ولكن ما لبثوا حتى اختلفوا مع الامير عبد الله بتحريض مستشاره رضا الركابي ، فانصرفوا عنه ولجؤوا الى مصر والحجاز والقدس .

حزب الاتحاد السوري واللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري

الفالسطيني : انتقل مركز النشاط السياسي الى القاهرة بعد الاحتلال الفرنسي ولم تعد الاحزاب تمارس نشاطها في صفوف الشعب ، فانتقل سعيها الى الصعيد الدولي والسياسي ، باذاعة البيانات والشرائح وكتابة المقالات وارسال الوفود الى مقر جمعية الامم والاحتجاج على تجزئة البلاد والتنكيل بسكانها .

وقد كان حزب الاتحاد السوري انشط هذه الوفود في هذا المضمار فقد طالبت لجنة الحزب في عام ١٩٢١ الحلفاء ان يمثل مندوب عربي بلاده في المؤتمر المزمع عقده في لندن لاعادة النظر في معاهدة سيفر وتقرير مصير الشرق الادنى . ولم يشترك هذا الحزب في المساعي التي بذلت في عمان مع ان الامير عبد الله ارسل كتاباً الى اعضاء الحزب (١) يدعوهم فيه الى التعاون معه في سعيه لتحرير سوريا .

وقد وجهت اللجنة التنفيذية للحزب في ٩ نيسان ١٩٢١

- الرابعة من : الصحائف السوداء في الثورة السورية اصدرها حزب

الشعب السوري بمصر ١٩٢٨ .

(١) الزركلي خير الدين : عمان في عمان : ٤٥ - ٤٦

منشوراً الى الاحزاب والجمعيات المطالبة بالاستقلال والوحدة السورية (١)
 دعت فيه الى عقد مؤتمر سوري عام في ١٠ حزيران في جنيف
 للتفاهم فيما بينها على أسس المبادئ والمسااعي معا ولترفع صوتها
 في وقت واحد للعالم المتمدن ، ولتبرهن بكل مالدورها من الوثائق
 والحجج والادلة على ما لسورية من الحق في الحرية والاستقلال
 وللتوسل بالوسائل الماثروعة لدى مجلس جمعية الامم لسماع رأي
 البلاد قبل ابرام الحكم عليها ، وذلك قبل اقرار صك الانتداب
مؤتمر جنيف ومقرراته : عقدت الجلسة الافتتاحية للمؤتمر

في ٢٧ آب ١٩٢١ برئاسة الامير ميشيل لطف الله رئيس حزب
 الاتحاد السوري ، فأوضح ان غاية المؤتمر هي توحيد المساعي
 الاحزاب الاستقلالية واسماع صوت البلاد ورفع قضيتها الى الرأي
 العام الدولي . وقد حضر المؤتمر تسعة عشر شخصاً يمثلون
 الاحزاب والهيئات السياسية السورية في الوطن والمهجر وهي :
 حزب الاتحاد السوري ، وحزب الاستقلال العربي ، والجمعية
 المسيحية الاسلامية في نابلس ، والوفد الفلسطيني واللجنة الفلسطينية
 في مصر ، والجمعية السورية الوطنية في بوسطن . والحزب الوطني
 العربي في الارجنتين وحزب تحرير سورية في نيويورك ، وحزب
 استقلال سورية ووحدتها في سانتياغو في الشيلي .

وهذه الاحزاب وان كانت تعبر في امانها ومطالبها عن رغبات

الشعب السوري ، فانها لم تكن احزاباً تمثل اكثرية شعبية ، وهي لم تكن احزاباً بالمعنى الصحيح ، فهي لاتعدو ان تكون لجاناً أو جمعيات محدودة الاعضاء اصطلاحت لنفسها اسم احزاب . وانتخب الامير ميشيل لطف الله رئيساً للمؤتمر والسيد رشيد رضا نائب رئيس حزب الاتحاد السوري وآخر رئيس للمؤتمر السوري في العهد الفيصلي ، نائباً للرئيس ... والامير شكيب ارسلان مندوب حزب الاستقلال مسكرتيراً عاماً .

وعقد المؤتمر سبعة عشر جلسة واختتم اعماله في ٢١ ايلول ١٩٢١ بعد ان انتخب لجنة من خمسة اعضاء للملاحقة مقرراته ، ووجه نداء (١) باللغة الفرنسية الى رئيس ومندوبي جمعية الامم ذكرهم فيه بمبادي الجمعية القائمة على احترام القوميات ومبادي ولسن ، واليهود المقطوعة للعرب . واسهب البيان في محاولة ايضاح مايراه من مظاهر « وحدة القومية السورية » في السلالة واللغة والحضارة العربية السائدة ، واثبات كفاءة البلاد الثقافية والاجتماعية والسياسية .

كما اوضح البيان تناقض الادارة الاجنبية القائمة ، مع مقتضى الانتداب كما حدده ميثاق عصبة الامم بالمشورة والمساعدة فقط . ثم عرض المطالب التي قررها وهي خمس تنص على الاعتراف بالاستقلال والسيادة القومي لسوريا ولبنان وفلسطين . والاعتراف

(٢) امين سعيد الثورة العربية الكبرى نص النداء ٢٦٦ - ٢٧١

بحق هذه البلاد في ان تتحد معا في حكومة مدنية مسؤولة امام مجلس نيابي ينتخبه الشعب ، وان تتحد مع باقي الدول العربية المستقلة في شكل ولايات متحدة « فديراسيون » واعلان الغناء الانتداب حالا ، وجلاء الجيوش الاجنبية عن سوريا وفلسطين ولبنان والغاء تصريح بلفور . واقترح المؤتمر على عصبة الامم ارسال لجنة لمعرفة رغبات السكان .

واعتمدت لجنة المؤتمر التنفيذية وفداً فوضته التكلم باسمها ، ويتألف من الأمير شكيب ارسلان واحسان الجابري ، وسليمان كنعان ، ثم انضم اليه الامير لطف الله . وقد اتصل الوفد بالمؤتمرات الدولية والهيئات المختلفة الاوروبية ، وبأركان الحزب الفاشستي في روما ، وفي تموز ١٩٢٢ تقدم مع الوفد الفلسطيني الى مجلس جمعية الامم المنعقد في لندن بمذكرة طالب فيها هذه المرة بالدعوة الى عقد جمعية تأسيسية منتخبة بحرية وبإشراف لجنة دولية . ولم يعترف فيها بصك الانتداب ولا بما ينجم عنه ، وزار ارسلان والجابري تركيا واتصلا بالمسؤولين ليحصلوا على تأكيدات من الأتراك بعدم التنازل عن السيادة على البلاد العربية لغير اهل البلاد ، وذلك قبل عقد مؤتمر لوزان .

زيارة كراين واول مظاهرة وطنية : اما في داخل البلاد

فان من أبرز الحوادث التي حركت الوعي الوطني فيها زيارة مستر كراين عضو لجنة الاستفتاء الاميركية التي زارت سوريا عام ١٩١٩

وقد وصل الى دمشق في اول نيسان ١٩٢٢ ، وهيئت له عدة اجتماعات لتعريفه على رغبات الشعب . واتخذ وداعه في ٦ نيسان شكل مظاهرة وطنية رائعة ضمت الالوف من الناس وعلى رأسها الدكتور عبد الرحمن الشيندر ، ينشدون « نحن لانرضى الحماية لا ولا نرضى الوصاية » وكانت هذه اول مظاهرة تقوم في دمشق منذ دخول الفرنسيين اليها (١) وقد اساءت السلطة من هذا الحادث الذي كان تكذيباً لكل ما كان يتبجح الفرنسيون به من تعلق السوريين بهم وبانتدابهم ، فقبضت على عدد ممن اجتمعوا به وسهلوا له سبيل التعارف ، والاطلاع وزجهم في السجن ، وكان ذلك سبباً في تحريك الجماهير فقامت مظاهرات احتجاج في دمشق وحلب وحمص استمرت عدة ايام ، واشتركت فيها النساء ، وسقط فيها القتلى واصيب عدد من الجرحى ، واتخذت السلطة تدابير زجرية لقمع الاضراب ، وحاكت المعتقلين امام محكمة عسكرية ، وبمقتضى القوانين السارية على الفرنسيين ، بتهمة التحريض والعمل لتغيير شكل الحكومة . وصدرت الاحكام بسجن كل من الدكتور شيندر والشاب المصري عبد الوهاب العفيفي عشرين سنة ، وسعيد حيدر خمس عشرة سنة وحسن

(١) امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ٣ : ٢٥١ والنشرة الثالثة المؤتمر السوري الفلسطيني : مستر كراين والقضية السورية

١٦ القاهرة تموز ١٩٢٢

الحكيم ومدير شيخ الارض والدكتور خالد الخطيب عشر سنوات
وتوفيق الحلبي خمسة .

وقد تجددت المظاهرات عقب صدور الحكم ، واغلقت الاسواق
اسبوعا كاملا ، ثم نقل المعتقلون الى ارواد واطلق سراحهم في
٢٣ تشرين الاول ١٩٢٣ . وبلغ عدد المعتقلين والمحكومين في
هذه الحوادث ماينوف على اربعمائة شخص (١) .

وفي هذه الاثناء اعتقل بعض الشباب بتأليف جمعية سرية
باسم **الحزب الحديدي** ، وتوزيع نشرات معادية للانتداب ،
وحكموا امام المحكمة العسكرية بالسجن مددا تتراوح بين اربع
وست سنوات .

وافادت هذه الحوادث في تحريك البلاد امام المحافل الدولية
فكان مستر كراين يصرح (٢) عن مشاهداته اينما حل في البلاد
الاوروبية والاميركية . ويقول انه يتعذر حمل الشعب السوري
على قبول الانتداب مهما كان نوعه ، وبات السوريون لايرضوه ،
الا باستقلالهم الكامل ، وان الروح العدائية ليست دينية ، ولكنها
وطنية يشترك فيها السوريون جميعا . وقدم البلاد عدد من الصحافيين
الاميركيين والاوروبيين للاطلاع على الحالة فيها .

(١) امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ٣ : ٢٥٤

(٢) النشرة الثالثة المؤتمر السوري الفلسطيني بمصر : مستر

كراين والقضية السورية راجع تصريحاته في ص ٣٥ و ٧٦ و ٧٨

وراح الفرنسيون يشوهون سمعة الرجل للتقليل من شأنه ،
ولاقناع السوريين بعدم جدوى الاعتماد على مساعيه ، فاذاعوا بياناً
يقولون فيه ان كراين واقع تحت طائلة القانون العسكري الفرنسي
بدعوى التحريض على الثورة (١) .

ونشطت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني بهذه
المناسبة فاذاعت البيانات وطيرت البرقيات الى رؤساء الدول
والمسؤولين شارحة الموقف .

وعلى هذا الاساس رأينا ان سوريا لم تمارس حياة حزبية
منظمة خلال هذه الفترة ، ولم تكن الاحزاب الناطقة باسمها في
مصر ، مرخصة من السلطة وليس لها أي نشاط حزبي في البلاد .
وكانت الحوادث التي رافقت واعقت زيارة كراين هي ابرز وقائع
النشاط الشعبي داخل البلاد التي تحركت فيها ، منذ الآن القوة
الكامنة لتسجل في تاريخ الحركة الوطنية وقائع الثورة السورية .



(١) جريدة الاحوال اللبنانية العدد ١٥ سنة ١٩٢٢ نقلًا عن

المصدر السابق .

الفصل الرابع

الاضراب في دور الثورة الوطنية (١٩٢٥ - ١٩٢٧)

أسس في هذا الدور أول حزب سياسي سوري في العهد الفرنسي ، وانتقل مركز النشاط الى داخل البلاد ، وقامت الثورة الوطنية ، ثم تلتها مرحلة جديدة في العلاقات السورية الفرنسية رمت الى التعاون على اساس معاهدة تعترف باستقلال البلاد . ولا بد لفهم الحياة الحزبية في هذا الدور والمراحل التالية من استعراض اهم الاحداث السياسية فيه .

أ - التطورات السياسية في هذا الدور :

ظلت سوريا تعيش في جو مضغوط حبت عنها فيه الحريات ، ومنع تشكيل الاحزاب حتى جاء الجنرال ويغان اواخر عام ١٩٢٤ فحل القيد قليلا وافسح المجال للاتصال بالشعب واستمع الى مطالب الوفود واهمها وفد دمشق الذي عرض عليه مطالب في ثلاثة عشر مادة يطالب بالوحدة السورية . ، ودعوة جمعية تأسيسية منتخبة انتخاباً حراً لوضع القانون الاساسي ، وحصر حق

التشريع بالمجلس النيابي ، وتأمين الحريات الشخصية وتوحيد القضاء
واعادة ادارة الاوقاف الاسلامية الى المسلمين ، ومنع الهجرة
الارمنية الى سوريا ، وجعل التعامل على اساس الذهب . ولكن
المفوض السامي نصح لرجال الوفود بأن يحققوا الوحدة في انفسهم
اولا ثم يطالبوه بها . وقامت الاحزاب منذ ذلك الوقت .

قيام الثورة : ولكن سراي لم يقيم بعمل ما لرفع مساويء
الادارة والسياسة الفرنسية ، وكانت الثورة كامنة في النفوس ،
التي حركتها زيارة بلفور لدمشق في ٨ نيسان ١٩٢٥ ، واصرار
وزارة الخارجية الفرنسية على وضع الدستور السوري في وزارة
الخارجية في باريس من قبل لجنة فرنسية . قد عقدت اجتماعات
في دمشق في اوائل شهر مائس استهدفت العمل لأجل الوحدة
والاستقلال ، وعقدت مواعيق اشترك فيها رجال من جبل الدروز
ومن دمشق بصفتهم الشخصية تعاهدوا فيها على العمل لاعداد
الثورة (١) وكانت تألفت في الجبل جمعية وطنية سرية برئاسة
سلطان الاطرش لمقاومة مظالم السلطة الفرنسية وتحريك النفوس
الى ان وقعت الثورة السورية وابتدأت بمعركة الكفر في تموز

١٩٢٥

(١) شهنذر الدكتور عبد الرحمن : الثورة السورية الوطنية
« مذكرات » ١٤ مصر ١٩٣٣ وامين سعيد : الثورة العربية الكبرى

٣ : ٣٠٨

وعلى أثر نشوب الثورة عقد اجتماع سرى في دمشق ٢٥ تموز تقرر فيه الاشتراك في الثورة ومساندتها ، وعلى ان تتحد الكلمة باسم الثورة ، وان لا يكون مكان للحزبيات . وما ان شعر الفرنسيون بالامر وعلموا دور اركان حزب الشعب بالاجتماعات حتى صدر امر بحل الحزب وملاحقة رجاله فقبض على بعضهم كفوزي الغزي وفارس الخوري واحسان الشريف ونفوا . وسبب ذلك هياجا ومظاهرات صاخبة ، ونجح آخرون بالالتحاق بالثورة ومنهم الشهبندر وحسن الحكيم وجميل مردم وسعيد حيدر .

دي جوفنيل وسياسة التفاهم : واستمرت الثورة بعد ان اخفقت مساعي الفرنسيين لحل الدروز على الصلح ، ونجح الوطنيون في توسيع رقعتها لتمثل مصلحة البلاد جميعا . ولما عين هنري دي جوفنيل مفوضاً جديداً في ٨ تشرين الثاني ١٩٢٥ وهو اول مفوض سامي مدني صرح في باريس انه سيعالج الحالة في سوريا سياسياً لا عسكرياً . وخطب في المعهد الاستعماري الفرنسي في باريس فقال : ان حل القضية السورية انما هو بين يدي السوريين ، فليعلموا أيضاً ان القانون الاساسي لا يمكن ان يتم الا بين مظاهر السلام والاطمئنان على الارواح والأموال . (١)

وراح دي جوفنيل يواصل مساعيه الخاصة بعد اخفاق

(١) مجموعة العام ١٩٢٥ : المقتبس العدد ٤٣٨٦ ، ١ كانون

الاول ١٩٢٥

المفاوضات بينه وبين اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني في القاهرة ، وحمل الأمير امين ارسلان ، ووفد دمشق كبير في ٢٢ كانون الاول ١٩٢٥ مطالب الثوار والمدينة وهي الوحدة السورية ، وتشكيل حكومة وطنية مؤقتة ، والدعوة لانتخاب مجلس تأسيسي لوضع الدستور والعفو عن الثوار وتعويض المنكوبين ، ولكنها رفضت . (١) بل ان المفوض السامي حض الوفد الدمشقي على دعوة الثوار لتسليم سلاحهم خلال مدة معينة وابلغهم ان الانتخابات العامة هي التي ستقرر مصير البلاد .

وقد استقال اثر المقابلة رئيس الدولة صبحي بركات مؤيداً في كتاب استقاله مطالب البلاد في الوحدة وسن الدستور ، والعفو العام ، ودخول جمعية الامم (٢) ولم تقبل السلطة الفرنسية البرنامج الذي عرضه الشيخ تاج الدين الحسيني كأساس لقبوله بتأليف الوزارة ، وهو لا يخرج في جوهره عن المطالب السابقة وقد أبى المفوض السامي الاقدام على أي حل قبل «اخلال السلام» يعني استسلام الثوار بلا قيد أو شرط . وجعل خطته تصرّحه المشهوراً : «الحرب لمن يريد الحرب ، والسلام لمن يريد

(١) ابوراشد حنا : جبل الدروز ٣٢٧ وامين سعيد : الثورة العربية الكبرى ٣ : ٣٨٥

(٢) امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ٣ : ٣٩١ - ٩٢

نص الاستقالة

السلم . وكان يبدي استغرابه لالحاح السوريين على مطلب الوحدة ويعتبر « ان مسائل الحدود الخارجية من الجنون التكلم فيها في الساعة الحاضرة ، فليتهم السوريون - يعني سكان دولة سورية المؤلفة من دمشق وحلب - بتنظيم سورية قبل ان يطمحوا الى توسيعها » . (١) وبمثل هذا المنطق برهن المفوض السامي على جبهه أو تجاهله حقيقة المطالب السورية ، ولم يدرك ان السوريين لم يلجؤوا الى الثورة الا بعد ان اعيام الاعراب عن مطالبهم بالوسائل السلمية .

ولما لم يجد دي جوفيل من يتبل الحكم دون برنامج يرزي رجال الثورة اصدر في ٩ شباط ١٩٢٦ قراراً بتعيين المندوب الفرنسي بير أليب حاكماً على سوريا الى ان يوضع نظام نهائي بعد انتهاء الانتخابات ، وعين الجنرال اندريا حاكماً عسكرياً لدمشق . واخذ الفرنسيون يعملون على تفريق الصفوف ويسعون لدى الدروز لفضهم عن الثورة ، ويتهمون سلطان الاطرش بأنه يطلب استقلال سوريا ، ويهمل التكلم عن جبل الدروز ! مهيباً بهم التخلص من هاوية يريد رجال كالشبندر القاء بها (٢) ولكنهم لم يلقوا جواباً على هذه الدسائس الا تمسك الثأرين بالوحدة والاستقلال

(١) المصدر السابق : ٤٠٥

(٢) المصدر السابق : ٣٩٤ - ٩٦ نص منشور الجنرال اندريا في

في منشور ارسله عبد الغفار الاطرش الى المفوض السامي . وعمد الافرنسيون الى اغراء رجال الجبل بتحقيق مطالبه الاقليمية ، ولكن دون جدوى .

واستمر دي جوفنيل في خطته وأجرى انتخابات في حمص وحماه وحلب في ٨ و ٢٢ كانون الثاني ١٩٢٦ ولكن حمص وحماه قاطعتا الانتخابات مقاطعة تامة ، وحصلت اضطرابات دموية في حلب سقط فيها خمسة عشر قتيلا واربعون جريحاً ، واعتقل الوطنيون الداعون الى المقاطعة ، واخرجت السلطة بالقوة نواباً يرضى عنهم ومع ذلك فقد اجتمع هؤلاء مع نواب بعض الاقضية وكان أول قرار اتخذه هو المطالبة بالوحدة السورية !! فحل المجلس فوراً .

برنامج حكومة الداماد : وأصر الشيخ تاج على برنامجهما كلف مرة ثانية ، وأعرض هاشم الاتاسي و ابراهيم هنانو عن التعاون . وأخيراً وجد المفوض السامي رئيساً للدولة في ٢٦ نيسان هو الداماد احمد نامي الذي ألف في ٤ مايس حكومة موقفة تضم ستة وزراء بينهم ثلاثة وطنيين هم حسني البرازي ولطفي الحفار وفارس الخوري أما الثلاثة الآخرون ، وهم شاكر نعمت الشعباني و واثق المؤيد ويوسف الحكيم فقد سبق لهم التعاون مع الفرنسيين في الحكومات السابقة .

وأذاعت الحكومة السورية بياناً تضمن برنامجاً من عشرة

بنود ، وضعت « بالاتفاق التام مع المسيو دي جوفنيل على كل كلمة من كلماته » (١) . وتنص على دعوة جمعية تأسيسية لوضع دستور على قاعدة السيادة القومية ، وتحويل الانتداب الى معاهدة لمدة ثلاثين سنة مماثلة لمعاهدة العراق ولا تكون نافذة الا بمصادقة البرلمان في الدولتين ويحتفظ فيها لفرنسا بالنفوذ السياسي والرجحان الاقتصادي ، وتحقيق الوحدة السورية ، وتوحيد النظام القضائي ، وتأليف جيش وطني يحل محل الجيش الفرنسي ، وادخال سوريا في عصبة الأمم ، واعطائها حق التمثيل الخارجي ، واصلاح نظام التقدير والعفو عن جميع اصحاب الجرائم السياسية ، واستحصال قرار بالغاء الغرامات الحربية وايجاد طريقة للتعويض على منكوبي الثورة (٢) .

ولم تبد السلطة الفرنسية شيئاً من حسن النية بعد تأليف الحكومة ، وتوالت الاعمال العدوانية على الغوطة وحي الميدان ووقفت الحكومة من هذه الاعمال موقف المتفرج الى ان انسحب الوزراء الوطنيون الثلاثة واعلنوا استقالتهم ، فتلافي الفرنسيون هذا الموقف مع الداماد بحل الوزارة وتأليف وزارة جديدة في

(١) مجموعة العام ١٩٢٥ : القبس العدد ٩٦ ، ١١ حزيران من خطاب فوزي الغزي بمناسبة مرور عام على افتتاح الجمعية التأسيسية .

(٢) امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ٣ : ٤٣٢

١٢ تموز ضمت العناصر المستسلمة للانتداب ، واعتقلوا الوزراء الثلاثة المستقلين ، وفوزي الغزي وغيرهم وابعدوا جميعاً الى الحسكة .

الميثاق الوطني : ولما اشتد ضغط قوات الانتداب على الثورة وصدرت احكام الاعدام على كبار رجالها في عام ١٩٢٦ ، رحل بعضهم الى منطقة الازرق ، وعقد فيها الدكتور شهبندر وسعيد حيدر وحسن الحكيم عدة اجتماعات هيئوا فيها ميثاقاً وطنياً جديداً وافق عليه القائد سلطان الاطرش ، يحوي الخطوط الرئيسية لبرنامج وزارة الداماد ، ولكن بنوده أكثر تفصيلاً وأشدّ تسكاً بمطالب البلاد (١) ، وهي تزيد على البرنامج شرط الاعتراف بالاستقلال التام قبل تأليف حكومة وطنية بالاتفاق مع زعماء الثورة ، وقبل انتخاب الجمعية التأسيسية ، وان تكون مدة المعاهدة خمسة عشر عاماً فقط ، يراعى فيها رقي السوريين بالنسبة للعراقيين ، وتحقيق الوحدة السورية بما فيها لواء طرابلس الشام وعكار والاقضية الاربعة ، وطلب استفتاء المناطق الاخرى التي ضمت الى جبل لبنان . وان يتم الجلاء خلال ثلاث سنوات وقد سلم هذا الميثاق الى الملك فيصل في ٢٧ تموز عند مروره بالازرق في طريقه الى اوروبا . وسلموه مضبطة موقعة من بعض

(١) المصدر السابق : ٣ : ٥١٥ نص الميثاق

زعماء الثورة بتكليفه بالمفاوضة في باريس في المسألة السورية ،
وكتبوا الى الوفد السوري في اوروبا للاشتراك معه . وهذا
الميثاق الذي وضع ، لا يخرج عن البرنامج الذي عرضه في نفس
الوقت الوفد السوري في اوروبا على المسيو دي جوفنيل في وزارة
الخارجية الفرنسية (١) .

واقعد اتهم النائب الفرنسي (بياكون) المفوضين السامين
العسكريين بأنهم سببوا قيام حركة ضد فرانس في سورية لجلبهم
معنى الانتداب (٢) . ولكن لم يكن دي جوفنيل وبونسو كما
ظهر فيما بعد اكثر تحزراً منهم من سياسة الاستعمار والفتح
العسكري .

بونسو وظهور الكتلة الوطنية : ولما جاء بونسو مفوضاً
جديداً في ١١ تشرين الاول ١٩٢٦ ، وكانت البلاد ما تزال
تحت الحكم العرفي ، واطلع على مطالب الوفود التي لم تتبدل ،
أذاع بياناً ، بعد عودته من رحلته الى باريس . في ٢٦ تموز
١٩٢٧ أوضح فيه بقال دبلوماسي تمسك فرانس « بواجباتها »
الانتدابية على البلاد . فقطع بذلك سياسة التفاهم التي بدأت في
عهد سلفه .

(١) امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ٣ : ٥٥١

(٢) بهم ، محمد جميل : الانتدابان في العراق وسورية ١٢١

صيدا ١٩٣١ .

وفي هذه الاثناء ظهرت على مسرح السياسة في البلاد الكتلة الوطنية لتحل محل حزب الشعب ، الذي تشتت بعد قيام الثورة ، في توجيه سياسة البلاد .

ب - الاضراب في عهد الثورة

أما الاحزاب التي قامت في هذا الدور فهي حزب الشعب ، وحزب الوحدة ، والكتلة الوطنية ، بينما استمرت اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني تواصل مساعيها في القاهرة واوروبا .

حزب الشعب : هو أول حزب سياسي أنشئ في سوريا ،

بعد الاحتلال الفرنسي ، بعد اطلاق حرية تشكيل الاحزاب ، وقد ذكر الدكتور شهبندر في مذكراته ان الحكومة لم تأذن للحزب بعقد أول اجتماع له الا بعد جهد جهيد في أيار ١٩٢٥ (١) وكان القصد من تأليفه جمع الصفوف الوطنية في هيئة سياسية تنطق باسمها . أما مؤسسوه فهم سبعة من رجال دمشق بينهم

الدكتور شهبندر وفخري البارودي واحسان الشريف ونزيه المؤيد .

وفي يوم الجمعة الخامس من حزيران افتتح الحزب رسمياً في دار الاوبرا العباسية بدمشق في جمع ضم ما يزيد ألف شخص أكثرهم من المؤيدين ، إذ ان أعضاء الحزب المسجلين لم يكونوا

(١) شهبندر : الثورة السورية الوطنية : ١٢٦ من مذكرات الشهبندر الى وزارة الخارجية للمقرنية .

عس

يومئذ أكثر من مائتي عضواً (١) .

أما الهيئة الادارية للحزب فكانت تتألف من اثني عشر شخصاً ، ويرأسها رئيس الحزب المنتخب من قبلها ، وهو الدكتور شهبندر ، وكان فارس الخوري نائباً للرئيس ، والدكتور احسان الشريف أميناً للسر ومن اعضائه سعيد حيدر ، ولطفي الجفار ، وفوزي الغزي ، وجميل مردم ، وحسن الحكيم . وقد أسست له فروع في حمص وحماه وحلب والاذقية وغدا له انصار في صفوف الشعب فأيدته بعض النقابات الحرفية في دمشق .

أما موارده المالية فقد أمنت عن طريق الاشتراكات المترتبة على الاعضاء ، وتبرعات اعضاء الشرف من الاثرياء .
وبرنامج الحزب هو العمل لتأمين استقلال سورية ووحدتها ، وانتخاب مجلس تأسيسي انتخاباً حراً ، لسن دستور البلاد وقيام حكومة دستورية تضع أسس العلاقات بين سوريا وفرنسا ، مع المحافظة على « حقوق ومصالح فرنسا » في وقت واحد ، ونصت بعض مبادئه على العمل في سبيل الإصلاح الاجتماعي ، وتشجيع الصناعة الوطنية .

أما وسائل الحزب فهي الوسائل والطرق القانونية المشروعة ولم يكن من خطته المكتوبة الثورة ولا العنف .

نشاطه : كان أول مظاهر نشاط الحزب ، هو المظاهرة التي هيأها عند مجيء اللورد بلفور الى سورية عام ١٩٢٥ ، حتى كاد المتظاهرون يفتكون به ، وكان الحزب ينطق باسم البلاد ، فاحتج على وضع الدستور في وزارة الخارجية الفرنسية ، وطريقة اقراره بواسطة الاستفتاء . ودعا الى مقاطعة الانتخاب في سنة ١٩٢٦ بسبب قيام الثورة ، وبسبب فساد نظام الانتخاب ، وكان من تأثير الضغط الشعبي الذي هيأه الحزب اقرار النواب الذين فرضتهم السلطة مبدأ الوحدة مما أدى الى تعطيل المجلس فوراً فأخذ النواب (المسرحون) يفضحون اساليب السلطة في تزوير الانتخاب (١) .

لم يكن من منهج الحزب الثورة المسلحة ، فلم يكن له اذن كحزب دور في الثورة ولكن عدداً من كبار المسؤولين فيه اشترك في الاجتماعات الاولى الممهدة في دمشق ، وعمل الشهبندر ورفاقه في الجبل على توسيعها وتوجيهها ، وتمثيل الجانب المتطرف بين رجال السياسة القائمين عليها . والسلطة الفرنسية تلمتي على عاتق الحزب ، وسلطان الاطرش مسؤولية العمل على (اختلاف) حادث يفضي الى الثورة . (٢) ويذكر الشهبندر في مذكراته انه

(١) مجموعة العام ١٩٢٧ جريدة الاحرار عدد ٧١٥ ، ١٦ آذار
وتصريح لصبحي بركات احد نواب المجلس المنحل

(٢) كوبلنز بول : سكوت سراي ١٥٤ تعريب فريدريك زريق -

كان لموفدي الحزب يد في استمرارها ، بالحوول دون عقد الصلح
بعد معركة المزرعة (١) وقد حل الحزب على أثر ذلك
ولوحق اعضاؤه .

وبقي الشهبندر يتنقل بين الجبل والغوطة ومنطقة الازرق ،
التي اتخذها مركزاً لاعماله السياسية (٢) الى ان غادر منطقة
الثورة نهائياً في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٦ الى العراق ثم الى
مصر واقام فيها برغم احتجاج الحكومة الفرنسية وعراقيل
البريطانيين . واصبح مقر حزب الشعب خارج البلاد ، في مصر
منذ ١٩٢٧ وظل فيها يطالب باستقلال البلاد ووحدتها ، وبتقرير
مصيرها عن طريق جمعية تأسيسية منتخبة انتخاباً حراً .

وقد كانت ظروف الثورة مجالا لتصدع صفوف الوطنيين
وقيام جهتين ظهرتا في قبول فريق الاشتراك في حكومة الداماد
ووضع برنامجها وقيام فريق آخر بوضع ميثاق وطني . كما ظهر
مجال الخلاف على الاخص في شأن الاشراف على اموال التبرعات
الواردة للثورة ، وبسبب رغبة رجال حزب الاستقلال ، في
الانفراد بالتفاوض مع دي جوفنيل باسم الثورة ، والحوول دون
تفاوضه مع الدكتور شهبندر مها كانت النتائج ، حباً في الظهور

دمشق مطبعة ابن زيدون ١٩٣٧

(١) شهبندر : الثورة السورية الوطنية : ٣٢

(٢) العاص محمد سعيد : صفحة من الايام الحمراء : ٢٦ عمان ١٩٢٨

وللكيد الشخصي ولو على حساب المصلحة العامة. (١) وسنلاحظ أثر هذا الشقاق فيما بعد . بعد قيام الكتلة الوطنية من جهة والجهة الشعبية من جهة ثانية .

حزب الوحدة : هو الحزب الآخر المرخص في هذه الفترة وقد ضم لفيفاً من رجال الادارة والموظفين وبين اعضائه المؤسسين شاكراً الحنبلي وحبيب كحالة والدكتور مصطفى شوقي (٢) واشخاصه اكثر ميلاً للتفاهم والمواالة ، وكانت تشرف عليه هيئة ادارية من تسعة اشخاص ، ويرأس الحزب رئيس الهيئة الادارية . وبرنامجه المكتوب ينص على توحيد سوريا تحت حكومة واحدة مستقلة على اساس السيادة القومية ويهدف ايضاً الى النهوض الاقتصادي ، وتخفيف الضرائب ، وایجاد التآلف بين المجموع السوري ، وتحسين حال الطبقة العاملة (٣) ولم يكن له نشاط حزبي صحيح وقد حل عند نشوب الثورة .

الجنة التنفيذية المؤتمر السوري الفلسطيني : تابعت مساعيها في القاهرة ، فاتصلت بدي جوفنيل قبل وصوله الى دمشق ، وكادت

(١) النشرة الرابعة من نشرات حزب الشعب السوري : الصحائف السوداء : ٣٠ و ٣٥ مصر شباط ١٩٢٨ العاص : صفحة من الايام الحمراء ١٩٢٨ : ٤٨ و ٥٥

(٢) المقتبس العدد ٤٢٩٥ ، ٥ حزيران ١٩٢٥

(٣) الف بء ١٤٤٥ ، ١٢ حزيران ١٩٢٥

توصل معه الى اتفاق معقول ، لولا تعنت حزب الاستقلال .
وكانت اللجنة قد وضعت منهاجاً للتعاطف مع الفرنسيين ، على أثر
الدعوة التي وجهتها لجنة الانتدابات الى الاحزاب السورية ، اهل
هذا المنهاج أسس مقررات مؤتمر جنيف عام ١٩٢١ ، فهو يدعو الى عقد
معاهدة لمدة خمسة عشر عاماً والجلء التدريجي ، وهو يطابق
الميثاق الذي سلمه الشيندر الى الملك فيصل عام ١٩٢٦

ولم ترض اللجنة عن برنامج حكومة احمد نامي لأنها قبلت
كل ما يريد الفرنسيون الاحتفاظ به لأنفسهم ، بينما وعدت فقط
بالسعي الى تحقيق المسائل التي تهم السوريين (١) وكانت ترى
ان تتوسط جمعية الامم لحل المسألة السورية .

وفي أواخر سنة ١٩٢٧ ، انشق مندوبو حزب الاستقلال ،
عن اللجنة التنفيذية ، واتهموا آل نطف الله بطلب اماره لبنان
ونشأ عن هذه الحالة ملاسبات لم تؤد الا الى اضعاف اللجنة
التنفيذية وتفككها .

الكتلة الوطنية : وبدأت في هذا الدور تظهر الكتلة الوطنية
منذ أواخر العام ١٩٢٦ ، فعقب تصريح بونسو في تموز ١٩٢٦
الذي دعا فيه الى التعاطف على أساس مهجة فرانسوا الانتدابية عقد
مؤتمر في بيروت في تشرين الاول ١٩٢٧ برئاسة هاشم الاتاسي ✓

(١) مجموعة العام ١٩٢٥ كوكب الشرق « مصر » العدد ٥٤١

٥ حزيران ١٩٢٥

حضرة ابراهيم هنانو ، والدكتور عبد الرحمن كياي ، وعبد
 الحميد كرامة وعبد الله اليافي ، والامير سعيد الجزائري ... نشر
 بياناً رد فيه على المفوض السامي ، ودعا الى تحديد نقاط الخلاف
 واخذ على السلطة ابقاءها اقيود على الحريات ، واعتبارها سوريا
 شعوباً ودولاً مفككة ، ومراعاتها للطائفية ، واهمالها مصالح
 اقتصاديات البلاد واعلن البيان عن رغبتهم في التفاهم ، وهو مسبوك
 بصيغة تسودها روح التساهل والاستعطاف . (١) واستمرت مساعي
 الكتلة الى ان عينت حكومة الشيخ تاج الدين الحسيني ودعي
 الشعب الى انتخاب الجمعية التأسيسية في ١٤ شباط ١٩٢٨ .



(١) امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ٥٣٢ - ٥٣٦ نص

الفصل الخامس

الحياة الحزبية في فترة النضال الدستوري

(١٩٢٨ - ١٩٣٢)

أفهمت الثورة السورية العالم ان سوريا ليست مطمئنة راضية عن الانتداب ، وبرغم الصعوبات التي تعرضت لها ، والشقاق الذي حدث في صفوف القائمين عليها . . فانها كانت ذات تأثير في حمل فرنسا على الاعتراف بمطالب البلاد .
وكما أخفقت محاولة التعاون في فترة الثورة ، أخفقت السياسة الايجابية التي ارادت الكتلة الوطنية سلوكها في هذا الدور ايضاً . فلما جاء بونسو وفاه بتصريحه المعروف ، كان رد المؤتمر الوطني الذي نثر في بيروت في تشرين الاول ١٩٢٧ مؤذناً بولادة هيئة سياسية قدر لها ان تمثل أطول دور سياسي في تاريخ البلاد الحديث حتى الآن هي :

أ الكتلة الوطنية

لم يكن الرد الذي وضعته برنامجاً ، وانما كان عريضة جديدة

تطالب بالمطالب التي سبق ان رددتها الهيئات السابقة ، وهي وحدة البلاد واستقلالها ، وتأليف مجلس تأسيس ، وعقد معاهدة . تميزت بما سيطر عليها من روح الرغبة بالتعاون والاستعداد للتفاهم الى أبعد حد . وبعد ان جرت مفاوضات مع قطبي الكتلة الاتاسي وهنانو ، انقطعت عندما عينت وزارة الشيخ تاج الدين الحسيني « الموقته » في شباط ١٩٢٨ ومهمتها الاشراف على انتخاب المجلس التأسيسي .

الكتلة الوطنية والمجلس التأسيسي : وقد وعد^(١) المفوض السامي بأن يتم سن القانون الأساسي « بملء الحرية ضمن نطاق الاتفاقات الدولية والصكوك المسؤولة عنها فرانساً تجاة جمعية الأمم » ولكنه حدد مضمون المعاهدة التي يقترح انشاءها بقوله : « ان احترام الحقوق والواجبات المتبادلة الناشئة عن صك الانتداب والتي يمكن تحديدها باتفاقات تعقد فيما بعد ، هو في الحقيقة أساس للرقى السريع الذي يجب ان تبلغ اليه سوريا وتساعدتها الدولة المنتدبة على تحقيقه بكل قواها » . لقد كان المفوض السامي يريد دائماً ان يظهر سوريا بمظهر القاصر والدولة المنتدبة بمظهر الوصي الشرعي . ودعا الاحزاب الى اهتبال هذه الفرصة بقوله : « وفي الوقت الذي تقيم فيه فرانساً للسوريين عامة الدلائل على

(١) امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ٣ : ٥٣٩ .

سخائها والثقة التي تضعها فيهم تحذرهم من تعريض المستقبل المملوء بالوعود الجميلة والذي تفتح أمامهم ابوابه للاخطار الناشئة عن الاضطرابات والاختلافات او عن جهل الحقائق السياسية .

وصدر قرار بالعفو استثنى منه تسعة وخمسون شخصاً منهم الشهبندر وسعيد العاص وسلطان الاطرش ، وسعيد حيدر ، وشكيب وعادل ارسلان ، وفوزي القاوقجي ، والفت احكام الاقامة الجبرية عن فوزي الغزي ، وفارس الخوري وسعد الله الجباري .

✓ **فوز الكتلة الوطنية :** وقرر الوطنيون في مؤتمرهم الثاني في دمشق ٢٦ آذار ١٩٢٨ (١) دخول الانتخابات برغم ما في الموقف من غموض وابهام ، وبدون ان يتقيدوا بشيء الا تحقيق مطالب الأمة بوضع دستور يضمن سيادتها ووحدتها ، واستقلالها وشكل حكومتها ، واسلوب ادارتها وحقوق افرادها ، وبرروا دخولهم الانتخاب بأن الانتخاب هو من حق الشعب ، وان العهد الجديد يفتح باباً للعمل . « فالأقدام على تجربة جديدة للتفاهم ، والدفاع عن مستقبل البلاد حفظاً لحقوقها ، خير من تركه للأجورين وعباد الانتداب » . وقد أقبل الشعب على الانتخاب اقبالاً رائعاً وفازت الكتلة فوزاً أقلق السلطة الفرنسية . ✓

(١) الكيالي ، عبد الرحمن : رد الكتلة الوطنية على بيان المفوض

وافتح المجلس التأسيسي في ٩ حزيران القى فيه بونسو خطاباً توجيهياً ، وتهديداً قال فيه « انا اعرف تماماً رغباتكم وتمنياتكم ، فأرجو واتم تعملون انكم تجدون دائماً الاجتماع إلي سهلاً ، وان لا تدعوا مجالاً لأن تنشأ وتنمو في داخل المجلس حالة قد تذهب بشجرة جهودنا المشتركة » . لقد عبر المفوض السامي بهذا الخطاب عن مخاوفه أصدق تعبير .

أعمال المجلس التأسيسي : انتخب هاشم الاتاسي لرئاسة المجلس وألفت لجنة لإنشاء الدستور برئاسة ابراهيم هنونو كان مقررها فوزي الغزي وصدق المجلس على الانتخابات جميعاً « مع انه كان بمقدوره فسخ انتخاب ستة عشر نائباً وجدت أسباب موجبة تحرهم من النيابة » (١) فكان هذا التفاضي ، بالواقع سابقة خطيرة من مجلس كلف بوضع القانون الاساسي للبلاد .

أتم المجلس وضع مشروع للدستور من مئة وخمسة عشر مادة صدقه الاعضاء بصورة اجمالية ، ولكن الفرنسيين اعترضوا في ٩ آب على المواد (٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ١١٠ ، ١١٢) وتعلق بالوحدة السورية ، وحقوق رئيس الجمهورية بالعفو الخاص وعقد المعاهدات ، وحل المجلس النيابي ، والتمثيل الخارجي ، وتنظيم الجيش السوري ، واعلان الاحكام العرفية (٢) . وحجتهم

(١) الكيالي : رد الكتلة الوطنية على بيان المفوض السامي ٦٩
(٢) اليافي ، لطفي ، فوزي الغزي : انظر مشروع الدستور —

ان « الحكومة الفرنسية لا يسعها ان تأذن بنشر وتنفيذ دستور يحرمها من الوسائل التي تساعد على القيام بالفروض الدوائية التي أخذتها على نفسها » (١) ولكن المجلس اتخذ قراراً برفض البلاغ الفرنسي « لأن طي المواد الست الواردة في بيان العميد ورفعها من صلب الدستور تجعله أثراً لا قيمة له ، ويحرم الدولة من سيادتها واستقلالها المعترف به دولياً » (٢) . ولما تقدم المندوب بطلب اضافة المادة ١١٦ الى الدستور أوضحوالة مناقضتها لأحكام الدستور جميعاً أجابهم « نعم ولكن تلك هي ارادة وزارة الخارجية الفرنسية ... وعليكم ان تثقوا بحسن نياتها » (٣) . وقد ذهبت الجمعية التأسيسية في التساهل الى ان اقترحت في ٢٥ كانون الثاني ١٩٢٩ ايقاف انفاذ المواد الست المختلف عليها الى حين عقد المعاهدة وتعديل المادة الثانية الناصة على وحدة سورية المنفصلة عن الدولة العثمانية ، على ان تصبح « سورية وحدة سياسية لا تتجزأ ، وحقوق الاعتراض على التجزئة مضمونة » حتى قال ابراهيم هنانو « لقد تساهلنا حتى كدنا تقع في الحيانة » (٤)

الاصلي ٦٠ - ٧٩ دمشق ١٩٢٩ .

(١) الحفار ، وجيه : الدستور والحكم في الجمهورية السورية ٤٤ .

(٢) امين سعيد : الثورة العربية الكبرى نص القرار ٣ : ٥٤٩ .

(٣) الكيالي : رد الكتلة الوطنية : ٧٧ .

(٤) دروزة : حول الحركة العربية ٢ : ٤٤

وكان جواب الفرنسيين تعاقب جلسات المجلس الى أجل غير مسمى في ٧ شباط ١٩٢٩ ولكن المجلس لم يجتمع بعدها أبداً. نشاط الكتلة بعد اغلاق المجلس : كانت الكتلة الوطنية ترى ان تضع دستوراً خالياً من أي قيد لعلها ان الدستور لا يلزم الافرنسيين بشيء ، أما المعاهدة فهي التي يجب ان تتولى تحديد العلاقات بين الفريقين . وبمناسبة مرور سنة على تعطيل جلسات المجلس عقد الوطنيون مؤتمراً لهم في « زحلته » في ١١ آب ١٩٢٩ استنكروا فيه « بقاء الحكم المطلق » واعدلوا ان « الأمة لا تنظر بعين الرضى والقبول الى أي دستور كان غير الدستور الذي قبله نوابها في ١٧ آب الماضي ، ولا لأي تعديل يطرأ عليه بغير ارادتها ، وهي تعتبر كل حكومة تقوم على غير أساس الدستور حكومة غير شرعية (١) .

وقد قام انصار الكتلة بمظاهرة سلمية مرخصة احتجاجاً على تعطيل الحياة النيابية ، اشترك فيها بعض وفود الاحياء والنقابات والشباب (٢) ، واصدر مكتب المجلس التأسيسي المعلن بياناً أعرب فيه عن استعدادهم لبذل الجهود لانجاح سياسة التعاون . ومنذ ذلك الوقت اصبحت الكتلة الوطنية بنظر اكثرية الشعب

(١) امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ٣ : ٥٤٤ .

(٢) مجموعة العام ١٩٢٩ القبس ٩٦ ، ١١ حزيران .

لمثلة للاهداف الوطنية ، وقائدة الحركة التحريرية وهي لم تكن
 حزباً مرخصاً ، بل كانت تتألف من رجال السياسة ومريدي
 الاستقلال على اساس تنظيم العلاقات مع فرنسا المأهدة .
 ولم يكن لها برنامج مكتوب ، فبرنامجها هو ما مصدر عنها
 من بيانات في مختلف المناسبات تطالب بالوحدة والاستقلال والمعاهدة
 ويمكن ان نعتبر الدستور الذي اقره المجلس التأسيسي في ٧ شباط
 ١٩٢٨ معبرا عن اهداف الكتلة الوطنية ، فقد نص الدستور على
 وحدة البلاد السورية المنفصلة عن الدولة العثمانية ، وعدم الاعتراف
 بما طرأ عليها من تجزئة منذ نهاية الحرب . وافرد بابا خاصاً
 يتألف من اثنتين وعشرين مادة لتعيين حقوق الشعب ، وهو قد
 تبسط في شرحها ليسترد للمواطنين حرياتهم التي سلبت منهم .
 وقرر الجمهورية كنظام للحكم ، ونص على حريات الاديان ، وعلى
 ان تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية ، وحصر السلطة في
 مجلس منفرد منتخب على درجتين .

ولم يكن في الكتلة زعامة او قيادة واحدة ففيها عدد من
 الاقطاب كان ابرزهم هاشم الاتاسي وابراهيم هنانو وفارس الخوري
 والى جانب الكتلة الوطنية وجدت احزاب وهيئات سياسية هي :

ب - الاحزاب والهيئات الاخرى :

وجه قائد الثورة سلطان الاطرش نداء من النبك - وادي

السرطان في ٢٤ تموز ١٩٢٩ دعا فيه الاحزاب ان توحيد صفوفها وان تجعل الميثاق القومي هدفاً (١) وقد عقد مؤتمر وطني في الصحراء في ٢٥ تشرين الاول برئاسته حضره ممثلون عن اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني والاحزاب المنضمة اليها ، ولم يحضره ممثلون عن الكتلة التي كانت سائرة في طريق التعاون والتفاهم ، واتخذ المجتمعون قرارات منها استنكار تصريحات بونسو التي اعلن فيها انه عائد الى سوريا لتنفيذ برنامج اقتصادي ولتجاهله امانى البلاد القومية . (١)

أما الدكتور شهنبر الذي لم يشملته مشروع العفو فقد اقام في القاهرة ووجه بيانا في ٢٤ ايلول ١٩٢٩ دعا فيه الى توحيد الجبهة القومية أمام المطامع الاستعمارية . وكان الشهنبر بعد تفكك حزب الشعب وقيام الكتلة الوطنية التي لم يشترك فيها هو يمثل بشخصه حزبا له شعبية قوية .

موقف اللجنة التنفيذية المؤتمر السوري الفلسطيني :

وقد خفت حدة نشاط هذه اللجنة بعد الثورة السورية وقد اصدرت بيانا في ٣٠ آذار ١٩٢٨ بعد الدعوة الى انتخاب المجلس التأسيسي اعلنت فيه تمسكها بالمطاب التي اعلنت سابقاً ، ورحبت باتاحة الفرصة للمواطنين للافصاح عن اهدافهم بطريق دستوري

(١) الف بء العدد ٢٦٩٠ ، ٢٧ تموز ١٩٢٩

(٢) مجموعة العام ١٩٢٩ الف بء العدد ٢٦٧١ ، ٢ تشرين الثاني

ولكنها اعربت عن خشيتها من ان يستخدم الفرنسيون الانتخابات وسيلة لتأييد الاسباب الوهمية التي بني عليها تمزيق البلاد وحرمانها من استقلالها . (١)

الاحزاب الصغيرة : عرفت دمشق منذ العام ١٩٢٨ حتى عام ١٩٣٤ ما يزيد على خمسة وعشرين حزباً لم يحتفظ اي منها بعد ذلك العام بأي كيان سياسي .

ومن هذه الاحزاب حزب الاصلاح (٢) الذي ألف برئاسة حقي العظم « وغاياته السعي وراء استقلال سوريا بالطرق والاساليب الحكيمة ، والتعجيل في سن قانون أساسي يضمن الامة حريتها واستقلالها ويعين شكل حكومتها على ان تكون دستورية نيابية والعمل للتوفيق بين الاحزاب المختلفة لتتوجه القوى الوطنية نحو الغاية المشتركة ، وهي السعي لتحقيق الوحدة السورية .

أما نظام الحزب فهو يقوم على المبدأ الانتخابي ويحظر على افراده الاشتراك او الاندماج بحزب سياسي آخر بوجه ما !
وقد ضم هذا الحزب تحت لوائه طائفة ارسقراطية كبيرة اغلبها من الموظفين ومن تعاونوا مع المتدينين . ولذا لم يكن له من ماضيه ما يكفل له من عواطف الرأي العام ما يمكنه من

(١) امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ٣ : ٥٤٣

(٢) راجع برنامج الحزب ونظامه الداخلي في جريدة الاستقلال

(دمشق) ٣ تموز و ١٣ آب ١٩٢٩

التغلب على الأحزاب الأخرى .

وقد خاصم الكتلة الوطنية كما خاصم حكومة الشيخ تاج ، أما شعاره في موقفه من السلطة المنتدبة فهو أخذ ما يمكن أخذه ولذا فإن المتدين كانوا ينظرون بعين التساهل الى تشكيله ونموه انسياقاً مع خطتهم في عدم معاكسة الأحزاب التي لا تعاكس الانتداب .

وقد بذل جماعة حزب الإصلاح جهوداً كبيرة لتوحيد صفوفهم مع رجال حزبي الاتحاد الوطني والملكيين في هذا السبيل اما حزب الاتحاد الوطني : فقد ضم عدداً من الموظفين والضباط المتقاعدين ورئيسه سعيد محاسن وهو محام لامع وشغل منصب وزير الداخلية في حكومة الشيخ تاج .

اما الملكييون : فقد كانوا عدة فئات منهم الحزب الملكي الذي بدأ تشكيله ما قبل الثورة السورية بقليل ، واكثر اعضاءه من رجل الجندية القدماء ثم حزب الأمة الذي نشأ في ظروف انتخابات الجمعية التأسيسية وهادن الكتلة الوطنية وخصم حزبي الإصلاح والملكي ودعا الى جعل دين الدولة الاسلام والى اتخاذ النظام الملكي وتسمى باسم حزب الامة الملكي على أنه مما يلفت النظر انه سبق الى المطالبة في برنامجه لمن قانون الانتخاب على اساس الاقتراع العام على درجة واحدة، وهو ما لم يتحقق الا في عام ١٩٤٧^(١)

(١) برنامج حزب الامة الملكي بدمشق ١٣٢٧ هـ

ومن بقايا الملكية (الرابطة الوطنية الملكية) التي أذاعت بياناً (١) بمناسبة دخولها انتخابات ١٩٣٢ دعت فيه الى عقد معاهدة مع فرنسا « لبلوغ الاستقرار السياسي والاداري والانتعاش الاقتصادي » كما دعت الى الأخذ بالنظام الملكي الدستوري بما « قد ينتج عنه في المستقبل الاتحاد مع القطر العراقي الشقيق اقتصادياً وسياسياً فيساعد على انقاذ سوريا من أزماتها الاقتصادية » .
على ان هذه الدعوة الملكية لم يكن لها في صفوف الشعب من يؤيدها .
كما وجدت هناك فئة من التجار تسمت باسم الميثاقين .

وقد كان لهذه الاحزاب برامج مسببة مكتوبة ولكنها لم تملك رخصاً رسمية ، وهي في عداها كانت تؤلف مادة خصبة للمتدينين للبرهنة على عدم النضوج السياسي . ولكنها في كثرتها تدل دلالة واضحة على عنف التيارات المعادية للكتلة الوطنية آنذاك .

ومها يكن فلئن جاز تسمية هذه الهيئات باسم أحزاب فهي لا تخرج بالواقع عن كونها كتلاً شخصية محلية ، كما انها صورة واضحة عن مفهوم الحزبية الخاطي فقد كان يكفي ان يجتمع عدد من الاشخاص لا يتجاوزون أصابع اليدين في اجدى الدور ، فيتداولون الحديث ، ويخرجون على الناس معلنين في الصحف ولادة حزب جديد !

م - اتفاق - باسمة التعاون :

حاولت المفوضية العليا الهاء الشعب ، بالاتفاق مع حكومة الشيخ على تنفيذ بعض المشاريع العمرانية واستسلمت حكومة الشيخ للمتدين الى أبعد حد ونفذت سياستهم فاضطهدت الصحف وحرمت الاجتماعات وحظرت على الموظفين الاشتغال بالسياسة (١) .
ولما لم تؤد المفاوضات التي استؤنفت في آذار بين رئيس الكتلة الوطنية هاشم الاتالي والمندوب ، أذاع الوطنيون بياناً مطولاً على الشعب استعرضوا فيه أدوار القضية وشرحوها مطالب البلاد ، وحملوا الشركات الاستعمارية مسؤولية فشل التعاون ولكنهم اعربوا عن ثقتهم بأنه سيأتي يوم تكون فيه على رأس حكومة فرانساً « أحزاب أخرى وإذ ذاك تتصافح الايدي ويعلو الحق (٢) » .

وعندما فوجئت البلاد باعلان الدساتير الخمسة : دستور دولة سورية بعد ان عدلته المفوضية العليا كما تريد وازافت عليه المادة ١١٦ ، واربعة دساتير أخرى هيأتها هي لبنان وجبل الدروز والعلويين والاسكندرون وذلك في ١٤ مايس ١٩٣٠ ، قامت المظاهرات وعقدت الكتلة الوطنية اجتماعات في دمشق وحلب

(١) كرد علي ، محمد : المذكرات : ٤ : ١١٩٧ و ١٢٠١ .

(٢) امين سعيد : الثورة العربية الكبرى ٣ : ٥٥٨ .

خطب فيها مردم وهنانو واعلنوا عدم اعترافهم بدساتير المفوض السامي . ثم قام الفرنسيون بتدبير آخر فأنهت مهمة الشيخ تاج الدين الحسيني في ١٩ تشرين الثاني ١٩٣٢ بعد ان أقام في الحكم زهاء اربع سنوات وصفت خلالها حكومته بأنها « موقنة » ودعي الشعب الى اجراء انتخابات في ظل الدستور المنشور .

واشرفت على الانتخابات حكومة رئيسها المندوب الفرنسي في دمشق سولوميالك . ومع ذلك قرر الوطنيون الاشتراك في الانتخابات في بيان نشره في ١٠ كانون الاول ١٩٣١ كرروا فيه عدم اعترافهم بالانتداب المفروض فرضاً واعلنوا عدم تقيدهم بما ظهر من الاحداث العابثة بحقوق الأمة وواضحوا ضرورة وجودهم في المجلس ليمثلوا الشعب عند عرض المعاهدة المراقبة (١) .

وفي يوم الانتخاب في ٢٠ كانون الاول اصطدم الشعب بقوات الأمن في دمشق وحماه ودوما وحمص ، وسقط عدد من القتلى ، بسبب تدخل السلطة لمصلحة مرشحها ، ووقوف ثلاثة من مرشحي الكتلة الوطنية في حلب وانتهت المعركة بفوز مرشحي الحكومة ، ولم تجذ الاحتجاجات والعرائض المقنعة التي وقعها عشرون الف مواطن في حلب لتبديل الموقف (٢) . اذ اسفرت

(١) المصدر السابق ٣ : ٥٦٥ .

(٢) الكيالي : رد الكتلة الوطنية على بيان المفوض السامي ١٣١

وامين سعيد : الثورة العربية الكبرى ٣ : ٥٧ .

النتيجة عن فوز (٥٤) نائباً من مرشحي السلطة و « المعتدلين »
و (١٧) نائباً عن الكتلة الوطنية ومؤيديها .

وكانت هذه الفضائح السافرة لا بد منها بنظر الاجنبي لكي
يتلافى قيام مجلس يخلق له من الصعوبات ما خلقه المجلس
التأسيسي في عام ١٩٢٨ .

وهكذا رأينا في هذا الفصل نشوء الكتلة الوطنية ، وتبنيها
سياسة التفاهم التي ظهرت في المجلس التأسيسي ، وفي دخول
الانتخابات التي جرت على اساس الدستور المعدل الذي نشره
المفوض السامي و اخفاق السياسة الايجابية ، مما أدى الى سلوك
الكتلة الوطنية سياسة سلبية في المرحلة التالية استمرت حتى عقد
المعاهدة عام ١٩٣٦ .



الفصل السادس

الحياة الحزبية في دور هذه الفترة

(١٩٣٢ - ١٩٣٩)

كانت الهيئات السياسية في هذه الفترة ، تسعى لعقد معاهدة مع فرنسا لاتقل عن المعاهدة التي عقدت بين بريطانيا والعراق عام ١٩٣٠ . وقد مرت المساعي السياسية في هذا الدور الذي اسميناه بدور المعاهدة بمرحلتين ، تنهي الاولى في ٢٢ تشرين الاول ١٩٣٦ ، جاهدت فيها الاحزاب جهاداً سلبياً تارة وإيجابياً تارة أخرى لعقد المعاهدة ، بينما انقضت المرحلة الثانية في السعي لابرامها .

وقد اتى هذا الدور برهانا جديداً على ان اليجابية التي حاولت الكتلة الوطنية للمرة الرابعة ان تسير عليها للتفاهم مع الافرنسيين على اساس التعاقد المشروط بالاعتراف بالاستقلال والوحدة ، لم يكن منها أدنى فائدة ، بل انه في هذا الدور بالذات تأمرت فرنسا ، واقطعت من جنب البلاد لواء الاسكندرون فأصاب الوطن بحرج لن يندمل الا باسترداده .

وفي هذا الدور ظهر في البلاد نشاط سياسي وشعبي واسع وقامت احزاب وهيئات سياسية جديدة ، كعصبة العمل القومي والحزب السوري القومي والحزب الشيوعي . ولكن الكتلة الوطنية هي التي كانت المسيطرة على نفوس اكثرية الشعب ، ودورها هو الدور النافذ في سياسة البلاد .

أ - المرمز الاول (١٩٣١ - ١٩٣٦)

احزاب المجلس النيابي : لم يكن في المجلس المنتخب احزاب برلمانية بالمعنى الصحيح ، بل كان هناك سبعة من نواب الكتلة الوطنية ، يناصرهم عشرة آخرون مقابل واحد وخمسين نائباً كانوا من مؤيدي السلطة الفرنسية ، والحكومة المتعاونة معها ولكنهم كانوا منقسمين الى كتل اقليمية وشخصية ، للتناقص على المناصب ، فقد جمع صبحي بركات نواب الشمال في كتلة سماها « الحزب الحر الدستوري » كما كان حيي العظم على رأس كتلة الجنوب المسماة « بحزب الائتلاف » .

أما الحزب الحر الدستوري فقد تألف في ٢٢ كانون الثاني ١٩٣٢ وضم مجموعة النواب المعتدلين في المجلس النيابي واغلبهم من حلب . أما الغاية السياسية للحزب فتألف من خمسة مواد تنص على العمل لتأليف حكومة دستورية قوية مسؤولة أمام المجلس النيابي ، وتحويل الانتداب الى معاهدة تحالف بين سوريا وفرنسا

تضمن حقوق الاقليات ، والسعي لادخال سوريا في عضبة الأمم
ولاعادة الوحدة السورية على اساس الامر كزية ، وتأليف جيش
سوري متطوع للاستغناء عن قطعات الجيش الفرنسي تدريجياً .
أما برنامج الحزب في الميدان الاداري فيرمي الى اصلاح القضاء
للتخلص من المحاكم الاجنبية تدريجياً ، وادارة الاوقاف الاسلامية
ادارة طائفية وتأمين حرية التعليم ووحدة .

وقد اتخذت دمشق مركزاً للحزب ، واتبع في تعيين لجانه
طريقة الانتخاب المحدود الأمد ، أما الجريدة الناطقة باسمه فهي
جريدة الاهالي التي صدرت في حلب .

أما حزب الائتلاف فلم يكن يختلف كثيراً عن الحزب
السابق الذكر .

على ان السبب الرئيسي لظهور هاتين الكتلتين الحزبيتين هو
النزاع على منصب رئاسة الجمهورية ، الذي كان يطمح اليه
زعما الحزبين .

وقد قاوم الكتليون المحاولات التي بذلت لانتخاب أحدهما
لرئاسة الجمهورية ، وأدت الاتصالات الى فوز مرشح رضي عنه
نواب الكتلة الوطنية هو محمد علي العابد بستة وثلاثين صوتاً
مقابل اربعة وثلاثين نالها منافسه صبحي بركات (١) . وقد فاز
هذا الأخير برئاسة المجلس النيابي .

الكتلة الوطنية : الكتلة في المجلس النيابي : اشترك الوطنيون في الوزارة التي ألفها حقي العظم ، ومثلهم فيها جميل مردم ، ومظهر رسلان ، ولكن لم تظهر بادرة تفيد عن حسن نية المفوضية العليا ، فقد جرت محاولة في ٣ ايلول للاعتداء على حياة ابراهيم هنانو باطلاق النار ، ولم يلاحق الجاني ولم يتعمق التحقيق في دراسة الحادث والكشف عليه (١) . وفي ٤ تشرين الثاني أذاع رئيس الكتلة الوطنية هاشم الاتابي بياناً ذكر فيه المسؤولين الفرنسيين بضرورة عقد المعاهدة .

ولكن في ١٨ نيسان انسحب الوزيران والنواب الكتليون من المجلس بعد ان عرف ان المعاهدة التي ينوي الفرنسيون تقديمها الى المجلس ، تقرر تجزئة البلاد وتلزم الشعب بها . وعلى أثر ذلك أعلن هاشم الاتابي وابراهيم هنانو باسم الكتلة الوطنية في ٢٠ نيسان ١٩٣٣ قطع سياسة التعاون الى ان تبدو من الجانب الفرنسي بادرة تساعد على استئناف العمل .

رد مشروع معاهدة ١٩٣٣ : وعندما تقدمت حكومة حقي العظم المعدلة بعد ان خرج منها الوزيران الوطنيان بمشروع المعاهدة الذي وضعه الفرنسيون (٢) ، الى المجلس في ٢١ تشرين

(١) الكيالي : رد الكتلة الوطنية على بيان المفوض السامي ١٥٥ .

(٢) امين سعيد : الثورة العربية الكبرى نص المشروع ٣ :-

الثاني قام وزير المالية شاكر نعمت الشعباني يدافع عنه بجرارة ،
 وكان نواب الكتلة قد عادوا الى المجلس ليقفوا دون اقرار
 المعاهدة ، فقام النائب جميل مردم وتلا مضبطة موقعة من ستة
 واربعين نائباً هم اكثرية المجلس المطلقة . برفض المعاهدة . فأوقفت
 الجلسة على الفور بناء على طلب ممثل السلطة الفرنسية . ولما لم
 يرضخ رئيس المجلس صبحي بركات لطلب الفرنسيين بمحذف تلاوة
 المضبطة من وقائع الجلسة استرد الفرنسيون المشروع من
 الحكومة حائقين .

وفي ٢ كانون الاول وجهت الكتلة الوطنية بياناً الى الشعب
 شرحت فيه الحوادث الاخيرة ، ووصفت مشروع المعاهدة بأنه
 محاولة لصوغ الانتداب المفروض في صيغة معاهدة مشروعة .
 ثم حلت في ١٧ آذار حكومة ألفها الشيخ تاج الدين الحسيني محل
 حكومة حقي-العظم ، استسلمت للسياسة الفرنسية ، وقامت في
 عهدها أعنف حركة سلبية في البلاد السورية ، انتهت بسفر
 الوفد وعقد معاهدة عام ١٩٣٦ .

نشاط الكتلة الوطنية بعد قطع التعاون : كانت شقة الخلاف
 واسعة بين الفرنسيين ورجال الكتلة الوطنية ، حتى اضطر المفوض
 السامي بونسو الى التصريح أمام لجنة الانتدابات في جنيف عام
 ١٩٣٤ ، متبرماً « بأن بلاداً كسوريا يرغب في الحصول على
 حريته واستقلاله ولم يعترف بوجود الانتداب الا بنفور ، وهو يطلب

إلى ان أسير به في سبيل التطور سيراً سريعاً فماذا يمكنني أن أجيبه ؟ وان سوريا لا تقدر نظام الانتداب حق قدره فكيف يمكنني ان أنسى ذلك وقد أضفت المادة ١١٦ الى دستورها « (١) ؟ »
وقد ردت الكتلة الوطنية على بيانات المفوض السامي هذه في رد مطول صدر في كتاب أعده الدكتور عبد الرحمن الكيالي أوضحت فيه العوامل التي دعتها الى « رفض الانتداب الذي نعده الاستعمار بعينه رفضاً باتاً وتقاومه بكل ما أوتينا من قوة » ، وبينت فيه الاسباب التي أدتها الى الاصرار على « عقد معاهدة شريفة » ، وتضمن الرد مطالب البلاد التي تسعى اليها الكتلة الوطنية ، وهي الاعتراف بسيادة البلاد ووحدتها ، وعقد معاهدة تحدد علائق الطرفين ، والغاء الادارة المباشرة والفعلية ، واعلان العفو العام عن المحكومين السياسيين ، وتشكيل جيش وطني ، وإعادة الاوقاف الى الطائفة الاسلامية ، وتحديد الهجرة ، والغاء القرارات الاستثنائية المقيدة للحريات العامة ، وصيانة القضاء الوطني ، وانهاء الديون العامة ونشر التعليم الصحيح وادخال سورية في عصبة الامم (١) .

مكتب فخري البارودي : وأسس فخري البارودي أحد

أقطاب الكتلة مع بعض الشباب العاملين في تشرين الاول ١٩٣٤ ،

(١) الكيالي : رد الكتلة الوطنية على بيان المفوض السامي ٢٨ .

(٢) نفس المصدر ٢٠٩ — ٢١٠ .

مكتبها للدعاية والنشر ، عرض على الشعب في كراس صغير جعل شعاره « السنتيم أساس المليون » ، مشروعاً لجمع المال لانفاقه في سبيل الدعاية للمسألة الوطنية في الخارج ، ولتنوير الشعب وتوحيد اتجاهاته .

→ وقد انشئ مكتب مركزي في دمشق ، للدعاية والنشر ، قام بتصنيف جزازات مجموعة مما يصدر في امهات الصحف في اقطار العالم عن المسائل المتعلقة « بالديار الشامية » منذ انفصالها عن الدولة العثمانية ، وجمع الوثائق السياسية والاقتصادية المتصلة بها . وقد نجح المكتب في هذه الناحية نجاحاً نسبياً ، كما نجح في العمل على مقاطعة البضائع الاجنبية التي يصنع مثلها في البلاد ولكنه قصر عن تنفيذ مواد البرنامج الأخرى .

الميثاق الوطني : قامت الكتلة الوطنية بنشاط واسع في غمرة الألم الذي هز النفوس ، بوفاة احد اقطابها الكبار ، ابراهيم هنانو في تشرين الثاني ١٩٣٥^ن . وقد ظهرت في حفلة ذكرى اربعين وفاته بوادر خطة جديدة ، اتضحت باعلان الميثاق الوطني الذي يتضمن سبعة نقاط في ١٠ كانون الثاني ١٩٣٦ وقد نص الميثاق على تحرير البلاد السورية المنفصلة عن الدولة العثمانية من كل سلطة اجنبية ، وجمع اراضيها المجزأة في دولة واحدة ذات حكومة واحدة ورفض وعد بلفور ومقاومة الوطن القومي الصهيوني والسعي لاتحاد الاقطار العربية . على ان لا يحول هذا دون

الاهداف الواجب بلوغها في كل قطر . وتأيد الحرية والمساواة للشعب كله على اختلاف طوائفه ، واتحاد جميع قوى الامة وتوجيه جهودها لتحقيق الاماني القومية ، ولذلك تعتبر الكتلة الوطنية تأليف الاحزاب السياسية في هذه الآونة مخالفاً لوحدة الجهود . وقد نص البند السابع على اعتبار هذه النقاط جوهرية في حياة الامة وكيانها ، وكل مخالفة لها تحرم صاحبها من حق المبادئ الوطنية . وتذكرنا هذه البنود بقرارات المؤتمر السوري في العهد الفيصلي .

وقد تألف للكتلة الوطنية مجلس من سبعة وعشرين عضواً يمثلون المدن السورية منهم هاشم الاتاسي وفارس الخوري وجميل مردم ورياض الصلح وسعد الله الجابري وفخري البارودي وفاز الخوري وشكري القوتلي والدكتور ناظم القدسي والدكتور منير العجلاني ورشدي الكيخيا .

وعقد في الوقت ذاته مؤتمر لندوبي مدن الساحلي والاقضية الاربعة ، وهي المناطق التي ضمت الى جيل لبنان عام ١٩٢٠ ، في بيروت ، رفع بعد انتهائه مذكرة الى المفوض السامي طالب فيها بالوحدة السورية الشاملة (١) .

الاضراب الكبير : كانت الاحداث الماضية قد اعدت الشعب

(١) مؤتمر الساحل والاقضية الاربعة : ٤٩ - ٥٢ كراس صغير

طبعه المؤتمر في بيروت ١٩٣٦

لقيام بحركة مقاومة ، فما ان حدثت حركة مقاطعة شركة الجر والتنوير الفرنسية بدمشق ، حتى تبنتها الكتلة الوطنية . فاعتقل فخري البارودي في ١٩ كانون الثاني ، وختم مكتب الكتلة ومكتب فخري البارودي بدمشق ومكتب الكتلة الوطنية بحلب ، بالشمع الاحمر وجرت حركة اعتقالات واسعة .

وهكذا انتقلت المقاطعة الى حركة سياسية فتوالت المظاهرات الدامية واضربت دمشق وبعض المدن السورية الأخرى وطرابلس اضراباً استمر ستين يوماً ، في حركة سلبية تعتبر من اقوى الحركات في تاريخ المساعي الوطنية ، وبرهنت على رابطة جأش الشعب السوري ، واتحاده .

وقد عرض وفد كبير قابل المفوض السامي في ٢٨ كانون الثاني مطالب البلاد وهي : اولا - اعادة الدستور كما وضعته الجمعية التأسيسية . ثانياً - الغاء نظام الانتداب وعلان استقلال سوريا ثالثاً - اعلان وحدة البلاد . رابعاً - اعادة المبعدين واطلاق سراح المسجونين .

وتضامن رئيس مجلس النواب المعطل صبحي بركات ، مع الشعب فأرسل في ٢٢ كانون الثاني كتاباً الى المفوض السامي احتجاج فيه على سياسته ، ووصف مشروع معاهدة عام ١٩٣٣ التي لا يزال يتمسك بها ، كجد أعلى بأنها طعنة في وحدة البلاد وسيادتها ، وقد صيغ الكتاب بأسلوب استفهامي فيه كثير من

الصراحة اللاذعة وقد جاء فيه : « ... فاجأتم البلاد بقرارات
 كيفية ، ولم تقيّدوا في يوم من الايام بصك الانتداب ، ولم
 تحترموا دستوراً أنتم وضعتموه وصدقتموه » وحمل على الشيخ تاج
 واحتج على اغلاق مكتب الكتلة الوطنية والاعتداء على رجلها
 وطالب بمحاكمة المسؤولين عن الحوادث . (١)

وكان ان رضخت السلطة الفرنسية لهذا الضغط الشعبي ،
 فاستقالت حكومة الشيخ تاج ، والف عطا الايوبي ، احد اعضاء
 الوزارة السابقة وزارة جديدة من سعيد الغزي وادمون حمصي
 ومصطفى الشهابي ، ومصطفى القصيري .

وحدد المفوض السامي الكونت دي مارتيل ، الذي كان قد
 خلف بونسو منذ تشرين الاول ١٩٣٣ مهمة الوزارة الجديدة
 في كتابه الموجه الى رئيسها بأنها : متابعة المبادئ المنصوص عنها
 في صك عصبة الامم ضمن نطاق حياة برلمانية تساعد على التوفيق
 بين فكرة الوحدة واحترام حقوق الاقليات (٢) وطالب اليه العمل
 على ازالة سوء التفاهم الذي قد يكون بين الرأي العام والسلطة
 المنتدبة ، وتهيئة اعادة الحياة النيابية . وسياسة التطور التي تتجه
 الى ايجاد معاهدة بين فرنسا وسوريا مستوحاة من المعاهدة العراقية
 مع دخول سوريا في عصبة الامم .

(١) العش، انور : في طريق الحرية ١ : ٤٣ - ٥٧ دمشق ١٩٣٦

(٢) بيان الجبهة الوطنية الى الامة العربية : نص البيان ٣

وفي هذه المرة كانت الكتلة الوطنية أكثر حذراً فاتفق على عدم الاقدام على أي خطوة الا بعد الوقوف على نيات الفرنسيين واذاغت بيانا في ٢٧ شباط وصفت فيه بيان المفوض السامي بالعموض ، فقامت مظاهرات دامية دارت على اثرها مفاوضات بين وفد الكتلة الوطنية برئاسة هاشم الاتاسي والمفوضية العليا في بيروت بين ٢٨ شباط و ٢ آذار اسفرت عن اتفاق وقعه الطرفان بالعمفو العام عن جميع مثيري الحوادث الاخيرة وارسلال وفد للمفاوضة في باريس . واذاغت الحكومة بيانا آخر حددت فيه أسس المفاوضات التي وافق عليها المفوض السامي وهي :

ان يسافر وفد الى باريس مهمته التمهيد لعقد معاهدة على اساس الوحدة السورية مع مراعاة مبادئ جمعية الامم والدستور السوري ، وعلى ان لا تكون الحقوق التي ستضمنها المعاهدة دون الحقوق التي تضمنتها المعاهدة العراقية - البريطانية .

وصدر مرسوم جمهوري في ١٤ آذار بتسمية اعضاء الوفد وهم مندوبو الكتلة الوطنية : هاشم الاتاسي وفارس الخوري وجميل مردم بك ، وسعد الله الجابري ، والوزيرين مصطفى الشهابي وادمون حمصي وانضم اليه نعيم الانطاسي واحمد اللحام بصفة سكرتيرين .

وقد سجلت هذه الحوادث ، بدء اليقظة الشعبية في سوريا التي كانت تنقصها القيادة القوية ، وتكشف من هذه الناحية

الخطر في ان تكون القيادة رجعية ، فلا تحسن العمل لتحقيق ما هو ممكن في مثل الظروف المحيطة والحالة النفسية التي وصل اليها الشعب السوري (١) .

الكتلة الوطنية في غياب الوفد : قامت الكتلة الوطنية خلال غياب الوفد بنشاط واسع النطاق ، فكانت تطالع الشعب على المفاوضات ، وتسعى جاهدة لاقتناع الشعب بنجاح سياسة التفاهم . أما الخطر من هذا التوجيه هو ان الشعب بات يعتقد في ان القضية الوطنية هي عقد المعاهدة ، وعقدت اجتماعات في احياء دمشق والمدن الاخرى ، وكانت مكاتب الكتلة في المحافظات على اتصال بالمرکز في دمشق ، الذي قام عليه في تلك الآونة شكري القوتلي . ووقفت الكتلة تمنع أي حركة اضراب أو تظاهر لأية مناسبة كانت ، وانهت مقاطعة شركة الجر والتنوير .

الشباب الوطني

في ظروف الحوادث الاخيرة نظم شباب دمشق ، الوطنيون صفاقهم ، وفي غياب الوفد القوا هيئة مركزها دمشق سنوا لها قانوناً (٢) نصت المادة الاولى منه على ان الشباب الوطني هيئة

(١) مجلة الطليعة : سورية المتبقطة (مقال) شاكر العاص السنة

الثانية العدد الثامن دمشق ٢٠ تموز ١٩٣٦

(٢) العش ، انور : في طريق الحرية ٢ : ٤٤

قومية عربية غايتها تحرير سورية الطبيعية وتوحيدها والعمل في سبيل تقارب البلاد العربية واتحادها وهو كذلك هيئة سياسية تهذيبية كفاحية تقوم على أسس الطاعة والنظام والتضحية ، وتدريب الشبيبة على أساليب مستمدة من التعاليم الرياضية والعسكرية . وكان لباس فرق الشباب الوطني موحداً ذا لون حديدي وعرفت باسم فرق القمصان الحديدية (ف . ح) ، وتحتيتها الرسمية رفع اليد الى الأمام مع بسط الكف .

وكانت تشرف على « الشباب الوطني » هيئات منتخبة أعلاها اللجنة العليا المؤلفة من خمسة اشخاص ، ينتخبها المجلس الكبير المؤلف من حملة الشهادات العليا وهذا المجلس ينتخب ايضاً أمين السر العام والمراقب العام . واللجان في هذه المنطقة كما يظهر في نظامها الداخلي متعددة ، ومتداخلة ومتشابكة ، ولم يكن من ذلك الا اضاءة الوقت والابطال في العمل في منظمة وصفت بأنها « عسكرية كفاحية » .

وقد أقام الشباب الوطني أول مهرجان له في ٢١ أيار ١٩٣٦ في الملعب البلدي بدمشق اشترك فيه ما يتوف على ألف شاب ، وشاهدته جماهير غفيرة ، وخطب أمين السر العام الدكتور منير العجلاني داعياً الشعب الى اطاعة الكتلة الوطنية « طاعة لا مواربة فيها ، واخلاص لا حد له . . » وخطب الدكتور احمد السمان عضو اللجنة العليا قائلاً « ان سورية عربية ونحن اخصام السياسة

الاقليمية التي تقول « سورية للسوريين » وهاجم العصابات الطائفية والاقليمية ..

وحذت المدن السورية الأخرى حذو الشباب الوطني في دمشق ، فأصبح يضم بضعة آلاف ، ولكن نون قيادة موحدة . والحقيقة ان هذه المنظمة كانت تقليداً لمنظمات الكفاح الالمانية وقد قام بتدريب اعضائها بعض ضباط الجيش المتقاعدين من العهد الفيصلي وكان ظهورها المنظم السريع مفاجأة للسلطة المتدبة ، وهي ان لم تحقق الاهداف التي وضعتها في برنامجها .. فانها قوت مركز الكتلة الوطنية الشعبي ، بولائها الأعمى لها حتى اصبح شعار « الطاعة للكتلة الوطنية » يتردد ملء الافواه .

توقيع المعاهدة وعودة الوفد : بعد ان أمضى الوفد خمسة أشهر في باريس ، وتذبذبت المفاوضات بين كروفر ، ونجاح واخفاق تبعاً للطقس السياسي في فرنسا وقعت حكومة الجبهة الشعبية معاهدة الصداقة والتحالف (١) بالنيابة عن فرنسا ، ووقع الوفد السوري عليها نيابة عن الجمهورية السورية . واستقبل الوفد عندما عاد الى سوريا استقبال الفاتحين ، رغم ان الشعب لم يكن يعرف ما تتضمنه تماماً اذ ان نصوصها الرسمية لم تنشر الا في

(١) راجع نصوص المعاهدة وملاحقها في مجموعة المعاهدات والوثائق

التاريخية نسرتها مطبعة الشعب بدمشق ١٩٣٧ .

٢٢ تشرين الاول ، بعد ان تمياً الشعب لقبولها . اذ كانت دون ما كان يمتنى به من الوعود .

أما مدة هذه المعاهدة فهي خمسة وعشرين سنة ، وتتألف من تسعة مواد أصلية تنص على اقامة سلم دائم بين الدولتين المستقلتين المتمتعين بالسيادة ، وتوحيد سياستها الخارجية ، وتبادل التمثيل السياسي وتبادل المساعدة العسكرية ، وان تبرم وتوضع مع ملاحظها موضع العمل يوم قبول سوريا في عصبة الأمم . أما الاتفاق العسكري فيوضع بموجبه الجيش السوري ، وامكانيات سوريا ومواقعها الاستراتيجية تحت تصرف فرنسا . وتتضمن بعض الملاحق ضم جبل الدروز واللاذقية الى الدولة السورية على ان يوضع لهما نظام اداري خاص .

اما الاحزاب الأخرى في هذه المرحلة فهي :

الجمهورية الوطنية المنهزمة :

تأسست هذه الهيئة الحزبية في ٢٢ تشرين الاول ١٩٣٥ ، وضمت الافراد الذين لم ينضموا الى الكتلة الوطنية ، وأيدها الدكتور شهبندر المقيم اقامة قسرية في القاهرة منذ عام ١٩٢٧ . أما هدفها الأسمى فهو كما ورد في منهاجها : وطن عربي واحد وعلم واحد ، ولكنها قصرت جهودها على سوريا « لتحريرها وازالة تجزئتها » وكانت ترفض سياسة المراحل في ما دون ذلك .

وكانت ترمي الى توحيد المناطق الساحلية والداخلية السورية ، مع اجتناب قاعدة اللامركزية على ان يستقوى جبل لبنان في تقرير مصيره . وتقبل بعقد معاهدة مع فرنسا تضمن الغاء الانتداب والاعتراف بالاستقلال والسيادة والوحدة وتكفل من الحقوق لسوريا ما تضمنه المعاهدة العراقية المعقودة عام ١٩٣٠ مع مراعاة الفارق الزمني . كما انها لا تجيز ان يتنافى العمل المحلي مع مصلحة القضية العربية العامة ، وتنبذ الطائفية ، وتحظر على اعضائها قبول المناصب والاشتراك في الانتخابات الا بقرار من لجنها المركزية .

وكان يؤلف مجموع اعضائها هيئة عامة ، لها لجنة مركزية منتخبة مؤلفة من اثني عشر عضواً تؤخذ القرارات فيها بالاكثرية ويمثلها أمين سر عام . وقد أسمعت الجبهة صوتها في بعض المناسبات وكان لها انصار في العاصمة ولكنها كانت ضعيفة في غيرها .

وقد ناوأ حكومة الشيخ تاج وأسهمت في حوادث الاضراب العام . وردت على بيان العميد الفرنسي الموجه الى رئيس الحكومة ووصفته كما وصفته الكتلة الوطنية بالغموض (١) ، فيما

(١) بيان الجبهة الوطنية المتحدة الى الأمة العربية الكريمة عن مفاوضات ٢٩ شباط وأول مارس ١٩٣٦ .

يتعلق بالوحدة التي لا تقبل الجدل ، ورأت انه مما لا يطمئن ان تكون المعاهدة الغتيدة « مستوحاة » من المعاهدة العراقية بل يجب ان يقال ان لا تنقص حقوق سوريا في المعاهدة عن الحقوق التي ضمنها للعراق المعاهدة العراقية المعقودة قبل اربع سنين ، وطالبت باعادة دستور عام ١٩٢٨ . كذلك اخذت الجبهة على الاتاني « تسرعه » بتوقيع اتفاق أول آذار ، قبل أخذ رأي الكتلة والهيئات الأخرى بالرغم مما فيه من تحفظات تنقص الأمانى الوطنية الكاملة ، وأخذت على الوفد المفاوض في بيروت وقوفه موقفاً لا يشبه موقف الفرنسيين عندما أضافوا المادة ١١٦ على الدستور على الأقل .

عصبة العمل القومي :

كانت الهيئات السياسية التي تأسست في تاريخ الحياة الحزبية في سوريا حتى عام ١٩٣٢ تكتفي بنشر برنامج ، مختصر ، أو مفصل ، يتفق عليه المجتمعون دون ان يضعوا أسساً أو مفاهيم عامة له . فلقد قدمت تلك الاحزاب للشعب برامج سياسية ، أما عصبة العمل القومي فقد قدمت برنامجاً قومياً عربياً (١) .

نشأة العصبة : تنادى بعض الشباب المثقف من سوريا ولبنان

(١) بيان المؤتمر التأسيسي لعصبة العمل القومي المنعقد في قرنايل

الى مؤتمر عقد في قرنايل في لبنان في احدى الدورات ودون علم السلطة ، اصدروا بعده بياناً مفصلاً يبدو انه هي سابقاً اوضحوا في مقدمته ان هدفهم انقاذ العرب من التدهور والانحلال السائرين اليهما .

مفاهيمها : حددت العصبية نقاط الضعف في العرب : النفعية والفردية وشلل المرأة الاجتماعي ، والبداوة . كما حددت نقاط القوة فيهم : عظمة التاريخ ، ورابطة اللغة واستعداد العرب للتفوق والموقع الجغرافي للبلاد العربية وامكانياتها الاقتصادية . وأدرك المؤتمر خطر الاستعمار وبحث خطته فبين لهم ان وضع الأمة الداخلي يسهل للمستعمر مهمته « فثبت لهم ان تدخل الاجانب في البلاد العربية لا يستهدف غير استعمارها واخضاعها دائماً وأبداً لسلطانهم ، وانهم يعتمدون في ذلك على مفعول الوقت الذي يكسبونه بوعود التفاهم ، والمعاهدات وتحت ستار مترادفات كلمة الاستعمار » (١) .

اهدافها : للعصبية هدفان هما : سيادة العرب واستقلالهم المطلقين ، والوحدة العربية الشاملة . وقد أقرت سياسة التعاون مع المنتدبين والحكومات التي

(١) بيان المؤتمر التأسيسي لعصبة العمل القومي المنعقد في قرنايل

يقيمونها انسجاماً مع مبدأ عدم الاعتراف بهم . أما سياستها الاقتصادية : فقد سجلت تطوراً في السياسة آنذاك ، اذا اعتبرت البلاد العربية وحدة اقتصادية وأوجبت مقاومة الاستثمار الاجني للبلاد ، ومحاربة الاقطاعية وتحديد مقدار التملك العقاري .

ودعت العصبة الى مقاومة كل عصبية غير العصبية القومية العربية ، والى رفع مستوى المرأة الاجتماعي ولكنها لم تدع الى مساواتها بالرجل ، وطالبت بجعل اللغة العربية وحدها لغة التعليم في شتى فروعه .

أما الوسائل التي أقرتها فهي مقاومة المستعمر بالقيام بهضة ايجابية عامة واعداد الأمة الى الهدف الأسمى ، وتأسيس الحركة على أساس شعبي منظم ، وتوحيد حركة المقاومة في الاقطار العربية ، والقضاء على النزعات الاقليمية ، ومراعاة الظروف لكل قطر عند معالجة المشاكل المحلية .

أما بالنسبة لسوريا فقد اعتبرت مبدأ التعاهد وسيلة لانتزاع اعتراف من الأمة يقر فرانسا على سياستها الانتدابية ، ولم تقبل سياسة المراحل . وسعت — تنفيذاً لخطتها — لتوسيع مدى الهوة بين المستعمرين والشعب ، ولم تعترف بالمجلس النيابي ، والحكومة ومقرراتها .

كان مركز العصبة دمشق ويرأسها لجنة تنفيذية لها سكرتير عام ولها فروع في بعض المدن السورية واللبنانية كانت على صلة

بالمركز . ومن اعضائها اذ ذاك ، عبد الرزاق الدندشي وفهمي
 الحايري وصبري العسلي وفريد زين الدين وزكي الارسوزي .
 وقد كانت تحمل عوامل ضعف منذ بدايتها ، لقد كانت فعلا
 عصبية ولم تكن حزبا نظامياً . واهميتها في انها تمثل في هذه
 المرحلة من الحياة الحزبية ، في برنامجها رأي الفئة المثقفة ، ومثلها
 الاعلى السياسي . ولكن الرأي العام لم يكن مستعداً لقبول مثل
 هذا البرنامج « المتطرف » ، بعد ان خدر بنشوة المعاهدة التي
 جرعتة كأشها الكتلة الوطنية .

الحزب السوري القومي :

نشأت في هذه المرحلة من تاريخ الحياة الحزبية في
 سوريا هذه المنظمة الحزبية الجديدة ، على أسس تختلف تمام
 الاختلاف عن أسس ومفاهيم الاحزاب التي سبقتها والاحزاب
 التي تلتها . وتقوم قبل كل شيء على أساس مقاومة فكرة القومية
 العربية والمناداة بقومية سورية اقليمية تشمل الهلال الخصيب .
 وان التوسع في نشأة هذا الحزب ومبادئه لا بد منه لفهم مراميه
 واغراضه .

نشأة الحزب : أسس هذا الحزب شخص واحد هو انطون
 سعادة ، فهو يختلف اذن حتى في نشأته عن الاحزاب الاخرى
 التي انبثقت عن اجتماع أو مؤتمر . لقد أسس سعادة الحزب في

١٦ تشرين الثاني ١٩٣٢ في بيروت لأول مرة من ستة طلاب في الجامعة الأميركية في بيروت التي كان هو فيها استاذاً للغة الألمانية (١) ثم انه لما لم يستوثق من فهم اثنين منها لمقاصده تظاهر بحل الحزب ثم تابع عمله مع الآخرين سرّاً . وقد بقي كذلك الى عقد الاجتماع الحزبي العام الثاني وفيه القى زعيم الحزب في أول حزيران ١٩٣٥ خطبة تعتبر اول شرح لمبادئ الحزب (٢) فتمكنت السلطات من كشف امره فاعتقل الزعيم واعضاء مجلس العمدة في الحزب واودعوا سجن الرمل في بيروت يشرح سعادة مادفعه الى تأسيس الحزب في رسالة يبعث بها الى محاميه حميد فرنجية في ١٠ كانون الاول ١٩٣٥ ليجعلها مستنداً في دفاعه امام المحكمة المختلطة (٣) . ومن هذه الرسالة يتضح ان سعادة أراد أن يضع أسساً فكرية منذ البدء ، لمخططة السياسي فهو قد قرر ان فقدان السيادة القومية هو السبب الاول في الويلات التي تتعرض لها أمتة . فتابع دراسته لمعنى الامة . ولما كان لابد للعمل القومي من السياسة - كما يقول - فبعد ان انتهى من تعيين الامة وهو حجر الزاوية للبناء القومي ، وتعيين

(١) خطاب الزعيم في أول مارس ١٩٣٨ : ٣

(٢) سعادة : المحاضرات العشر المحاضرة الثانية ٢٦

(٣) النشرة الرسمية للحركة القومية الاجتماعية المجلد الثالث العدد

الثامن ١٥ تشرين الاول ١٩٤٧

مصلحتها الاجتماعية والسياسية ، «نشأت فكرة الحزب كوسيلة لحماية النهضة القومية الاجتماعية في سيرها» ، وأسس الحزب السوري القومي زاعماً أنه وحد فيه العقائد القومية في عقيدة واحدة هي سورية للسوريين والسوريون امة تامة (١) . وبرر سرية الحركة في بدئها بضرورة صيانتها من هجمات الفئات التي لا ترغب في وجودها . وانتقلت الحركة منذ ذلك الوقت الى العمل العلني . واعتقد سعادة منذئذ انه اكتشف هوية بلاده القومية واعتبر نفسه رائداً لنهضة جديدة .

مبادئه : تختلف مبادئه اختلافاً جوهرياً عن مبادئ الاحزاب الأخرى في فكرته القومية والاجتماعية والسياسية ، وطريقته في العمل الحزبي تجعله حلقة منفردة في تطور الحياة الحزبية في بلادنا . بدأت تعاليم هذا الحزب مع سعادة الذي تكونت لديه قبل العام ١٩٣٢ خطوط عامة في الاجتماع والسياسة تباين ما كان شائعاً ومعروفاً ، وظهرت في كتاباته الاولى في الصحف والمجلات . ومبادئ الحزب تنقسم الى قسمين يتضمن الاول المبادئ الأساسية المختصة بالعقيدة القومية ويتضمن الثاني المبادئ الإصلاحية والقسمان يؤلفان معا قضية الحزب .

(١) المبدأ الاساسي الاول .

(٢) اعتمدت في عرض هذه المبادئ في هذه المرحلة على الطبعة

الاولى لشرح المبادئ عام ١٩٣٦ وهي التي كانت نافذة آنذاك .

المبادئ الأساسية وهي ثمانية تخرج جميعها بنتيجة نهائية هي ان هناك أمة تامة هي الامة السورية « سورية للسوريين أمة تامة » (المبدأ الاول) ، لها قضية خاصة مستقلة عن أية قضية قومية أخرى . « القضية السورية قضية قائمة بنفسها مستقلة كل الاستقلال عن أية قضية قومية أخرى » . (المبدأ الثاني) وتحدد هذه القضية بأنها « قضية الامة السورية والوطن السوري » . (المبدأ الثالث) ، وهي تحدد ماهية « الامة السورية » بأنها « وحدة الشعب السوري المتولدة من تاريخ طويل يرجع الى ما قبل الزمن التاريخي الجلي » . (المبدأ الرابع) ويشرح سعادة مفهوم القومية السورية قائلاً : القومية السورية ليست مؤسسة على مبدأ أو وحدة دمية أو سلاله ، بل مبدأ الوحدة الاجتماعية الطبيعية الذي هو المبدأ الوحيد الجامع لمصالح الشعب السوري الموحد لأهدافه ومثله العليا ، المنقذ للقضية القومية من تنافر العصبية الدموية البربرية والتفكك القومي . ويضيف الى ذلك قوله :

« لا ينافي هذا المبدأ مطلقاً ان تكون الامة السورية احدى امم العالم السامي - كذا - أو العربي أو احدى الامم العربية ، كما ان كون الأمة السورية أمة عربية لا ينافي انها أمة تامة لها حق السيادة المطلقة على نفسها ووطنها ولها بالتالي قضية قومية قائمة بنفسها مستقلة كل الاستقلال عن أية قضية أخرى وهو يستنتج ان (الغفلة) عن هذا « المبدأ الجوهرى » الذي اعلنه هي التي اعطت

المذاهب الدينية في سوريا المدية التي قطعها الى نزعة اسلامية عربية ونزعة مسيحية فينيقية ، ومزقت وحدة الأمة وشئت قواها ، ويعتبر مبدأ « وحدة الأمة السورية » المؤلفة من عدة عناصر أو سلاطات من جميع العناصر التي « كونت في مجرى التاريخ المزاج السوري والطابع السوري النفسي والعقلي » هو المبدأ العام الذي يقدم الى الـ (Synthèse) او التركيب ، للنظريتين المتعارضتين الاسلامية والمسيحية ، وهو القومية . ولكن الشارح يتحفظ فيخرج من مزيج العناصر هذا ، الأرمن واليهود ، ولا يدخلهم في معنى الأمة السورية باعتبار انهم من (العناصر المحافظة على عصبيات او نغرات قومية خاصة غربية) (١) .

هكذا حدد سعادة أمتة بعد ان اسقط من حسابه ثلاثة أرباع الأمة العربية في الجزيرة العربية والمغرب العربي ووادي النيل .

أما الوطن السوري عند الحزب السوري القومي فهو « البيئة الطبيعية التي نشأت فيها الأمة السورية وهي ذات حدود جغرافية تميزها عن سواها تمتد من جبال طوروس في الشمال الى قناة السويس في الجنوب شاملة شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة ، ومن البحر السوري (الابيض المتوسط) في الغرب الى الصحراء في الشرق حتى الالتقاء بدجلة » (المبدأ الخامس) وهو يعتبر

العامل الجغرافي عاملاً أساسياً في وحدة الوطن والأمة فان
 « سر بقاء سورية وحدة خاصة وأمة ممتازة مع كل ما مر عليها
 من غزوات ، هو هذه الوحدة الجغرافية البديعة وهذه البيئة
 الطبيعية المتنوعة الممكنات من سهول وجبال وأودية ، وبحر
 وساحل ، هذا الوطن الممتاز لهذه الأمة الممتازة ... » و « ان
 سورية الوطن هي أقوى عنصر في القومية السورية » (١) .

و « الأمة السورية حياة اجتماعية واحدة » (المبدأ السادس)
 فالأمة الواحدة بنظر الحزب : مجتمع واحد . ويعلن « ان في
 النفس السورية كل عام وكل فلسفة وكل فن في العالم » ، فالنهضة
 السورية القومية تستمد روحها من مواهب الأمة السورية وتاريخها
 السياسي والقومي . (المبدأ السابع) وبعد هذا التحديد الجديد
 الصريح للأمة وقضيتها يضع المبدأ الثامن (مصلحة سورية فوق
 كل مصلحة) .

أما المبادئ الإصلاحية فهي خمسة مبادئ : ثلاثة منها تعالج
 علاقة الدولة بالدين والمجتمع . مما يدل على الخطورة التي أقامها واضع
 المبادئ للمشاكل الناجمة عن تعلق المؤسسات الدينية بالسلطة
 الزمنية وما يسببه قيام جماعات ترتبط بالرابطة الدينية المنافية
 للرابطة القومية عموماً داخل الأمة الواحدة « من تفكك الوحدة

القومية . « ولذلك نص المبدأ الاصلاحى الاول على فصل الدين
الدولة . أي « يمنع رجال الدين من التدخل في شؤون السياسة
والقضاء القوميين » ، (المبدأ الثاني) و « ازالة الحواجز بين
مختلف الطوائف والمذاهب » .

أما المبدأ الاصلاحى الرابع فيتعلق بالناحية الاقتصادية وينص
على « الغاء الاقطاع وتنظيم الاقتصاد القومى على أساس الانتاج ،
وانصاف العمل وصيانة مصلحة الأمة والدولة » ويتضمن الغاء
الاقطاع « الغاء نفسية التعسف لدى المتصرفين بالأرض » (فالمجتمع
هو صاحب السلطان بالتصرف والأفراد هم قيمون على الملك) (١)
وحماية الملكية تعني حماية حق القيمة ما دام القيم متمماً واجباته
التي يحددها المجتمع . وكذلك حكم الرأسمال كحكم الارض من
ناحية التملك .

وتنظيم الانتاج يعني ان يتم تقرير حصوله وتوزيعه والتصرف
به لمصلحة الأمة (٢) . واما المبدأ الاصلاحى الخامس فهو يرمي
الى « اعداد جيش قوى يكون ذا قوة في تقرير مصير الأمة والوطن » .
وقد حدد واضع المبادئ (غاية الحزب) بأنها ايجاد نهضة

(١) الأمين، خضر : ابحاث في القومية الاجتماعية . المحاضرة الثانية

١١ منشورات دار الجيل الجديد دمشق ١٩٥٤ .

(٢) نفس المصدر : ١٦ .

قوية تكفل تحقيق مبادئه وتؤدي الى الاستقلال في خدمة الأمة والسعي لانشاء جبهة عربية (ويشرح هذه الغاية بأن النهضة القومية ، البعث القومي هي محور اهتمام الحزب ، وان غاية الحزب بعيدة المدى عالية الأهمية لأنها لا تقتصر على معالجة شكل من أشكال السياس بل تتناول القومية من أساسها ولم تكن الفقرة الأخيرة من غاية الحزب أي السعي لانشاء جبهة عربية موجودة في نص المبادئ بادى الأمر ولكنها أضيفت فيما بعد (١) عندما طبعت المبادئ لأول مرة تنظيماً لوقوف الحزب من الفكرة العربية .

يظهر من عرض هذه المبادئ ان الحزب لم يكن لمعالجة قضايا وقتية فبالرغم من ان البلاد كانت واقعة تحت الانتداب فقد أسس الحزب بصرف النظر عن وجوده ، فعلى حد قول سعادة « لم يشأ خصيصاً لأن الانتداب موجود بل لجعل الأمة السورية موحدة وصاحبة السيادة على نفسها والارادة في تقرير مصيرها ، ولما كان الانتداب أمراً عارضاً ، فإن النظر في موقفه وموقف الحزب منه يأتي في الدرجة الثانية في المرحلة السياسية (٢) . والجديد في هذا الحزب انه يقول بقومية سورية خاصة ، ربما

(١) المبادئ ١٩٣٦ ص ٣٠ .

(٢) سعادة : المحاضرات العشر : ٣٦ .

كان السبب الاول في الدعوة لها التفكك القومي الذي كان في البلاد أيام الانتداب حين كانت تبدو فكرة القومية العربية لبعض الناس فكرة خيالية ، كما كان يروج من يصفون انفسهم بالواقعية .

وقد حاول مؤسس الحزب اقامة اساس علمي لفكرة القومية السورية فألف كتابه نشوء الامم عام ١٩٣٦ وقصد منه كما جاء في مقدمته ان يكون كتاباً علمياً يبحث في نشوء الامم وتعريف الأمة . ولكنه خرج فيه بنتائج لم يقرر بعد مدى صحتها وما تزال موضع نقاش . (١) وقد أراد اتمام عمله بكتاب آخر يبحث في القومية السورية ولكن السلطة الفرنسية صادرت الاوراق التي هيأها لهذه الغاية .

يقرر سعادة في (نشوء الامم) ان وحدة البيئة الجغرافية وحدة الوطن هي الأساس في تحديد الأمة : ان الأمة تجد اساسها قبل كل شيء في وحدة أرضية معينة تتفاعل معها جماعة من الناس وتشترك وتتحد ضمنها (٢) وان لأمة على الاطلاق بدون قطر معين محدود . ويرى سعادة ان تحديد الأمة باللغة من اكبر

(١) راجع الرد على آراء سعادة في : الحصري ساطع : العروبة

بين دعايتها ومعارضها بيروت ١٩٥٢

(٢) سعادة نشوء الامم ١٩٥٢ ص ١٦٦

الاعطال فاللغة برأيه وسيلة من وسائل قيام الاجتماع لاسباباً من اسبابه (١)
يعني ان اللغة ليست عاملاً في نشوء الامم . ويرمي بذلك الى
التقليل من شأن اقوى دعائم القومية العربية .

والقومية الى ذلك عند سعادة قومية متعالية وعدوانية ، فهي
وان لم تقل بالتفوق العرقي ، ولكنها تقول بتفوق المزيج السلافي :
ان الامم الحية القوية النشطة والنمو تمتد وراء حدود بلادها
الطبيعية ، وهو يقرر ان البيئة تقدم للامم الامكانية لا الحتمية
ولذلك فالامم التي يمكن ان توسع بيئتها وتحفظ في هذا التوسيع
بوحدة مجتمعيها ، ووحدة حياته ومصيره لا يجوز لها ان تنحصر
نفسها ضمن حدود البيئة القديمة التي قوت شخصيتها ونفسيها
فيها . (٢) ولا تكاد تخرج هذه الفكرة عن مفهوم المجال الحيوي
الذي كان يقول به النازيون .

وعلى هذه الأسس يحدد سعادة موقف السوريين القوميين
من القضايا الاخرى وأهمها : موقف الحزب السوري القومي
من العروبة :

فكرة القومية السورية قديمة في ذهن مؤسس الحزب ، فمن
رسالة أرسلها الى لويد جورج عام ١٩٣١ يشرح فيها مسألة
فلسطين ويرد على فريق البريطانيين بين (العرب والمسيحيين)

(١) نفس المصدر ١٧١

(٢) سعادة : المحاضرات العشر . المحاضرة الرابعة ٦٧

عند معالجتهم قضية فلسطين يقول: «لا يوجد في فلسطين عرب ومسيحيون بل شعب هو جزء من الأمة السورية التي تحمل رسالة تنص في جملة موادها على انهاض العالم العربي اجمع». وهو عندما وضع غاية الحزب اضاف اليها السعي لانشاء جبهة عربية، وهذه النقطة وشروحها وتفسيراتها هي كل ما يقبله السوريون القوميون من علاقة مع البلاد العربية.

العرب بنظر سعادة فاتحون (١) كغيرهم من الامم التي مرت بهذه البلاد ويرى نتيجة لذلك ان ليس يقتضي الفتح تغيير الهوية القومية في سورية. وهو يرى ان «اندماج القضية السورية القومية» في القضية العربية كان بسبب وقوع بلاد عربية غير سورية تحت التسلط التركي مما ساعد على تولد فكرة اجماع «امم العالم العربي الخضعة لتركية على القيام بحركة تحريرية مشتركة...». عرفت تحت عوامل اكثرها ديني بالقضية العربية»، أدت إلى «فوضى» في النظريات السياسية كانت نظريته بانشاء جبهة عربية حلا لها.

أما هذه الجهة التي يدعو اليها الحزب فهي تعني «أمم العالم العربي التي يهمها الأمر» دون ان يحدد حدود العالم العربي كما اهتم بتحديد الوطن السوري. وتقوم على اساس المصالح المشتركة المعينة فيما بينهم، والتفاهم بواسطة مؤتمر، وان لا تنفرد بعض الفئات في بعض هذه الامم بتعيين قضية عربية، من عند انفسهم

(١) خطاب الزعيم في اول مارس ١٩٣٨

لم ينظروا من ورائها الى مصلحة سوى مصلحتهم الخاصة . (١)
ومن جهة ثانية يحمل سعادة حملة عنيفة على العروبة ودعاتها
في مقالاته وخطبه ينعتها تارة بالحزبية الاسلامية ليظهر تناقضها
مع القومية ، ويصف العرب تارة أخرى بالصحراويين وبلادهم
بالصحراء ليظهر اختلاف البيئة ، وتباين الوطن ، ويذكر من
الحوادث مايعتبره شاهداً على اختلاف المصالح وتباينها بين سوريا
والبلاد العربية الاخرى ، وهو يري ان الامة السورية هي الامة
المؤهلة للنهوض بالعالم العربي ولكنها لاتستطيع القيام بهذا العمل
الا اذا كانت ذات عصبية قوية في ذاتها ، لجعل ثقافتها مهيمنة
وارداتها نافذة . (٢) ويصف القوميين العرب بالعروبيين والقومية
العربية بالعروبة الوهمية معتبراً تفسير الحزب السوري القومي
لرابطة العربية هو العروبة الحقيقية .

ان المرء ليسأل نفسه بعد كل هذا كيف يتسنى قيام جهة
عربية كما نصت على ذلك غاية الحزب ، مع أنه يبذل كل ما في
وسعه لاثبات تباين المصلحة بين سوريا وغيرها من البلاد العربية
الى حد انه يشهر الحرب على بعضها باقطاعه جزءاً منها وضمه
الى « الدولة السورية القومية » . وقيام الجبهة على الاقل ، تقتض

(١) المصدر السابق ص ٥

(٢) نشرة عمرة الاذاعة في الحزب السوري القومي الاجتماعي

انسجام المصالح والاهداف .. فما هي الضرورة اذن للنص على قيام جهة عربية طالما ان لسوريا - برأيه - قضية قومية مستقلة ان التضارب بين اهداف الحزب القومية وبين ما يهدف اليه من التعاون العربي يحمل تحقيق الأمرين معاً عسيراً ان لم يكن اكثر من ذلك .

ان ما يريد الحزب السوري القومي ان يبرهن عليه ، بضرورة قيام جهة عربية ، يجعلنا نعتقد من جهة ثانية ان المقصود من انشاء الجهة العربية هو افساح المجال أمام « الامة السورية الحية » لتجعل ثقافتها مهيمنة وادارتها نافذة في المجال الحيوي الذي تصوره سعادة .

موقف الحزب السوري القومي من الدين : يقرر الحزب فصل الدين عن الدولة لأنه لا يوجد في الدين أمم وقوميات ، وهذا ما ينافي الهدف القومي الذي بني الحزب من أجله . ولأن الدين يستدعي ولاء فئات من الأمة لسلطة خارج البلاد كسلطة البابا أو الخلافة . وهذه هي الناحية التي يحاربها الحزب السوري التزمي الاجتماعي لا الافكار الدينية الفلسفية أو اللاهوتية المتعلقة بأسرار النفس والخلود والخالق وما وراء المادة (١) ولكن الحزب يغالي في مناصرة التواحي التي يراها استغلالاً للدين حتى بدت له القومية العربية حزبية محمدية .

(١) سعادة : المحاضرات العشر . المحاضرة السابعة ١٠٣

موقف الحزب من فكرة الطبقات : ينتج هذا الموقف عن المبدأ الاساسي الخامس على الاخص الذي يعتبر الأمة هيئة اجتماعية واحدة . وعن المبدأ الاصلاحى الذي يعتبر الانتاج اساسا للاقتصاد القومي . فالعمل هو حق وواجب وبذل طاقة ، والفرد في الأمة هو مجرد امكانية اجتماعية يجب استنفادها لمصلحة المجتمع (١) . فاقامة العدل الاجتماعى - الحقوقى والعدل الاقتصادى - الحقوقى أمر ضرورى لفلاح النهضة السورية القومية الاجتماعية (٢) ويجب ان يصير الجميع منتجين وانه لا يمكن ان يعامل المنتج معاملة غير المنتج .

وهو لا يقول بالغاء رأس المال بل يقول بمنع الاستبداد به ضد مصلحة المجموع ، كما انه في الحاضر أى في حالة الاقتصاد الاقومي لا يلوم تصرف الرأسمالى الفردى اذا طلب المزيد من رأسماله الآن « لأن ليس له العلم بما يحاربه به الزمن » (٣) فلا ينكر الحزب إذن النظام الرأسمالى كله بل يجعل الرأسمال تحت حماية الدولة .

وهو لا يقر نظام النقابات المكافحة عن حقوقها اذ انه يعتبر

(١) ابحاث في القومية الاجتماعية المحاضرة الثامنة : ١٢٦

القومى الاجتماعى : ٩ دمشق ١٩٥٤

(٢) سعادة : المحاضرات العشر المحاضرة الثامنة : ١٢٦

(٣) المصدر السابق : ١٢٨

النظام الاقتصادي القومي كفيلاً بحل المشاكل الاقتصادية جميعاً .
ولكنه يقر نظام النقابات التي تهدف الى انماء الخبرة ، ولا يحيز
الاضراب لأنه مضر بالانتاج .

واننا نرى في النظام الاقتصادي في الحزب السوري القومي
في نظام القيمومة على الملك واشراف الدولة على الاقتصاد القومي
وجعله في مصلحة الدولة والمجتمع وفي مفهومه النقابي شهاً كبيراً
بمفاهيم الاحزاب التي تضع مصلحة الدولة في الاساس كالحزب الفاشستي
نظام الحزب : جاء في الخطاب الذي القاه زعيم الحزب في
اول حزيران ١٩٣٥ ان الحزب السوري القومي دولة تقوم على
اربعة دعائم الحرية ، والواجب ، النظام ، القوة ، التي ترمز اليها
اربعة اطراف الزوبعة الحمراء الممثلة في علم الحزب .

وفي الخطاب نفسه يقول سعادة : ان نظام الحزب السوري
القومي ليس نظاماً هتلرياً ولا نظاماً فاشستياً بل هو نظام سوري
بحت . ولكن هذا لا يمنع من ملاحظة مظاهر في الحزب تشبه
شهاً كبيراً بعض مظاهر النظامين المذكورين : في الزعامة والكتائب
الحزبية (الميليشيا) ولباسها الرصاصي واتخاذها تحية خاصة وشارة
معينة (الزوبعة) وما يتبع ذلك من مظاهر الطاعة والانضباط والقوة
والنظام القائم في تشكيلات الحزب (هو النظام المركزي
التسلسلي) ، فيشكل الحزب هرماً رأسه الزعيم ثم المجلس الاعلى
ثم مجلس العمدة ثم المنفذيات العامة فالمديريات ويؤلف الاعضاء

قاعدة الهرم .

أما الزعيم : فهو انطون سعادة واضع مبادئ الحركة ومؤسس الحزب قصد بجعل نظامه فردياً تسلسلياً كما قال : منعاً للفوضى في داخله واتقاء نشوء المنافسات والخصومات والتحزبات وتسيلاً لتنمية فضائل النظام والواجب (١) . ولكن هذا النظام الزعامي بني على أساس التعاقد الحقوقي الدستوري بين الزعيم صاحب الدعوة الى السورية القومية ، والمقبلين عليها على ان يكون واضع اسس النهضة السورية القومية زعيماً للحزب مدى حياته ، وعلى ان يكون معتنقو دعوته ومبادئه اعضاء في الحزب ، يدافعون عن قضيته ويؤيدون الزعيم تأييداً تاماً مطلقاً في كل تشريعاته وادارته الدستورية . واتماماً لهذا العقد أدى زعيم الحزب قسماً مفصلاً ، نص عليه دستور الحزب (٢) على الامانة لمبادئه وعلى استعمال سلطة الزعامة وصلاحياتها وقوتها في سبيل فلاح الحزب وتحقيق قضيته ومصالحة الامة وحدها .

وبموجب مواد الدستور يتمتع الزعيم بصلاحيات واسعة : هو قائد قواته الاعلى ومصدر السلطين التشريعية والتنفيذية وفي نشرة رسمية للحزب نرى تعميماً ينص على ان لقب (الزعيم) هو لقب (١) النشرة الرسمية للحركة القومية الاجتماعية المجلد الثالث العدد

الثامن ١٥ تشرين الاول ١٩٤٧

(٢) دستور الحزب : قسم الزعيم .

مختص بزعيم الحركة ، ومؤسسها وقائدها السياسي والاداري والجسكري ومعها العقائدي ، فلا يجوز استعماله في غير هذا الموضع (١) وقد تمتع سعادة بزعامه تكاد تكون مطلقة واصبحت له بعد اعدامه بين اتباعه مكانة لا تقل عن مكانة الانبياء .

وتشكيلات الحزب من مجالس ومنفذيات : ومديريات وجدت

في هذه المرحلة التي ندرسها ، ولكنها نظمت في المرحلة التالية بمراسيم حزبية صدرت في ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٧

فجلس العمدة مهمته مساعدة الزعيم في سلطته التنفيذية ويدير العميد العين من قبل الزعيم والمسؤول امامه مباشرة ، عمدته ، ويقوم ناموس (سكرتير) بمهمة الاتصال بين الزعيم ومجلس العمدة . ويقسم الحزب الى مناطق ادارية و فرق نظامية اعلاها التنفيذية وعليها منفذ عام وصلاحيته ادارية بحث وبجانبه هيئة تنفيذية تتألف من ناظر وناموس حددت علاقتها بالعمدة والزعيم في دستور الحزب على اساس النظام التسلسلي . وتقسم التنفيذية الى مديريات لكل منها مدير وناموس ومحصل للمال ومذيع ومدرّب وقد تستدعي الضرورة تأسيس مديريات تلحق بالمركز رأساً وتسمى المديريات المستقلة .

(١) النشرة الرسمية للحركة القومية الاجتماعية المجلد الاول العدد

وضمن هذه التسيكلات وعلى نشاطها ، تقع مسؤولية توسع الحزب وانتشاره .

العضو : يهدف الحزب في عملية الادخال الى اكتساب عناصر جديدة وهو يتبع لذلك مراحل معينة يدعى بعدها المرشح الى القسم .

أما النظام المالي فيقضي بأن يرتب العضو على نفسه الاشتراك الشهري الذي يرصد قسم منه الى الخزنة العامة للحزب ، ويرصد القسم الآخر للمشاريع المحلية .

وفي الحزب تشكيلات رياضية وعسكرية يقوم على ادارتها عميد التدريب في المركز والنظار في المنفذات . . ويسهر عليها الزعيم بنفسه .

هذا التنظيم الدقيق من الميزات التي يتميز بها هذا الحزب وهو مما حفظ له وحدته وكيانه في الازمات التي تعرض لها . حتى بلغ من اعتداد سعادة به ان قال عنه مفاخرأ بأنه سيغير وجه التاريخ .

أما خطة الحزب : بلوغ اهدافه فهو نشر فكرة « الأمة السورية » بأساليب لم ينص عليها نظام حزب آخر فالمنتسب الى الحزب يقسم على ان « يتخذ مبادئه القومية ايمانا له ولعائلته وشعاراً لبيته » فيكفي ان يعتنق واحد فكرة الحزب حتى تتأسس بعد أمد عائلة سورية قومية . والحزب ليس جماهيريا فهو لا يكلف

اعضائه القيام بالمظاهرات أو الاضراب .. ويترك اعباء المساعي الحزبية على القيادة المثلة بالزعيم ومساعديه . وهو يهتم بالنشر والاذاعة والدعاية بالوسائل المختلفة .

تلك هي مبادئ الحزب السوري القومي ونظامه فما هو نشاطه في هذه الفترة في سوريا :

كان مركز الحزب في بيروت ولكن كانت قد اسست له بعض الفروع في المدن السورية في دمشق ومنطقة اللاذقية .. وكانت محكمة سعادة امام المحكمة المختلطة مرتين في العام ١٩٣٦ مناسبة لظهور حزبه ، وقد جهر امام المحكمة بأرائه ، واشترك في النشاط الذي قام في لبنان لاعادة القضية الاربعة والساحل الى الجمهورية السورية ، بدعوته الى « القومية السورية والوحدة السورية » وحضر مندوبون عنه مؤتمر الساحل في بيروت عام ١٩٣٦ ولكن لم تقبل آراؤهم التي عرضوها قبولا حتمياً . (١)

الحزب والمعاهدة : ولم يعتبر الحزب الشروط التي وضعت للمعاهدة كافية لتحقيق المطالب القومية وقد تعرض الحزب لجملة صريحة من الشباب الوطني في مهرجان الشباب الوطني في دمشق عام ١٩٣٦ واعرب سعادة عن اسفه في خطاب عام ١٩٣٨ لعدم تعاون الكتلة الوطنية مع الحزب في معالجة القضية الوطنية والمسائل السياسية . وقدم موفدان من الزعيم مذكرة باسم الحزب الى

(١) مؤتمر الساحل والقضية الاربعة ١٠ آذار ١٩٣٦ ص ٣٦ و ٣٠

الوفد السوري الذاهب الى باريس ، كما سلم موفد آخر للوفد قبل مبارحته محطة رفاق مذكرة أخرى توصيه : بوضع تحفظات في المعاهدة من أجل العقيدة القومية في لبنان وترك الباب مفتوحا لاتصاله بالشام . (١)

ويغالي سعادة في وصف دور الحزب في هذه المرحلة عندما يخاطب السوريين القوميين قائلا « ان حزبكم هو الذي قام بالنهضة القومية التي حملت وزارة فرانسوا على انتهاز خطة جديدة تجاه سوريا ، ولكن المترجمين لم يحسنوا الاستفادة من الظروف الملائمة التي خلقناها ، بل استفادوا منها لعقد معاهدة لم يحتاطوا لجعلها مستوفية الشروط ، واتخذوها هي احتياطاً لسياستهم . » (٢)

أما في موقفه من الدول الأخرى فقد حذر سعادة حزبه في خطاب حزيران ١٩٣٥ من الدعاية الاجنبية الايطالية أو الالمانية ، ولكنه اعترف بوجود مصالح تدعو لاقامة علاقات ودية بين سوريا والدول الاجنبية ، وخصوصا الأوروبية « على ان يبقى الفكر السوري حراً مستقلاً » . (٣)

الحزب وقضية فلسطين : يعود اهتمام سعادة بمسألة فلسطين

(١) خطاب الزعيم في مارس ١٩٣٨ ص ١٩

(٢) المصدر السابق ٢٠

(٣) راجع نص الخطاب في المحاضرات العشر في الندوة الثقافية

الى ما قبل تأسيس الحزب فقد نشر مقالاً في جريدة الف باء
الدمشقية عام ١٩٣١ يرد فيه على خطاب القاه لويد جورج رئيس
الوزارة البريطانية في الجمعية الصهيونية في لندن مؤيداً امانى
الصهيونيين ، رداً صريحاً انتقد فيه تصريح بلفور . واعلن
بطلان هذا الوعد قائلاً « ان فلسطين جزء من وطن كامل غير
قابل التجزئة لأمة واحدة هي الأمة السورية » (١) وبقي هذا
المقال الشرح الاساسي لموقف الحزب من المسألة الفلسطينية بعد
تأسيس الحزب .

فالحياة الحزبية في هذه المرحلة الاولى من فترة المعاهدة كانت
نشطة تماماً ، فقد ظهرت الكتلة الوطنية كقوة شعبية أخذت
تتصرف بمقدرات البلاد ، ووضعت برنامجاً يهدف الى اقامة علاقات
محدودة مع فرانساً بمعاهدة . وتتفق معها في ذلك الجبهة الوطنية
المتحدة الا ان هذه ترى التحفظ في بعض النقاط لحفظ
الوحدة الوطنية .

وظهرت في هذه المرحلة عصبية العمل القومي تؤمن بالقومية
العربية وتناهض الاستعمار وترفض التعاهد والتعاقد مع الاجنبي
كما تأسس الحزب السوري القومي ، منادياً بقومية سوريا خاصة
ومتبعاً بعض النظم الفاشية الرائجة آنئذ .

(١) نشرة عمدة الاذاعة في الحزب السوري القومي المجلد الثالث

العدد السادس ١٥ ايلول ١٩٤٧

ولئن لم يكن للبيئات الثلاثة الاخيرة شعبية تمكنها من فرض سياستها ، فقد كانت الكتلة الوطنية آتشد في اوج قوتها ، وسنرى في المرحلة التالية انها ستكون صاحبة العهد في الحكم والبرلمان بينما يقف منها الآخرون موقف المعارض أو المراقب الناقد .

ب - المرحلة الثانية :

في هذه المرحلة تنتقل السياسة الحزبية الى المجلس النيابي ويصبح محور الحياة الحزبية ، مسألة تصديق المعاهدة لجعلها موضع التنفيذ . وقد تبنت الكتلة الوطنية هذا العهد الذي استمر ثلاث سنوات تقريباً ، وكانت الكتلة تؤلف الاكثرية البرلمانية ، وكانت مؤيدة بأكثرية شعبية ، وقام على رأس البلاد عميدها هاشم الاتاسي والحكومات التي تألفت ، الفت من اقطابها . وفي هذا الموقف كانت المعارضة الممثلة بالجبهة الشعبية ، والدكتور شهبندر من جهة وعصبة العمل القومي من جهة ثانية تلاقي صعوبة في اسماع صوتها . أما الحزب السوري القومي فلم ينخرط تماماً في معمة النضال السياسي فبقي يهتم بتنظيم صفوفه الداخلية . بينما ظهر في هذه المرحلة على مسرح الحياة الحزبية ، الحزب الشيوعي في نشاطه العلني .

ولذلك يصح ان يسمى هذا العهد بعهد الكتلة الوطنية ، وقد اعتبرت هذه ، توقيع المعاهدة فوزاً كبيراً للقضية الوطنية ،

فتبنت الدفاع عنها والرد على بيانات الجبهة الوطنية المتحدة التي انتقدتها فتولى فارس الخوري شرحها في محاضرة القاها على مدرج الجامعة السورية بدمشق في ١٠ تشرين الثاني ١٩٣٦ ، اوضح فيها ان المعاهدة تحدد العلاقات بين سوريا وفرنسا وهي تبطل الانتداب وتتعترف باستقلال سوريا الفعلي وتمتعها بالسيادة التامة داخلاً وخارجاً ، وتنص على نقل الحقوق والواجبات السابقة الى الحكومة السورية وحدها باعتراف فرنسا . وهذه مكتسبات اكتسبتها سوريا نهائياً . أما الملاحق والنصوص الأخرى فهي اتفاقيات محددة بأجل وقابلة للتعديل بموجب قواعد خاصة . أما رأي الكتلة بالمعارضة فقد عبر عنه الخوري بقوله : انني احسب المعارضة البادية ، انتقادات وملاحظات على المشروع املاها في الغالب على اصحابها المبالغة في الحرص على مصلحة الأمة ، وشدة الحذر على مستقبلها . (١)

الكتلة الوطنية في الحكم : ثم جرت الانتخابات للمجلس النيابي في عهد حكومة عطا الايوبي في ٣٠ تشرين الثاني ١٩٣٦ وكان عدد الاعضاء ٣٥ نائباً موزعين حسب نسبة الطوائف والمذاهب . واعلنت نتائجها القطعية بفوز مرشحي الكتلة ومؤيديها فوزاً يكاد يكون اجماعياً بمرسوم صدر في ٩ كانون الاول .

(١) راجع المحاضرة في مجموعة المعاهدات والوثائق التاريخية

ولما انتخب فارس الخوري رئيساً للمجلس اعرب عن اعتباطه بعدم وجود منازعات حزبية في المجلس ولوحدة المبدأ والغاية لدى الاعضاء جميعاً . ثم انتخب هاشم الاتاسي رئيساً للجمهورية والف جميل مردم بك أول حكومة من الكتلة الوطنية : من سعد الله الجابري وشكري القوتلي وعبد الرحمن الكيالي . وقد مارست الحكومة اعمالها دون ان تتقدم ببيان وزاري او تطرح الثقة بها على النواب .

وقد صدق المجلس النيابي « معاهدة التحالف والصداقة المعقودة بين الحكومتين الفرنسية والسورية الموقعة بدمشق في ٢٢ كانون الاول ١٩٣٦ من قبل مندوب الجمهورية الفرنسية الكونت داميان ده مارثيل ومندوبي الجمهورية السورية اعضاء الحكومة بقانون نشره رئيس الجمهورية في ٢٧ كانون الاول .

ولقد خولت الحكومة حق التشريع لتعديل قوانين وانظمة الدولة على اختلافها ، فأدخلت منطقتي اللاذقية وجبل الدروز ضمن احكام نظام الانتخابات السوري . وصدر قرار عن المفوضية العليا في ١٧ نيسان ١٩٣٧ برقم ٥٩ ل . ر بالغفو عن الجرائم السياسية التي ارتكبت قبل اول آذار في جميع الاراضي المشمولة بالانتداب .

ولكن صعوبات قامت بوجه هذا العهد مصدرها عدم استعداد فرنسا للتخلي عن سلطتها وامتيازاتها في سوريا . فحركات السلطة

اذنابها من طالبي الانفصال او الانتداب الفرنسي كما في حوادث الجزيرة عام ١٩٣٧ وجبل الدروز عام ١٩٣٨ وارتكبت فرنسا جريمة التخلي عن جزء من الوطن بتأمرها على سوريا في مسألة الاسكندرون ، بالإضافة الى تلوؤها في تصديق المعاهدة فأنتهت هذه المرحلة ايضاً بالفشل كغيرها من المحاولات التي سبقتها للاتفاق مع الفرنسيين على أساس التعاهد .

وكانت الحكومة الوطنية تسعى خلال هذه الفترة للظهور بمظهر المتفائل . ولتقنع الشعب بأن فرنسا ستصدق المعاهدة في حين أن الجو كان لايسمح بالتنبؤ بمثل هذه النتائج . وقد مرت الكتلة في هذه المرحلة بدورين :

الدور الاول : منذ العام ١٩٣٧ ظهرت خطورة مشكلة الاسكندرون بشكل فاضح وظهرت الحكومة ازاءها بمظهر العجز وقامت مظاهرات في دمشق والمدن السورية الاخرى في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٧ احتجاجاً على ازالة العلم السوري في انطاكية ورفع العلم التركي بدلا عنه ، واكتفى المجلس النيابي ازاء هذا الحادث الخطير باعلان استنكاره له وتأييده قراراً كان قد اتخذ سابقاً بدم الاعتراف بقرار جنيف المؤرخ في ٢٩ تشرين الاول ١٩٢٧ الذي يوصي بوضع نظام خاص للاسكندرون .

وكانت السلطة الفرنسية قد عمدت الى تعكير صفو الأمن واثارة اذنابها لعرقلة توقيع المعاهدة والتشويش على الحكومة ،

واثارة الطائفية والاقليمية ، بقصد اظهار عدم جدارة سوريا بالاستقلال ، فاعتدى في الجزيرة على ممثلي الحكومة واختطف المحافظ السوري في ٢١ كانون الاول . وقد حمل النائب فخري البارودي المستشار الفرنسي الذي كان موجوداً هناك مسؤولية الحادث ، وطالب الحكومة بالتخلي عن الحكم اذا لم تشأ السلطة الفرنسية تنفيذ بنود المعاهدة بصدق ، وقال النائب رشدي كيخيا اذا كانت الدولة التي عاقدتنا على المعاهدة قد ندمت على ما فعلت فلسنا بأقل منها ندماً . ولكن الحكومة وقفت في هذه المرة ايضاً موقف المستضعف فقام وزير الداخلية يهون من شأن الحادث وقال ان المحافظ وجد سليماً بعد أربعة ايام من اختفائه ، وانه لايجوز البحث عن المسؤولين لكي لا تثار مشاكل أخرى في المستقبل . (١)

المقررات الاولى للمجلس النيابي : ولما اشتدت الازمة بين سوريا وفرنسا اتى رئيس الوزارة بياناً في المجلس النيابي في ١٨ تشرين الثاني ١٩٣٧ قبل سفره الى باريس ، عرض فيه سياسة حكومته ، ونصح للصحافة بأن تقيد هي حريتها بمصلحة الوطن ورد على ملاحظات النواب وخشيته من نقض المعاهدة بسبب تعديل الوزارة الفرنسية بقوله « اننا عاقدنا حكومة تمثل الجمهورية الفرنسية لا اشخاص حكومة معينة » و اضاف اننا ننتظر

(١) مذكرات المجلس النيابي : جلسة ٢٥ كانون الاول ١٩٣٧ .

كلمة البرلمان الفرنسي ولا يزيد ان نشك بأن هذه الكلمة سيكون فيها تشريف وتكرمة للعهد المقطوع والميثاق المعقود .
وقد علق النائب فائز الخوري على بيان الرئيس مردم قائلاً ان هذه الحكومة ليست حكومة برلمانية بالمعنى المعروف وانما هي تتألف من رجال خرجوا من صفوف الامة بشكل ثوري لاشكل نيابي نظامي ، ووصف الكتلة بأنها أصلح هيئة قادرة على العمل السياسي في البلاد ، وانها لن تقوم محلها هيئة قادرة على متابعة الطريق اذا فشل هذا الدور ، وحمل المجلس النيابي على اثاره الفرنسيين للنعرات الطائفية الدينية . ولتبرير النفوذ الفرنسي باسم حماية مايسمونه الاقليات وقال فخري البارودي ليس المسلمون هم الاكثرية والمسيحيون هم الاقلية ، ان الاكثرية هم الوطنيون والاقلية هم الخائنون .

ثم اتخذ المجلس قراراً : باحترام رغبات الأمة المعبّر عنها في قرار المجلس الصادر في ايار ١٩٣٧ بشأن محافظة الاسكندرونه وتأمين حق سوريا الطبيعي من جهة بقائها سورية ، والاحتفاظ بجميع الاقاليم السورية على وضعها الحاضر ، وعزم الحكومة على العدل والمساواة بين جميع العناصر والطوائف ، وتسهيل استثمار رؤوس الاموال الاجنبية ، والسعي الحازم لابرام المعاهدة .

ثم سافر رئيس الوزارة الى باريس في تشرين الثاني وعاد في كانون الاول بعد ان تبادل مع دي تيسانت وكيل وزارة

الخارجية الفرنسية : في ١١ كانون الاول ١٩٣٧ مراسلات احتوت على ضمانات من الحكومة السورية باحترام الاحوال الشخصية للاقليات ، واقامة نظام خاص للخبراء الفرنسيين (١) ولما عاد رئيس الوزارة الى سوريا اخذ يصرح ان المعاهدة ستصدق في شباط ١٩٣٨ . ولكنه بدأ منذ ذلك الوقت يتعرض لحملة قوية من المعارضين الذين كان يصفهم « بالفئة القليلة » ويتحداهم بأن يعرضوا برنامجاً للعمل .

وقد مارست الحكومة في هذا الدور أول حق من حقوق السيادة الوطنية بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ إذ عقدت اتفاقاً بحسن الجوار بين سوريا والعراق ، وصدق مجلس النواب الاتفاق في جو قومي طالب فيه النواب بعقد معاهدات مماثلة مع الدول العربية الأخرى .

وقد حضر نواب اللادقية لأول مرة جلسات المجلس النيابي السوري في ٢٨ تشرين الاول ١٩٣٧ تنفيذاً لاحد ملاحق المعاهدة.

الدور الثاني : اشتدت فيه الازمة إذ تخرج موقف الحكومة منذ عام ١٩٣٨ ، بعد ان استعصى حل المشكلات وبدأت : ولة التعاون تنذر بالفشل ، فقد استفحل أمر الحركات المدبرة في اللادقية وجبل الدروز والجزيرة ، وحال الفرنسيون دون اشتراك

(١) خباز وحداد : فارس الخوري حياته وعصره ٨٥ والجريدة

الرسمية: مذكرات المجلس النيابي ٣٠ كانون الاول ١٩٣٧

سورية في مؤتمر لندن لبحث المسألة الفلسطينية ، واشتدت في نفس الوقت المعارضة الداخلية ، وتضعفت صفوف الكتلة الوطنية . وقد طالب النواب بوضع حد لحوادث الجزيرة وربطوها بمؤامرة الاستعماريين الفرنسيين للاستيلاء على ثروة المنطقة البترولية (١) . وكانت الاسكندرون قد تعقدت بتشكيل « دولة هاتاي » في ٢ ايلول ١٩٣٨ ، وقرر المجلس النيابي في ١٣ كانون الاول ١٩٣٨ الغاء نيابتي نايمي اللواء الأضلي والريحان لقبولهما النيابة في « الدولة » المستحدثة .

أما المجلس النيابي المؤلف بأكثرية الساحقة من الكتلة الوطنية فقد أخذ يعرب عن مخاوفه وقلقه من عدم تصديق فرنسا للمعاهدة . ولما قدم هريو رئيس المجلس النيابي الفرنسي الى سورية في أيار قامت في البلاد ضجة وجهدت الصحف . والهيئات السياسية لفهام آمال الشعب ، وقد أبلغه رئيس المجلس النيابي السوري رغبة المجلس بإبرام المعاهدة من المجلس النيابي الفرنسي فطمأنه شفهاً بأن ذلك سيتم بأقرب وقت (٢) .

وفي ٢٤ أيار ١٩٣٨ خطب النائب المعارض منير العجلاني ، منتقداً سياسة الحكومة وخطتها في عدم مصارحة الرأي العام بما يجري في الخفاء ، وحمل الشعب على الصمت وتساءل ماذا

(١) مذاكرات المجلس النيابي ٢٧ نيسان ١٩٣٨

(٢) مذاكرات المجلس النيابي سنة ١٩٣٨ جلسة ٢٧ أيار

أفادنا الصمت الذي حملتنا عليه الحكومة تجاه مسألة الاسكندرون وماذا أفادنا الجهل الذي استبقتنا فيه ، وطلب أيضاً عن « سر تأخير تصديق المعاهدة » وصحة ما تذكره المصادر الفرنسية من أن سبب تأخير تصديق المعاهدة هو تمسك فرنسا بتوقيع اتفاقات وملاحق وعد رئيس الحكومة ، وكيل وزارة الخارجية الفرنسية بتوقيعها ثم أحجم عن ذلك (١) .

وقد رد رئيس مجلس الوزراء على هذه الاسئلة في جلسة عقدها المجلس النيابي في ٣١ أيار فألقى بياناً طلب فيه عدم المبالغة في تقدير الاخطاء والاسراف في التخوف من عواقبها . ورد تأخير إبرام المعاهدة الى قيام الازمات الدولية التي توات في الاشهر الاخيرة .

وعقدت الكتلة الوطنية مؤتمراً في قدسية في ضواحي دمشق ، انقسم فيه رجالها فريقين ، فريق يقول باتمام التجربة والآخر أدرك ان لا سبيل الى التفاهم مع فرنسا ، وكان الفريق الاول يمثل الاكثرية ومجانبه رئيس الحكومة الذي لجأ ، مرة أخرى ، لانقاذ سياسة التعاقد الى توقيع اتفاق اضافي مع جورج بونه Bonnet وزير الخارجية الفرنسية ، في رحلته الثانية الى باريس في ١٣ تشرين الثاني ، ولم ينشر مضمون هذا الاتفاق الا بعد سنة وهو يؤكد اتفاق ١١ كانون الاول ١٩٣٧ ، ويعطي ضمانات

(١) مذكرات المجلس النيابي سنة ١٩٣٨ جلسة ٢٤ أيار

تتعلق بحقوق الاقليات ، وباللغة الفرنسية في مدارس سورية ،
وتجديد امتياز البنك السوري ، واستثمار البترول وانماء تجارة
سورية مع فرنسا وقبول مساعدة مالية منها وتعهدت فرنسا فيه
بجعل نهاية فترة الانتقال ٣٠ ايلول ١٩٣٩ .

وقد نص البيان المشترك الملحق بالاتفاقي الجديد على موافقة
الحكومة السورية على المعاهدة المعدلة في ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٩ ،
وان يبرم البرلمان الفرنسي المعاهدة قبل نهاية الشهر نفسه (١) .

ولكن الاحداث خبت ظن رئيس الوزراء ، فقد صرح
مقرر اللجنة الخارجية في مجلس النواب الفرنسي غاستون ريو
Gaston Riou في كانون الاول ١٩٣٨ ان في سورية مجموعة
شعوب ، وان فكرة المعاهدة خاطئة في ذاتها وان لجنة ستاتي
الى سورية لدراسة الحالة من جديد .

فكان من أثر هذا الموقف تزعزع ايمان بعض نواب الكتلة
بسياسة التفاهم . فصرح النائب الدكتور ناظم القدسي قائلاً :
« يجب ان تفهم فرنسا ان في الكتلة الوطنية رأيان ، رأي
متطرف لا يقنع بالتفاهم والنية الحسنة ولكنه يخضع للاكثرية التي
تقول بتجربة سياسة التفاهم ، والرأي الذي اراد لنفسه السكوت
اراد ان يفسح المجال للجانب الآخر كي يصل الى آخر المدى ،

وكي تستقر في اذهان الناس حقيقة لاثانية لها : اما تقام على طول المدى او لا تقام ، (١) .

وقد وقف الدكتور العجلاني اثر تصريحات الجانب الفرنسي موقفاً ينسجم مع الظرف العصيب . ففي ٣٠ كانون الاول ١٩٣٨ تكلم في مجلس النواب ، فأوضح انه لم يتفق مع المعارضين على كلمته ، ولكنه قد يكون متفقاً معهم فكرياً في مضمونها ، ورد على التصريحات الفرنسية بأن سورية ليست عصبة أمم ولكنها أقل من أمة لأنه جزء من الأمة العربية ، وطالب الحكومة بأن تعامل الذين تقموا عليها معاملة الأب المشفق ، وان تقيم عليهم الحجة ، وان تتجنب جهودها الاعمال التي تمزق وحدة الأمة وأعرب عن موقفه من الحكومة بقوله « نستطيع في كل وقت متى رأينا الحكومة تحمي البلاد وتنفذ الشرائع ان نقول لها : السلام عليك ان الرجال الذين ظننت انهم يسيئون الى البلاد يحبونك لأنك قتت بواجبك » . فقبلت كلمته بالترحيب من الكتلة الوطنية .

بيان رئيس الحكومة ومقررات المجلس :

وقد صرح رئيس الوزارة في ٣١ كانون الاول أمام المجلس النيابي بعدم اعترافه بأي اتفاق يخالف نصوص المعاهدة والملحق العسكري ، وبذلك تراجع عن الاتفاق الذي عقده مع بونه في

(١) مذكرات المجلس النيابي سنة ١٩٣٨ ، ٢٤ كانون الاول

١٤ تشرين الثاني . وان حكومته اذا رأى المجلس ضرورة لبقائها لن تقرر من المسؤولية وانها مستعدة لتقديم انواع التضحيات وضروبها في سبيل الوحدة والاستقلال والحرية : فاتخذ المجلس على الأثر المقررات الخطيرة التالية (١) :

أولاً - ان مجلس النواب السوري مدفوعاً برغبته الصادقة في التحالف مع فرانساً يتمسك بنصوص المعاهدة التي صدقها في ٢٦ كانون الاول ١٩٣٦ ، ويعتبر حقوق سورية المنصوص عنها في هذا الصك واجبة الاحترام والتنفيذ .

ثانياً - يعتبر المجلس بحكم العدم أي ادعاء كان يتعلق بملاحق أو اتفاقات أو ذيول أو عقود لاحقة غير معروفة عنده ولا مصدقة منه .

ثالثاً - يأسف المجلس لنكول الحكومة الفرنسية عن ابرام عهدا ويستنكر التردد في تصديقها للمعاهدة ، ويطالب الحكومة السورية العمل على حفظ جميع الحقوق المؤيدة لاستقلال سورية ووحدتها والاسراع باتخاذ الوسائل اللازمة لاستلام الصلاحيات الباقية .

رابعاً - اعتبار تصريح رئيس الوزراء بأنه يعتبر نفسه في حل من جميع الاتفاقات والعقود التي يمكن ان يكون قد وقعها ويعتبرها لغواً .

(١) راجع مذاكرات المجلس النيابي لعام ١٩٣٩ جلسة ٣٠

كانون الاول ١٩٣٨

خامساً - مجلس النواب هو ممثل الشعب الحقيقي وهو وحده يعبر عن رأي الأمة ورغائبها ، ويستفكر أي أسلوب آخر لمعرفة رأي الشعب السوري بشأن مصيره ، ويدعو الشعب للامتناع عن الاتصال بأي هيئة تحاول أخذ الآراء تذرعاً بإيجاد التفرقة في صفوف الأمة .

سادساً - أعرب المجلس عن أسفه لحوادث العصيان في الجبل واللاذقية ولما يقال عن تدخل ممثلي السلطة ويطلب من الحكومة وضع حد لها .

سابعاً - ويسجل مشاطرة الوزارة السورية المجلس النيابي الرأي المعرب عنه في هذه البنود . وقد قبلت هذه المواد باجماع النواب الحاضرين وجرى التصويت بالمناداة بالاسماء . واعتبرت هذه القرارات اعلاناً للاستقلال .

موقف الكتلة الوطنية سنة ١٩٣٩ :

اتضح اذن ان فرنسا كانت لا تريد تصديق المعاهدة بالرغم من تساهل المفاوض السوري ، وعقد اتفاقات جديدة ، وقد جاءت مقررات المجلس جواباً صريحاً على تصريحات المسؤولين الفرنسيين . ولكن هذه الحقائق أفهمت الناس ، ان هذه التجربة التي خاضتها الكتلة الوطنية ، كانت تجربة فاشلة .

فان فرنسا تنفيذاً لسياستها الجديدة استدعت المفوض السامي الكونت دي مارتل وعينت مكانه غابريل بيو G. Buaux الذي

قال في مذكراته ان تعيينه تم على أثر اجتماعات بين موظفي وزارة الخارجية والعسكريين الفرنسيين « بحث فيها ما اذا كان من الممكن الحصول على تعديلات جديدة من حكومة دمشق » (١) وتكليفه بالسفر الى سورية لوضع تقرير حول القضية في مدة شهرين او ثلاثة . لقد كانت العقلية التي أتى بها السفير الجديد تنبئ تماماً عن أهداف فرانسوا الحقيقية . فمراجعة مذكراته ، نجده حريصاً جداً على « تقاليد فرانسوا في الشرق » وهو يرى « ان أقدم هذه التقاليد هي تقاليد مسيحية ، وان مهمة فرانسوا المحدودة من قبل الكرسي البابوي هي حماية الطوائف المرتبطة بالكنيسة الرومانية » (٢) .

وهو يصف الفكرة العربية في سورية بأنها واقعاً نفسياً قوياً يصعب تحديده بالنسبة للفكر الغربي . وانه لم يكن لمقررات ٣١ كانون الاول بنظره الا قيمة رمزية ، ما دام الاحتلال العسكري الفرنسي قائماً .

وقد أوضح سياسته القائمة من اساس الانتداب ومهمة فرانسوا في الشرق في بيان أذيع من بيروت في ١١ كانون الثاني وكانت سورية في هياج والمظاهرات الصاخبة قائمة بتحريض الاحزاب .

(١) بيو ، غابرييل : سنتان في المشرق (١٩٣٩ - ١٩٤٠)

كتاب نشر مترجماً بصورة متسلسلة في جريدة النصر (بدمشق)

العدد ١ - ٢٧١٢ ، ٣ كانون الثاني ١٩٥٤ .

(٢) المصدر السابق : العدد ٤ - ٢٧١٣ .

وقد أغلقت دمشق اسواقها يوم وصوله إليها في ١٨ كانون الثاني حتى قال عن هذا (الاستقبال) بأنه « متقن الاخراج فلم يظهر أحد في الشوارع التي مر بها موكي ولم يكن يسمع الا صوت الطبول وصوت حرافر الخيول ، حتى بدا لي كأنني أقود حملة من الفرسان للقاء عدو غير منظور ، ولم يظهر في الاستقبال الذي أقيم في دار المندوبية سوري واحد ، فقد كانت الكتلة الوطنية تريد ان تثبت لي انها تستطيع ان تخلق فراغاً حول المفوض السامي (١) . وظلت الحكومة السورية تتمسك بالمعاهدة التي وقعت وأعلن شكري القوتلي موقف الكتلة الوطنية في مجلس النواب ١٦ كانون الثاني فقال : « ان الكتلة الوطنية اخذت على عاتقها ، مسؤولية هذا الدور وهي ماضية في سياسة التحالف الى النهاية وهي تعلن موقفها بلا تردد على لسان الحكومات التي تتولى الكتلة الوطنية تعارض السياسة التي يراد تطبيقها في البلاد ، وهي على استعداد لخوض كل غمرة لارجاع وارغام الطرف الآخر على التعاقد الذي اتفقنا عليه سواء كنا على كراسي الحكم أو خارج الحكم (٢) » .

ولكن الموقف لم يعد في صالح الكتلة الوطنية فان الرصيد

(١) نيو: سنتان في المشرق . النصر العدد ٣ - ٢٧١٥ ، ٥

كانون الثاني ١٩٥٤ .

(٢) مذكرات المجلس النيابي جلسة ١٦ كانون الثاني ١٩٣٩ .

الشعبي الذي كانت تتمتع به بدأ ينفذ عنها ولم يعد الناس يؤمنون بسياسة التفاهم ، حتى ان وزير المالية لطفي الحفار رفع استقالته الى رئيس الجمهورية في ١٦ كانون الثاني . ودعا فريق من نواب الكتلة الوطنية الى وحدة الصفوف ، وأوصوا الحكومة بالتفاهم مع الدكتور الشهبندر والبقاء في الحكم الى ان يخرجها منه الفرنسيون بالقوة (١) .

أما ما أثار الجوادث الاخيرة فهو الغاء نظام الطوائف الدينية ذي الرقم ٦٠ ل.ر فأبلغت الحكومة السورية ، المفوض السامي ان قراراته لن تنفذ ما لم تقرن بموافقة البرلمان ، وطالبت بتسليم صلاحيات المندوبية ، ولكن السلطة الفرنسية رفضت هذه المذكرة وأعادتها بواسطة المندوب هوتكلوك والجنرال كيلار ، الذي حرص بيو على ارساله ليكون للجواب معنى الانذار : « فالشرقيون يفكرون بطريق الصور المجسمة ، وكان من الملائم ان تفرض صورة السيف على ذهن جميل مردم بك » (٢) . فاستقال جميل مردم في ١٨ شباط « لتعذر الاستمرار في العمل » . وألفت الكتلة الوطنية حكومة ثانية في ٢٣ منه برئاسة لطفي الحفار ، ولكنها استقالت قبل ان تتقدم الى المجلس النيابي الذي كان حينئذ في عطلة . ولم تستمر في الحكم اكثر من عشرين

(١) نفس المصدر : جلسة ٥ كانون الثاني .

(٢) بيو : سنتان في المشرق . النصر العدد ٥ - ٢٧١٧ ، ٧ .

كانون الثاني ١٩٥٤ ،

يوماً بسبب انتقاص سلطة الحكومة في جبل الدروز واللاذقية
والجزيرة .

وبدأت الكتلة تتهياً لاثارة الشعب ، وكلف جميل مردم من
قبل مجلسها بالاتصال برجال الاحياء وبالشباب الوطني لتنظيم حركة
سلبية جديدة . كانت أولى بوادرها اغلاق الاسواق في دمشق
من ١١ - ١٦ آذار احتجاجاً على قراري الاحوال الشخصية .
وفي هذا الموقف العصيب كانت تحدث مصادمات بين الكتولين
ومؤيدي الشهنذر ، فسقط من الطرفين في ١٩ آذار عدد من
القتلى والجرحى فتذرعت المفوضية الفرنسية بذلك واستردت
سلطات الأمن من الحكومة بعد اصطدام بالشعب أمام
ساحة السراي .

وقد اعقبت وزارة الحفار وزارة اخرى ألفها النائب نصوحي
البخاري في ٥ نيسان بعد أزمة دامت عشرين يوماً ، بسبب
امتناع الكتلة الوطنية عن الاشتراك في الحكم واتخاذها قراراً
بذلك وعدم تأييد أية وزارة لا تقوم على اساس تنفيذ معاهدة
١٩٣٦ . وقد امتنعت الحكومة عن المثل أمام المجلس قبل
صدور تصريح من الجانب الفرنسي تستطيع ان تطمئن الشعب
على أساسه . ولكن المجلس النيابي اعتبر هذا الموقف مخالفاً
للدستور ، وأيد مقرراته السابقة ، وبدأ نواب الكتلة الوطنية
يعترفون بصراحة بأخطاء الكتلة . ففي ٢٨ آذار خطب النائب
فائز الخوري قائلاً : « لم ينجح هذا الدور الوطني كما كنا

نريد ، هذا حق يجب ان نعترف به .. اخطأنا كلنا من اعلى رأس فينا الى اصغر رأس ، فلا يجوز لاحد ان يبرر نفسه » .
 ووصف وضع الكتلة آنئذ ، بقوله : « الكتلة اليوم مريضة ، ولكن المريض سيشفى وينزل الى الساحة ويناضل في سبيل استقلال البلاد . وسيكون لنا من اخطائنا عبرة ، ولن تقبل الكتلة الوطنية بعد الآن ان يرتكب باسمها خطأ سياسي او غير سياسي ، وانها تترك العمل مؤقتاً ، ولن تشترك بالحكم حتى نزول هذه الغمامة .. » ولكنها حقاً لم تكن غمامة ، بل كانت عاصفة لم تهدأ الا بعد رحيل الفرنسيين عن البلاد .

فقد عاد المفوض السامي في ١٠ أيار اعلان ان حكومته ترغب بالفهم على الأساس العام للمبادئ المملنة في النصوص التي وقعتا الحكومتان ، ولكن مع التحفظ بايجاد نظام إداري خاص للمحافظات ، ارضاء لرغبات سكانها المشروعة ضمن الوحدة السورية وايجاد تنظيم جديد للتعاون العسكري بسبب تطور الحالة الدولية مع ضمانات جديدة لحقوق الاقليات (١) . ولكن هذه التحفظات كانت منافية لكل ما كان في مصلحة سورية في المائدة . فاستقالت حكومة البخارى في ١٥ أيار ولكن رئيس الجمهورية لم يقبل استقالتها ، وتحلى هو بدوره عن السلطة ورفع استقالته الى مجلس انواب في ٧ تموز وقد جاء فيها : .. وقد ذهبت

(١) راجع البيان في ضبط جلسة المجلس النيابي ٢٣ أيار ١٩٣٩ .

ضياءً تلك الآمال التي توجهنها بها الى سياسة التحالف والتعاون .
 وشهدنا عودة الى أساليب قديمة وتجارب جديدة ، تناقض ما تعاقدنا
 عليه ودخلنا الحكم على أساسه ، على أن حوادث الماضي وقرائن
 الحاضر لا تجعل مجالا للشك في ان هذه الخطط التي يراد اتباعها
 واستئناف العمل بها لا ثمر إلا المشاكل والخلافات ، كما انها
 تضعف كيان هذه البلاد ، وتوهن قواها وتهدد مستقبلها ،
 ولذلك لا أرى بدءاً من الاستقالة من المنصب الذي وكلت الى
 الامة القيام به ووثقت بي في تحمل أعبائه (١) . وبهذه الاستقالة
 تسحت الكتلة عن الحكم مخذولة واهنة القوى .

موقف الربهة السبعية :

قامت هذه الهيئة على انقراض الجبهة الوطنية المتحدة ، واشتركت
 فيها هيئات ضعيفة ، كما انضم اليها عدد من السياسيين في دمشق
 منهم ذكي الخطيب ومنير العجلاني ، أما رئيسها الدائم فهو الدكتور
 عبد الرحمن الشهنندر . وهكذا كانت هذه الهيئة كالكتلة الوطنية
 مؤلفة من مجموعة اشخاص ، وان هي اتفقت على برنامج سياسي
 فاتفقوا موقت لمعالجة ظرف معين .

أما هذا البرنامج فقد تضمن الخطوط الكبرى للأهداف التي
 تسعى اليها . وهي :

(١) الحفار ، وجيه : الدستور والحكم . نس الاستقالة ١٧٢-١٨٣

العمل للوحدة السورية الشاملة ، وإن لا تقل المعاهدة المزمع عقدها عن معاهدة العراق نظاماً وتطبيقاً وإن تكون خطوة للاستقلال ، والسعي لجعل سورية عضواً في الاتحاد العربي المنتظر ، وضمان الحريات والمساواة للطوائف والمذاهب ، توجيه البلاد نحو حكم صالح يحقق لها نهضة قومية وإنشاء جيش وطني ، وحماية الانتاج القومي وتشجيع الاقتصاد الوطني وجعل التعليم الاولي إلزامياً . وقد نص نظامها الداخلي على تأليف عدد من اللجان أهمها اللجنة المالية ولجنة الدعاية والنشر ولجنة الشباب والاعضاء والطلاب . كما كان لها هيئة نيابية مؤلفة من عدد محدود من النواب . وصدرت منذ عام ١٩٣٩ جريدة النضال في دمشق لتتطرق باسمها .

أما موقف الهيئة الشعبية من الحكومة الكتولية فقد كان موقف الناقد والمعارض ، إذ لم تر في المعاهدة التي تبنتها الكتلة الوطنية ما يكفي لتحقيق آماني البلاد ، وكان يغذي الخلاف بين الحزبين الخصومات الشخصية القديمة .

على ان الهيئة الشعبية كانت تستمد قوتها ، بالواقع ، من شخصية الدكتور شهبندر . إذ انه عندما عاد من مصر في أيار ١٩٣٧ بعد العفو عنه هبت دمشق بأجمعها لاستقباله وبينهم رجال الوفد السوري ولقبه يومئذ فارس الحوري بالزعيم الاوحد .

كان للشهبندر ، شخصياً مسكانة شعبية في دمشق وسورية عامة ، ولكن لم يكن له حزب سياسي فعال ، فقد تفكك حزب

الشعب الذي أسسه عام ١٩٢٥ بعد الثورة ، ولم تكن الهيئة الشعبية قوية يعتمد عليها . ولكن الرجل كانت له افكار ومبادئ سياسية ، تميزه عن رفاقه الذين اسسوا الكتلة الوطنية ، ونستطيع أن ندين هذه الافكار من كتابه « القضايا الاجتماعية الكبرى في العالم العربي » . وهو مجموعة مقالات كان قد نشرها في الصحف المصرية .

فهو يرى ان بلادنا بحاجة الى التجانس ، وان « حكومة النخبة المختارة هي المخرج الوحيد لطحن الجماهير العربية وجعلها متجانسة » وهذه المرحلة ضرورية في الفترة الانتقالية حتى تتهيأ البلاد للحكم الديمقراطي الصحيح . وان الشكل الياباني القائم على الانتخاب الحر هو اصلح اشكال الحكم للبلاد العربية في ظل الاستقلال المقيد بالانتداب او الحماية ، ولكن الحكم الاستبدادي العادل هو اصلح لها حيث هم يتمتعون بالاستقلال التام . وهو يبرر رأيه بقوله : « لقد أيدنا الحكم الاستبدادي العادل للقطر العربي المستقل لاننا اهتممنا باقناذ مجموع الشعب اكثر مما اهتممنا باقناذ الفرد » .

أما عوامل التجانس في الأمة عنده فهي ان يكون لها « بقعة ارضية منضمة » و « وحدة في النسب والتقاليد العامة » . أما الوحدة الدينية فليس لها ، عنده ، اهمية في التجانس القومي كالوطنية . وبناء على هذه القواعد وبالرغم من ايمانه بالقومية القرية فهو يعتقد انه من الخطأ الاجتماعي العظيم ، « التوهم »

بإمكان تأليف دولة عربية مركزية ديمقراطية ، وهو يؤيد الحلف العربي ، ولكنه يشترط ان يكون على اساس « قدرة الثقافة العربية بأوسع معانيها ان تضم تحت جناحيها جميع العناصر التي اكتسبت التأثر والتجانس بفعلها ، واما ما لا تتسع له معدتها فيكون خارجاً عن حوزتها » ويرى امكان اقامة اتحاد مع العراق لوجود التجانس .

ويجهر الشهبندر ببعض الآراء الاجتماعية الجريئة فيحمل على استغلال الدين وحيجاب المرأة .

ولما عاد الشهبندر الى دمشق زار مكتب الكتلة الوطنية في ١٥ حزيران ١٩٣٧ وخطب فيه : « إني أرمي الى توحيد الصفوف لا أريد الاحزاب ولا اعني بالشخصيات » (١) ففهم رجال الكتلة انه يعرض بالكتلة الوطنية فرد عليه فارس الخوري ، داعياً إياه الى الاشتراك مع الكتلة الوطنية في تحمل المسؤوليات . ولما لم يكن لهذه الدعوة اثر ايجابي فان الشهبندر عندما عاد ثانية من مصر نشر بياناً في آخر عام ١٩٣٧ اتهم فيه رئيس الحكومة بالتساهل مع الفرنسيين وفي قضية الاسكندرونة مما ادى الى اعتقال بعض أعوانه وتفاقم الخلاف .

أما المعارضة البرلمانية فقد كان يمثلها نائب دمشق الدكتور منير العجلاني ، وحده ، وقد كان بادئ الامر يؤيد الكتلة

(١) خياز ، حداد : فارس الخوري ٩٠

الوطنية ، وفاز بالنيابة في قائمتها ، ولكنه انشق عنها وأيد الشهبندر .

ففي ٣٠ كانون الاول حمل في مجلس النواب على رئيس الوزارة ، وكان قد عاد من باريس بعد عقد اتفاق ١١ كانون الاول ١٩٣٧ ، الذي تسربت أنباءؤه الى الشعب ، فاتخذت الحكومة تدابير شديدة وسخرت قوات الأمن وشباب الكتلة لمراقبة خصومها للتضييق عليهم . كما عمدت الى تعطيل الاداري لاسكات الصحف .

وقد وصف العجلاني الجو الذي كانت تعيش فيه البلاد منذ عودة رئيس الوزارة ، بأنه جو محموم ، وطالب بحماية حرية الناس جميعاً ، وانتقد رئيس الوزارة « لاضطهاده حرية رجل عظيم تغرب عن البلاد وكانت عودته من أجمل أمانيا » وقال ان المعارضين ليسوا فئة قليلة بل هي فئة لها كرامتها على رأسها رجل احتفل به النواب ولقبه رئيسهم بالزعيم الأوحد . واحتج على اغلاق جريدة الجزيرة المعارضة . وعلى طريقة اغلاقها بواسطة الشرطة . وتحدى رئيس الحكومة بأن يستقيل ويرشح نفسه للنيابة ضد الدكتور شهبندر « فحينئذ تعلمون من هو الأقوي أجميل مردم بك أم الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ؟ »

وتقدم بقانون لحماية حرية الصحافة ، يجعل للقضاء يداً في تقرير التعطيل او ابطاله ، بعد ان كان ذلك من حق وزير الداخلية .

فقام رئيس الوزارة يرد على كلمة العجلاني رداً شديداً معرضاً
 بزعمه الشهنبر بقوله : « الزعامة الحقيقية هي التي تتحمل
 المسؤولية في جميع المواقف وهي التي تقود الأمة الى الخير وتمنع
 عنها الشر ، أما الزعامة التي تقر من كل المواقف ، الزعامة التي
 لا تتجرأ على الصراحة هي زعامة مهزومة مكذوبة » . وأخذ
 على الشهنبر « رفضه قبول التكليف بالذهاب الى جنيف للاهتمام
 مع ممثلي الحكومات العربية بمسألة فلسطين ، واجتماعه بالشيخ
 تاج في باريس ، وسكوته عن المؤامرات التي كانت تهيأ فيها (١) » .
 أما الجبهة الشعبية : فقد والت اصدار البيانات التي وقعها
 باسمها زكي الخطيب ، وهاجمت فيها حكومة الكتلة واتهمتها باخفاء
 الحقائق عن الشعب وسجلت عليها تهاونها في حقوق البلاد ،
 واعطاءها الحكومة الفرنسية امتيازات تزيد على ما قررته المعاهدة (٢) .
 ففي مسألة الاسكندرونة اخذت على رئيس الوزارة تصريحه
 للصحافة في باريس بأن « سورية انضمت امام قرار جنيف في
 ٢٩ تشرين الاول ١٩٣٧ » في حين رفضه المجلس النيابي السوري
 المؤلف بأكثرية من الكتلة الوطنية ، لاقاراره نظاماً خاصاً لجزء
 من البلاد ، وسجلت عليه اعترافه بنظام خاص للموظفين

(١) مذاكرات المجلس النيابي عام ١٩٣٧ .

(٢) بيان الجبهة الشعبية : « الى شعب سورية النبيل » في ٨ كانون

الثاني ١٩٣٨ .

الفرنسيين . ولم تقر مباحثاته مع الافرنسيين في شؤون « الأقليات »
ومشاكل المحافظات ، وقبوله اخضاع العملة السورية للفرنك
الفرنسي ومقدراته .

وكانت الجبهة الشعبية تصف سياسة رئيس الحكومة في
مفاوضاته مع الفرنسيين بأنها « ذات وجهين الأول وجه الاستسلام
امام الاجنبي والثاني وجه الفرور أمام الشعب » .

وعندما عاد الرئيس مردم من باريس بعد عقد اتفاقات ١٤
تشرين الثاني ١٩٣٨ كانت المعارضة تطالب بالحاح بمعرفة مضمونها
أما رئيس الوزارة فقد اعتمد على رجال الاحياء ، ولجأ الى
الخطابة في الجوامع والاجتماعات العامة داعياً لتأييد سياسة التعاون
التي يريد بها ، وقد خطب مرة في المجلس النيابي ، معلناً استمساكه
بالمعاهدة ومهاجماً معارضيه فقال : « أما حملة التهديم والتحريض
التي يقوم بها خصوم سياسة التحالف والوئام بين فرنسا وسورية
فاننا نمر بها غير مكترئين ولا مبيلين فهي في تناقضها وتباينها
صائرة لا محالة الى الفشل والاختفاق (١) » .

وفي العام ١٩٣٩ تأزمت الحوادث فأعلنت الحكومة ان برنامجها
هو مادة منفردة هي العمل لمعاهدة كمعاهدة العراق ومعاهدة
١٩٣٦ دون اضافات او تعديلات وخطب العجلاني بليم المعارضين
في المجلس في ١٦ كانون الثاني ١٩٣٩ قائلاً « ان المعارضة لم

(١) مذاكرات المجلس النيابي ١٩٣٨ جلسة ٣١ أيار .

تعد هزيلة وهي تقول بملء فيها : اننا معارضون ولكننا وطنيون
مثلكم مستعدون للتضحية في كل وقت ، واذا اختلفنا بالاساليب
فلا يعني اننا نختلف بالعقيدة ، والمعارضون يطلبون الاعتراف
بوجودهم رسمياً ويريدون ان يسمح لهم ولصحفهم ولجاسمهم ان
تعبّر عن آرائهم في أي وقت كان ، فالمعارضة تريد الحرية ،
وتريد ان تكون الوظائف على اساس الكفاءات .

وقد جرت في مجلس النواب في مطلع عام ١٩٣٩ محاولات
لتأليف لجنة للتوفيق بين مردم والشهيندر ، باءت بالفشل ،
واستمرت المظاهرات في دمشق ضد حكومة الكتلة من جهة
والفرنسيين من جهة ثانية . وقد تضخمت كتلة الشهيندر العديدة
بإضمام كل من هو خصم للكتلة الوطنية ، على اختلاف اتجاهاته
ومشاربه . ولذلك كانت الكتلة الوطنية تشتت اخراج هؤلاء
الذين كانت تسميهم « بالمشبهين والرجعيين والمأجورين وعباد
المال وعبيد الاستعمار (١) » من صفوف المعارضين وتدعو الشهيندر
الى وضع يده بيد من مدوا أيديهم للاتفاق معه ، وعلان
رأيه بصراحة (٢) .

(١) مذاكرات المجلس النيابي عام ١٩٢٩ جلسة ١٨ نيسان « كلمة
عبد الرحمن الكيالي » .

(٢) مذاكرات المجلس النيابي عام ١٩٣٩ جلسة ٢١ كانون الاول
« راجع كلتي ناظم القدسي وفخري البارودي » .

ولكن المعارضة أجابت : « انكم لم تطلعونا على شيء خلال سنتين والآن تطلبون رأينا وتصويتنا للفكرة التي تعتقدونها (١) » . وهكذا انقضت الفترة التي تولت فيها الكتلة الوطنية السعي لمقد معاهدة مع فرانسوا تحدد علاقات الطرفين دون تعاون الفئة الحاكمة والفئة المعارضة ، رغم اتفاقها منذ البدء على مبدأ التعاقد واختلطت الخصومات الخصوصية التي غذاها الطرفان معاً ، بالخلاف السياسي . ولم يكن لهذه المعارضة نتيجة ايجابية . فلم يفد تأييدها لحكومة البخاري شيئاً . كما انها لم تستطع ان تتولى امور البلاد بعد انسحاب الكتلة الوطنية .

عصبة الأمم القومي

وقفت العصبة في هذه المرحلة الثانية من فترة المعاهدة ، ايضاً ، موقف المعارض المتطرف . وقد كانت ضعيفة في صفوف الشعب وقوية في صفوف المثقفين والطلاب في دمشق وحمص والاسكندرون . وقد سبب موقفها من المعاهدة انشقاقاً في صفوفها عام ١٩٣٦ فانسحب أمينها العام صبري العسلي وانضم الى الكتلة وفاز في الانتخابات في قائمتها .

وقد وقفت منذ البدء ضد مبدأ التعاقد . فكانت تنظم المظاهرات الاحتجاجية ضد الحكومة لموقفها المتساهل امام الفرنسيين

(١) مذاكرات المجلس النيابي عام ١٩٣٩ جلسة ١٨ نيسان .

وخاصة بعد اتفاقيات ١٩٣٧ و ١٩٣٨ . ووالث، اصدار النشرات وارسال البرقيات الى المراجع المسؤولة والدولية شارحة مسألة لواء الاسكندرون .

لقد كانت العصبة نشيطة جداً في الاسكندرون ومثلت وحدها الجانب العربي الشعبي ضد مؤامرات الفرنسيين والأتراك وسكوت حكومة الكتلة الوطنية ، ولم تكن تثق بالوفد السوري في جنيف فطالبت بأن يتألف من شكري القوتلي وزكي الارسوزي بدلاً من عبد الرحمن الكيالي وحسن جبارة .

وقد كشفت اللجنة المركزية لعصبة العمل القومي بدمشق في بيان وجهته في ٢٦ كانون الثاني ١٩٣٧ (١) عن الأسس المقترحة للنظام الخاص باللواء في جنيف . وطالبت المجلس النيابي بالرجوع عن تصديق المعاهدة « اذا كان ثمنها ابتلاع أرض جديدة من الوطن » . ونظمت العصبة في انطاكية في ١٢ كانون الثاني ١٩٣٧ مظاهرة كبيرة نادى بعروبة اللواء امام المراقبين الدوليين كما قامت مظاهرات مماثلة في دمشق في ٢٦ منه ورفعت اللجنة الى عصبة الامم في ١٥ شباط عريضة موقعة من العرب والارمن وهم يمثلون اكثرية السكان ، برفض اتفاقية جنيف وطلب المحافظة على اللواء ضمن الدولة السورية ، بالابقاء على التشريع السوري فيه واعتبار العربية وحدها هي الرسمية . وكانت المظاهرات التي حركتها العصبة هي وحدها التي أشعرت جمعية الامم في جنيف

(١) عصبة العمل القومي: لواء الاسكندرون الشهيد. نص البيان ٦٦.

برفض السوريين للاتفاق . وقد تسبب عن ذلك اعتقال كثيرين منهم في الاسكندرون واصطدامهم بالاتراك اصطدامات دامية .
وقد اقلت عصبة العمل القومي مسؤولية مصير اللواء على سياسة التعاقد وعلى موقف الحكومة السورية الاستسلامي ، وتمانوها في تنوير الرأي العام بالحقائق وايهامه ان البلاد اصبحت مستقلة .
وعندما أعلن نظام الانتخاب لتقرير مصير اللواء ، ونص النظام على ضرورة معرفة الناخب للقراءة والكتابة ، جد شباب العصبة في تشجيع العرب على تسجيل مكتومهم وتعليم الأميين منهم . ولكن السلطة الفرنسية كانت عازمة على تنفيذ خطتها فتسلت جميع السلطات الادارية والسياسية والقضائية ورفعت العلم الفرنسي بدل العلم السوري على الدوائر خلافاً لاتفاقية جنيف نفسها .
وقد خاضت العصبة الانتخابات ، ورشحت الكتلة الوطنية مرشحين ، لمنافسة العصبة ، اعتادوا مؤازرة الانتداب ، وقد ظهرت خيانتهم فيما بعد بانسحابهم من مجلس النواب السوري وانضمامهم الى مجلس نواب « دولة هاتاي » ثم الى مجلس النواب التركي . ولم تستطع العصبة الصمود أمام الضغط الفرنسي والتركي ، ومنافسة الكتلة الوطنية لها فانسحبت من الانتخابات ونشرت بياناً أعلنت فيه انها انسحبت « لكي لا تعطي هؤلاء النواب سلاحاً شرعياً يحاربون فيه تحت قبة البرلمان الوحدة السورية واستقلال الوطن السوري (١) » . ولكن الحوادث توالى بسرعة في اتجاه

(١) عصبة العمل القومي : لواء الاسكندرون الشهيد ٩٣ .

مرسوم ، فقد فصل اللواء عن سورية واعلنت دولة هاتاي في ٢ ايلول ١٩٣٨ ، ثم ان ضم اللواء الى تركية قد تقرر بعد اتفاق بينها وبين فرنسا وبتأييد بريطانيا . فلما وصل بيو الى سورية في أوائل عام ١٩٣٩ كان مدعواً للتنفيذ (١) .

وكانت سورية هي التي دفعت ثمن المساومات الاستعمارية ، ولم يكن من مجلس النواب السوري إلا أن سجل فقط عدم موافقته عن ضم لواء الاسكندرونة الى تركيا (٢) . دون أن يتخذ أية تدابير أخرى .

الحزب السوري القومي (١٩٣٦ - ١٩٣٩) :

تابع الحزب تنظيم صفوفه في هذه الفترة أيضاً . وقد انشئت في ٥ كانون الثاني ١٩٣٧ رتبة الامانة ، التي « تمنح من قبل الزعيم لمن يستحقها على ان يكون قد مر على اعتناقه عقيدة الحزب خمس سنوات ، واطهر تفوقاً في تفهم العقيدة ، وقام بأعمال غير اعتيادية في سبيل الحزب » ، وللاأمين امتيازات معنوية تخوله حمل مسؤوليات عليا وامكانية انتخابه من قبل هيئة الامناء لعضوية المجلس الأعلى (التشريعي) المقابل لمجلس العمدة (التنفيذي) .

(١) بيو : سنتان في المشرق ، النصر العدد ١ - ٧٢١٢
كانون الثاني ١٩٥٤ .

(٢) مذكرات المجلس النيابي عام ١٩٣٩ جلسة ٣١ مايس .

وفي ١٩٣٧ انشأ الحزب ندوة ثقافية في بيروت غايتها « نقل الفكر من السطحيات ومسائل الادراك العادي الى الأساسيات وقضايا العقل العلمي والفلسفي (١) » .

وأخذ الحزب يسعى لنشر فكرة الوحدة السورية القومية « بعد ان اقبل الكتليون عملياً باب الوحدة السياسية (٢) » كما رأى الحزب ، واعترف الحزب بكيان لبنان ، « على أن لا يمنع هذا من اعتبار الواقع ان سورية الجغرافية تشكل وحدة اجتماعية اقتصادية (٣) » وهكذا كانت كلمة واحدة من « الزعيم » كافية لتبرير مواقف الحزب المتناقضة .

وفي ٩ آذار اوقف سعادة وهو في طريقه الى دمشق . وقد روت احدى النشرات الداخلية الرسمية هذا الحادث مبالغة في تضخيم امكانيات الحزب الحقيقية وايهاماً للأعضاء بقدرة حزبهم فقالت : « اوقف الزعيم وهو في طريقه الى دمشق للاشراف على التدابير المتخذة فيها لأن الحزب كان يتأهب لخوض معركة

(١) النشرة الرسمية للحركة القومية الاجتماعية المجلد الأول العدد السابع .

(٢) خطاب الزعيم مارس ١٩٣٨ ص ٢٢ .

(٣) من تصريح لسعادة في جريدة (النهضة اللبنانية) ١٤ تشرين الاول ١٩٣٧ .

عظيمة ، وقد اكتظت الطرق بالجنود وأوقفت جميع سيارات المسافرين للتفتيش ، وطارت الطائرات فوق مناطق الحزب قرب حركات الحزب (١) . ثم خرج سعادة من السجن في أواسط مايس ١٩٣٧ .

أما فيما يتعلق بفلسطين فإن زعيم الحزب ارسل يرد على مقترحات اللورد بيل في مذكرة ارسلها الى عصبة الامم في ١٤ تموز ١٩٣٧ ، ناقضاً وعد بلفور ، قال فيها « ان مقترحات اللورد بيل تعني تجريد السوريين الجنوبيين من قسم كبير من وطنهم واعترفهم بأنه ارض يهودية لا سورية » ودعا عصبة الأمم الى رفض المشروع . واكتفى دفاعاً عن الاسكندرون بارسال كتاب الى جمعية الامم .

وقد غادر سعادة سورية في حزيران ١٩٣٨ الى المهجر الاميركي في رحلة امتدت الى عام ١٩٤٧ ، تخطط الحزب خلالها في فوضى وتعرض لهزات عنيفة كان من جملتها صدور مرسوم في لبنان في آذار ١٩٣٩ بحل « لأنه ألف بطريقة سرية ، وغير قانونية وفرض غير مباح يمس النظام والأمن العامين » (٢) . كما جاء في الأسباب الموجبة للمرسوم المذكور .

(١) النشرة الرسمية للحركة القومية الاجتماعية المجلد الثاني العدد الاول .

(٢) جريدي في العرب دمشق ١٩ آذار ١٩٣٩ .

الحزب الشيوعي :

نشاته : وفي هذه المرحلة ظهر الحزب الشيوعي كمنظمة لها كيائها ودورها على مسرح الحياة الحزبية في سورية . وقد دخلت الشيوعية بلادنا مع الثقافة الغربية بتزايد اتصال العرب بالفكر الاوربي ، ولاقت قبولا كعقيدة فلسفية ومذهب سياسي لدى فريق من المثقفين السوريين ، كما لاقت صدى لدى فريق من الناس لتلبية الحاجات المادية الماثحة في ظروف اقتصادية كان يزيد المتدبون في حراجتها . ووجد آخرون في هذا الاتجاه حلا من الحلول المطروحة ، للتخلص من الانتداب الفرنسي . على ان هذه الدعوة صادفت اعراضاً لدى الجماهير ، باديء الأمر ، إذ اعتبرت متعارضة مع المبادئ الدينية والتقاليد ، التي كانت آنئذ اكثر رعاية لدي الناس مما هي انيوم . بينما كانت اكثر من اقبل على تقبلها المهاجرون الذين وفدوا على البلاد في عهد الانتداب .

واذا كان من الصعوبة بمكان تأريخ الحياة الحزبية في سورية واستخلاص الحقائق عن نشاط الاحزاب فان تاريخ نشاط الحزب الشيوعي يبدو اكثر صعوبة ، إذ ان نشاط الحزب في السر كان اوسع مدى من نشاطه في العلانية .

أهدافه : ولكن مما لا شك فيه انه ، كبقية الاحزاب الشيوعية في العالم ، هو حزب ماركسي لينيني طبق اممي ثوري ،

يعمل في سبيل تحقيق دكتاتورية البروليتاريا لقلب وسائل الانتاج ولانشاء المجتمع الاشتراكي ، أي جعل وسائل الانتاج ملكا مشتركا وتوزيع المنتجات بين الناس كل حسب عمله ، واقامة جمهورية السوفيات ، أي مجالس العمال ، والمساهمة مع الاحزاب الشيوعية في العالم لهدم الرأسمالية العالمية ولاقاة المجتمع الشيوعي الذي يقوم على مبدأ « من كل حسب كفاءته ولكل حسب حاجته » .

والنظرية الماركسية اللينينية ليست عقيدة جامدة في نظر الشيوعيين بل هي علم تطور المجتمع وعلم حركة العمال وعلم الثورة البروليتارية وعلم بناء المجتمع الشيوعي . وهي تفتي خلال تطورها بالتجربة الجديدة والمعارف المستجدة وتتغير بعض آرائها مع الزمن بما يتفق والظروف التاريخية الجديدة . فهي بكلمة واحدة مرشد للعمل (١) .

والمرونة التي هي احدى خصائص الحزب الشيوعي جعلته قادراً على توجيه نشاطه في كل مرحلة وفق استراتيجية ملائمة في تكتيك دقيق . ولذا فانه في هذه المرحلة التاريخية في سورية منذ نشأته حتى الآن ما يزال يسعى في سبيل الجمهورية البرلمانية المتحررة من أي نفوذ للدول الرأسمالية لا في سبيل اقامة دولة شيوعية .

(١) تاريخ الحزب الشيوعي « البلشفي » ٥٠٧ معرب مطبعة النجاش في بيروت ١٩٥٤ .

وهو يؤيد كل حركة تؤدي لترسيخ قواعد الديمقراطية ،
 أي توسيع الحريات وتحديد ساعات العمل ومصادرة أملاك الاقطاعيين
 ولو تم ذلك في ظل الرأسمالية البورجوازية ، إذ ان الحزب
 يعتقد ان ذلك من شأنه ان يسمح للبروليتاريا ان تنظم نفسها
 سياسياً وان تكتسب تجربة وخبرة عملية في ممارسة القيادة السياسية
 للماهير الكادحين حتى تستطيع ان تنقل الثورة البورجوازية الى
 الثورة الاشتراكية . فان الشيوعية تعتقد ان الوسيلة الوحيدة
 لتقريب الاشتراكية هي الحربة السياسية الكاملة ، والجمهورية
 الديمقراطية .

ولكن الحزب الشيوعي يعتبر أيضاً ان انتصار الثورة البروليتارية
 مستحيل بدون سحق الثورة البورجوازية الصغيرة التي تعمل في
 صفوف الطبقة العاملة وتهدم على هذا الشكل وحدة الطبقة العاملة .
تنظيمه : على ان يميز الحزب الشيوعي أيضاً بالاضافة الى
 العقيدة الفلسفية الواسعة الشمول ، التنظيم الدقيق ، إذ يقول
 لينين « ليس لدى البروليتاريا في نضالها لأجل السلطة سلاح
 سوى سلاح التنظيم (١) » .

فالحزب هو الطليعة الواعية من الطبقة العاملة ، وهو الفصيلة
 المنظمة الفائدة لجميع المنظمات الفرعية الأخرى . وهو حزب جماهيري
 يسعى للحصول على تأييد الطبقة العاملة ، قائم على مبادئ المركزية

(١) لينين : في كتابه « خطوة الى الامام خطوتان الى الوراء »

ص ٤١٤ عن كتاب تاريخ الحزب الشيوعي (البلشفي) ص ٧٤ .

المنتخبة بالاكتية المطلقة من مندوبي اللجان الفرعية .

أما عناصر الحزب فتتألف من فئتين الأولى محدودة العدد
مناضلة ، مؤلفة من ثورين محترفين للعمل الحزبي مزودين
بالمعرفة الضرورية والتجربة السياسية والقدرة على الكفاح . أما
الفئة الثانية فتتألف من بقية أعضاء الحزب . ويكون عضواً في
الحزب كل من توافرت فيه شروط ثلاثه ، أن يعترف ببرنامجه ،
ويساعده مادياً ، وينتمي الى احدى منظماته .

على أن الحزب يتبع قاعدة مراقبة اعضائه وهو لا يتسع لمن
ينحرفون عن خطته ومبادئه او من لا يرى فائدة من وجودهم في
صفوفه . وبالإضافة الى هذا فان النقد الذاتي لتصحيح الاخطاء
هو من الأسس الهامة التي يتبعها الحزب للمحافظة على كياهه .
أما الوسيلة الأساسية التي يتوسل بها الشيوعيون لتحقيق
اهدافهم في الثورة المسلحة والاضطرابات السياسية الجماهيرية .

نشاطه في سورية : وفي هذه المرحلة التي انقضت حتى عام
١٩٣٩ كان للحزب دور ظاهر على مسرح الحياة السياسية تجلى
في موقفه من المساعي التي بذت لعقد معاهدة مع الدولة المنتدبة
وفي مساهمته مع الأحزاب الشيوعية الأخرى في الوقوف ضد
الفاشية والنازية .

أما في موقفهم من عقد المعاهدة فقد استفادوا من موقف
الحزب الشيوعي الفرنسي الذي كان اكثر الأحزاب الفرنسية
الحاكمة آنئذ ، تأييداً لعقد المعاهدة السورية - الفرنسية ، وهي

المطلب الرئيسي للسوريين آنذاك . لكسب عطف الشعب على الحزب الشيوعي السوري . وقد عمل خالد بكداش الأمين العام للحزب الشيوعي على تقريب وجهات النظر بين الوفد السوري المفاوض في باريس وبين العناصر اليسارية الفرنسية التي كانت تتمتع بنفوذ واسع في حكومة الجبهة الشعبية الفرنسية . وكان من نتيجة هذه المساعي دعم موقف الوفد السوري المفاوض هناك . وأصدر الحزب في هذه الفترة جريدة تنطق باسمه في بيروت وهي « صوت الشعب » وقد كان تأسيسها ذا أهمية بالغة في حياة الحزب فهي لم تقتصر على جمع الحزب في الميدان الفكري بل ان شبكة عملائها ومراسليها من مثلي المنظمات المحلية ، أصبحت تكون هيكل الحزب .

وقد بنيت سياسة الحزب خلال هذه الفترة منذ نيسان ١٩٣٧ على أساس الدعوة لاتحاد وطني منظم يتألف منه ومن الكتلة الوطنية وعصبة العمل القومي والشباب الوطني « والمعارضين المخلصين » على ان يكون برنامجهم في تلك المرحلة « العمل على الوصول الى حالة من الاستقرار والهدوء على أساس توطيد تحالف سوري فرنسي شريف يكون سداً منيعاً أمام مطامع الدول الفاشستية في الشرق الأدنى (١) »

ورغم ان دعوة الحزب الشيوعي هذه لم تتجج لرغبة الأحزاب الأخرى عن التعاون معه فقد أعلن هذا الحزب رأيه بوجوب

(١) بيان للحزب نشر في جريدة القبس ١ - ٤ - ٣٩ .

دعم المساعي القائمة في باريس من أجل تصديق المعاهدة بنصوصها مع المحافظة على وحدة البلاد وحقوق سورية في امتياز البترول والبنك السوري ، وذلك في مذكرة ارسلها الحزب الشيوعي السوري الى الكتلة الوطنية مؤرخة في ١٢ كانون الأول ١٩٣٧ ، واقترح فيها على الكتلة ، أيضاً ، القيام باجتماعات مشتركة لتنوير الرأي العام وتأييد جهود رئيس الوزارة السورية ، وللقيام بحملات لارسال برقيات الى باريس بتأييد العهد الوطني والمطالبة بتصديق المعاهدة بنصوصها .

وعندما ثارت الاضطرابات التي اختلقها الفرنسيون في الجزيرة تهديم العهد الوطني ، اتصل الحزب الشيوعي بالكتلة الوطنية بمذكرة مؤرخة في ١٤ شباط ١٩٣٨ اقترح فيها العمل المشترك لاجباط المؤامرة ، وأوضح رأيه ان الوسيلة الوحيدة لاجباط مساعي الفرنسيين ، هي أن تعتمد الحكومة الوطنية بأسرع ما يمكن ، الى القيام بالاصلاحات الشعبية التي تسمح بها الصلاحيات التشريعية والتنفيذية التي تتمتع بها . وكرر الدعوة لتأليف لجنة مشتركة من الحزب الشيوعي والكتلة الوطنية لبيان المسؤوليات بصراحة ولتنوير الرأي العام السوري والفرنسي ، ولكن دون جدوى . وعند ما بدأت تتضح ملامح فشل تجربة التعاون والتحالف بنكول المتدينين عن مشروع المعاهدة ، عقد الحزب الشيوعي اجتماعاً في مقره في دمشق في ٢٦ كانون الأول ١٩٣٨ (١) احتج

(١) صوت الشعب ١ كانون الثاني ١٩٣٩ .

فيه على موقف الحكومة الفرنسية والاحزاب اليمينية المؤيدة لها ،
ونادى الخطباء « بتوحيد النضال بين القوى المخلصة في سورية
والشعب الفرنسي ضد اعدائها طغاة المستعمرين الفرنسيين » وهو
بذلك يرمي الى ان يخلق الصعوبات أمام الاحزاب اليمينية التي
عادت لتولي الحكم في فرنسا ، بعد سقوط حكومة الجبهة
الشعبية التي كان الحزب الشيوعي احد اركانها . حتى ان الحزب
الشيوعي السوري أيد في ٣ شباط ١٩٣٩ (١) مقررات المجلس
النيابي السوري السبعة ودعا حكومة الرئيس مردم لأن تتمسك
بالحكم وان تكون حازمة في الداخل والخارج وان تسعى لكسب
ثقة الشعب باطلاق الحريات واصدار تشريع للعمال . ولكن لما
تأملت الاحداث وظهرت خيبة الآمال بعد استقالة حكومة البخاري
اصدر الحزب بياناً في ١٧ أيار ١٩٣٩ استنكر فيه سياسة
التجزئة والارهاب .

مكافحة الفاشستية : وعندما احتدمت الأزمة الدولية في اوربا
واتسع نطاق الدعاية النازية والفاشستية في سوريا نظم الشيوعيون
في سورية ولبنان وانصارهم مؤتمراً لمكافحة الفاشستية في بيروت
في ٦ و ٧ أيار ١٩٣٩ (٢) شجبت فيه الفاشستية كقنوم وهوجمت

(١) صوت الشعب ١٢ شباط ١٩٣٩ .

(٢) مجلة الطلبة عدد خاص عن الفاشستية وخطورها على الاقطار
العربية أيار ١٩٣٩ الجزء الخامس السنة الخامسة .

دعائياتها في سورية ولبنان وأقر المؤتمر تقرير اللجنة التحضيرية الذي دعا الى الوقوف الى جانب الديمقراطية . وطالب « بالتعجيل بتصديق المعاهدتين السورية — الفرنسية واللبنانية — الفرنسية ، وتسوية مشكلة فلسطين بما يصون حقوق العرب المقدسة في ديارهم ويكفل سلباً وطمانينة للجميع في ذلك القطر المذب » .

وخطب خالد بكداش الأمين العام للحزب الشيوعي السوري اللبناني عارضاً برنامجاً لمكافحة الفاشستية يقوم على الأسس التالية :

١ — توطيد التحالف السوري الفرنسي واعادة الاستقرار الى بلادنا وتأمين حقوقنا الوطنية .

٢ — توحيد الصفوف الوطنية (ضمن الاتحاد الوطني المقترح) .

٣ — توثيق عرى التضامن بين الشعوب العربية وتأمين اتحادها مع الشعوب الديمقراطية في النرب لأجل الوقوف في وجه اخطار اكتساح فاشستي على الشرق العربي .

٤ — النضال في سبيل تحسين حالة الشعب ورفع مستواه باطلاق الحريات الديمقراطية ومحاربة البؤس والبطالة والجهل في المدن والقرى .

وقد القى مسؤولية تأخير تصديق التحالف بين سورية وفرنسا على « عملاء ايطاليا والمانيا الذين حاولوا دائماً ان يحولوا انظار الشعب السوري عن باريس ، ويوجهوا انظاره نحو روما وبرلين ، كما القى هذا المبع على الرجعية الاستعمارية الفرنسية المأخوذة بالدعاية النازية والفاشستية » .

وحمل في خطابه على الانفصاليين في الجزيرة وجبل الدروز
واللازقيين الذين قال عنهم بأنهم مستعدون للارتقاء في احضان
دولة اجنبية في سبيل تجزئة سورية ، وحفظ زعاماتهم
فقراء الفلاحين .

وختم ملخصاً وجهة نظر الحزب في ذلك الظرف بقوله
« ان الوضع الدولي وخطر الحرب ومطامع الدول الفاشستية ك
هذه الامور تجعل من مصلحة فرنسا وسورية معاً تصديق
المعاهدة بأسرع وقت ممكن » .

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية أيد الحزب تدابير السلطة
الفرنسية المتخذة في ظروف الحرب للحفاظ على الأمن ولتأمين
التموين ، ومع ذلك فان قراراً صدر في ٢٩ ايلول ١٩٣٩ بحل
الحزب الشيوعي في سورية ولبنان والمنظمات التابعة له وبمكافحته
نشاطه .

* * *

وهكذا رأينا في هذا الفصل ان الحياة الحزبية في الفترة
الواقعة بين ١٩٣٣ - ١٩٣٩ كان النشاط مبذولاً فيها لعقد
معاهدة مع فرنسا ، وقد سيطرت فيها الكتلة الوطنية منذ العام
١٩٣٥ على اكثرية الشعب واستفادت من تأييدها المطلق لعقد
معاهدة عام ١٩٣٦ ، ولكنها لم تحترم الرأي العام بل اتخذته
واسطة فقط ، ولم تصارحه بالحقائق ، فكان ان خدعها الاجنبي
واستغل تساهلها المشين ، وتنازلها لعقد اتفاقات اضافية كان

يكتسب فيها الصكوك لامتيازاته في البلاد . ومع ذلك فقد ظل يماطل الى ان اختار الوقت المناسب الذي كان فيه الشعب في حالة التفسخ والفوضى التي تضاربت فيها المصالح الخاصة للعودة بالبلاد القهقري .

وقد فقدت الكتلة الوطنية بعد هذه التجربة قوتها ، وافقدها تمسكها بالحكم واتباعها سياسة التسكين والتهدة ، طابعها النضالي ومكانتها الشعبية .

أما المعارضة البرلمانية والشعبية فقد كانت معارضة اختلطت فيها الخصومات الخاصة بالخلافات السياسية ، ولم ينجح الشهبندر في اختيار معاونيه لادارتها (١) ، فقد كانت بينهم بعض ذوي الاغراض والنفوس الضعيفة .

أما دور الاحزاب الاخرى فقد كان محدوداً في مجرى الحوادث وانتهت عصبة العمل القومي بانتهاء هذا الدور . أما الحزب السوري القومي فقد استمر نشاطه بفتور في الفترات التالية . واستطاع الحزب الشيوعي ان يمارس نشاطاً فعالاً .

وقد كانت استقالة الرئيس الاتاسي ايذاناً بانتهاء العهد الوطني ولم تثمر مساعي رئيس مجلس النواب فارس الخوري للمحافظة على الحياة الدستورية ومحاولة انقاذ البلاد من الحكم المباشر (٢) ،

(١) كرد علي ، المذكرات ٢ : ٤٤٧ .

(٢) خباز ، حداد : فارس الخوري : ٩٨ - ١٠٢ .

فقد سارع المفوض السامي الى اتخاذ القرار ، ١٤٤ ل. ر في
٨ تموز بناء على صلاحياته كممثل للانتداب الفرنسي ، بايقاف
تطبيق الدستور ، وحل المجلس النيابي وتأليف حكومة موظفين
من مديري مصالح الدولة برئاسة مدير الداخلية العام وبإشراف
المفوض السامي .



الفصل السابع

الحياة الحزبية بين ١٩٣٩ - ١٩٤٩

اجتازت الحياة الحزبية في هذا الدور مرحلتين الاولى بين ١٩٣٩ - ١٩٤٣ وفيها بقيت الحياة الحزبية مشغولة في البلاد ، ولم يسمع فيها الا صوت بعض رجال السياسة والاحزاب ، والمرحلة الثانية بدأت منذ العام ١٩٤٤ ، فظهرت المعارضة البرلمانية ، ونشأت بعض الاحزاب الاخرى .

أ - المرحلة الاولى (١٩٣٩ - ١٩٤٤) :

خضعت سورية خلال هذه المدة التي ساد فيها جو الحرب العالمية الثانية (الحكم العسكري الفرنسي المباشر) لحكم الظروف القاهرة ، واكرهت الاحزاب على الامتناع عن ممارسة النشاط الحزبي تحت طائلة القوانين العرفية ، الى ان احدث الفرنسيون تغييراً في شكل الحكم في ٢٧ ايلول ١٩٤١ عندما اعلن كاترو انتهاء الانتداب ، واستقلال سورية وسيادتها ، على ان يضمن ذلك بمعاهدة تقرر فيها نوع العلاقة بين سورية وفرنسا ، وفي عهد رئاسة تاج الدين الحسني ١٢ ايلول ١٩٤١ - ٢٥ آذار

١٩٤٣ تألفت ثلاث حكومات برئاسة حسن الحكيم وحسني البرازي وجميل الاشقي ، انتهت الأوليان منها بالاقالة ، بسبب خلاف رئيسها مع رئيس الجمهورية ، وقد اشترك في هذه الحكومات خليط من رجال الاحزاب السابقة التي قامت في فترة المعاهدة ، بعضهم من رجال الكتلة الوطنية ، والبعض الآخر من الجبهة الشعبية . . وبعد وفاة الحسني في ١٥ كانون الثاني ١٩٤٣ أعيد تطبيق الدستور في ٢٥ آذار وعين عطا الايوبي رئيساً للدولة والحكومة فألفت حكومة انتقالية للإشراف على الانتخابات .

خاض رجال الكتلة الوطنية ، بأشخاصهم لا على اساس حزبي الانتخابات في تموز واجتمع المجلس النيابي ولم يكن ممثلاً فيه أي حزب من الاحزاب . فانتخب شكري القوتلي في ١٧ آب رئيساً للجمهورية وهو احد اقطاب الكتلة السابقين . واستمر المجلس النيابي يمثل اشخاصاً منفردين الى عام ١٩٤٤ اذ بدأت تظهر بوادر المعارضة البرلمانية الى ان قامت الاحزاب السياسية في عام ١٩٤٦ .

أما في الفترة التي انعدم فيها النشاط الحزبي فقد حدثت حوادث هامة كانت ذيولاً للنشاط الحزبي في الفترة السابقة ، تمثلت في ما رافق اغتيال الدكتور عبد الرحمن الشهبندر من المناوشات الحزبية ، وفي مساعي شكري القوتلي لاعادة الاوضاع الدستورية .

حول مقتل الدكتور شمر :

فوجئ الناس بالحادثة في ٦ تموز ١٩٤٠ ، وهو أول حادث اغتيال سياسي في سورية ، وقد اعتبر مذبذباً من الكتلة الوطنية بسبب الخصومة السياسية انتقاماً لها ممن كان العامل الاول في تحطيمها (١) . وقد اتهم النائب العام لدى المجلس العدلي العسكري الذي انعقد في بناء المجلس النيابي للنظر في القضية ، في قرار الاتهام الصادر في ٢٦ تشرين الاول ١٩٤٠ اقطاب الكتلة الوطنية جميل مردم ولطفي الحفار وسعد الله الجابري بكونهم « حرضوا على ارتكاب الجريمة بواسطة مبلغ من المال والوعود والدسائس والحيل وبذلك اشتركوا في جريمة القتل عمداً » (٢) وجاء في القرار نفسه « ان المتهمين لم تكن غايتهم الوحيدة مقتل الدكتور شبندر فحسب بل كانوا يرمون من وراء ذلك الى ايقاد نار الفتنة بين الاحزاب ليتمكنوا بعدئذ من الوصول الى بغيتهم ، وهي نشوب اضطرابات تؤدي الى حرب اهلية » .

وقد اضطر رجال الكتلة الوطنية الى الفرار الى العراق ، واتخذت المحاكمة شكل مخاصمة حزبية ، فتولى محامو الجهة الشعبية الادعاء الشخصي ، وكلف الكتليون عدداً من أشهر

(١) كرد علي : المذكرات ٢ : ٤٤٢ .

(٢) راجع نص قرار الاتهام الصادر عن النيابة العامة مترجم الى

العربية في ٢٦ تشرين الاول ١٩٤٠ .

محامي لبنان بالدفاع عنهم . وشغلت البلاد والصحافة والرأي العام واتقسم الناس فيها فريقين ، ووقعت اصطدامات بين انصار الحزبين وتعرض محامو الكتلوين لاعتداء وقع عليهم في ٩ كانون الاول امام « الاوريان بالاس » واتهم محامو الدفاع رئيس مجلس المديرين بهيج الخطيب بتلفيق التهمة على موكلهم ، وانه كان يرمي بذلك الى القضاء على الكتلة الوطنية والقضاء على الروح الوطنية حتى تضمحل الاحزاب ويعتري البلاد الوهن ليظل هو على رأس الحكم . ثم طرأت على الحاكمة تبدلات مفاجئة قلبت الموقف رأساً على عقب عندما اعترف مرتكب الجريمة بأنه هو القاتل وانه ارغم على توقيع افادات باتهام رجال الكتلة الوطنية ، مما اضطر النائب العام الى تلاوة مرافعة ثانية في ٥ كانون الاول ١٩٤١ مؤكداً ان الجريمة كانت نتيجة نظرة دينية مزمته . ورفع الاتهام عن اقطاب الكتلة فعادوا من العراق في ١٨ كانون الثاني ١٩٤١ .

ظهور سُكري القوتلي :

كانت استقالة القوتلي من حكومة الكتلة الوطنية في ١٩٣٧ ، ووقوفه موقف المتطرف آنئذ امام الفرنسيين ، ثم نجوته مما اصاب الاقطاب الآخرين في قضية مقتل الشيندر ، مما مهد له ان يكون محور النشاط السياسي خلال الحرب . وكان قد بدأ مع بيو باتصالات لتسوية اوضاع البلاد في عام ١٩٤٠ ، انقطعت

عندما وقع حادث اغتيال الشهبندر ، وفي آذار ١٩٤١ نشر القوتلي بياناً طالب فيه بإعادة حقوق البلاد دون ممانعة أو تسويق ، فاستقبل الشعب هذا البيان بالاضراب مؤيداً .

وكان القوتلي يسعى لإعادة الاوضاع الشرعية كحد أدنى خلال فترة الحرب ، ولكن السلطة الفرنسية ، عمدت الى حل آخر ، فأنتهت حكم مجلس المديرين ، وتألفت حكومة برئاسة خالد العظم منحت سلطة التشريع بدون موافقة المفوض السامي ، لأول مرة في تاريخ الانتداب الفرنسي (١) . ولكن الشعب بقي مصراً على الاضراب الذي كان يفذي شدته سوء الاوضاع الاقتصادية بسبب الحرب . ولم ينته الاضراب الا عندما وجه القوتلي نداء طالباً حله .

وفي هذه الاثناء قام الأمير عبد الله ، يريد ان يهتبل فرصة الحرب لتحقيق مشروع سورية الكبرى برئاسته ، فاتصل ببعض رجال الكتلة الوطنية بدمشق ، ولكن الفرنسيين قطعوا هذه المحاولات ببيان انذروا فيه كل من يتعاون مع الانكليز في سبيل استعدادهم على الفرنسيين في سورية (٢) . وجرت حركة اعتقالات واسعة ، وفرضت الإقامة الجبرية على الكثيرين .

ودعا مندوب الجنرال ديفول ، الجنرال كاترو ، هاشم الاتاسي

(١) الحفار ، وجيه : الدستور والحكم : ١٨٦ .

٢ دروزة : ٢ : ٩٠ .

الى العودة الى منصب رئاسة الجمهورية ولكنه رفض لأنه قيد بعض الشروط ، فعين الشيخ تاج رئيساً وأيد هذا التعيين فيما بعد خمسون نائباً من المجلس المعطل (١) .

وكانت الكتلة الوطنية قد انقسمت على نفسها على أثر الاحداث السابقة ، فسمى شكري القوتلي للعمل على توحيد الآراء في جولة قام بها الى المدن السورية في أيار ١٩٤٣ استعداداً للانتخابات ، وقد خطب في حموز في دمشق داعياً الى نيل الحزبية ، والطائفية .

ولما فاز في الانتخابات رجال الكتلة الوطنية ، بالاكثرة الساحقة ، انتخب شكري القوتلي لرئاسة الجمهورية ، بعد ان رفض هاشم الاتاني ترشيح نفسه للرئاسة . وانتخب فارس الخوري لرئاسة المجلس النيابي . وألف سعد الله الجابري الوزارة ، والتي رئيس الجمهورية خطاباً قال فيه : ان اعادة الاوضاع الدستورية الى هذه البلاد ، ان هي الا مقدمة لتنفيذ شروط الاستقلال ، والتمتع بجزاياه (٢) . وقد اعتبر هذا الدور عودة لعهد الكتلة الوطنية بين ١٩٣٦ — ١٩٣٩ .

مجلس عام ١٩٤٣ : لما تقدم سعد الله الجابري ببيان حكومته الى مجلس النواب في ٢١ آب تلا بياناً قصيراً جاء فيه ان سياسة

(١) دروزة : حول الحركة العربية ٢ : ٩٣ .

(٢) مذاكرات المجلس النيابي سنة ١٩٤٣ ، ١٧ آب .

حكومته هي نفس ما جاء في خطاب « فخامة الرئيس الزعيم »
ونالت الحكومة الثقة باستنكاف النائبين رشدي كيخيا وناظم
القديسي وحدهما اللذين طالبا الحكومة ببيان واضح واصبحا محور
المعارضة البرلمانية حتى عام ١٩٤٩ .

وقد أقسم النواب على الاخلاص للدستور بعد حذف المادة
١١٦ منه .

ثم تلا ، في جلسة اخرى ، رئيس الوزراء بياناً لخص فيه
سياسة حكومته بأن « لا انتداب ، ولا معاهدة ، وان الصلاحيات
ستنتقل الى الحكومة السورية كاملة ، ولكن هناك ضرورات
للترث بسبب ظروف الحرب ، (١) .

وقد احرزت الحكومة نصراً قوياً بتوقيع اتفاق ٢١ كانون
الاول ١٩٤٣ بين الحكومتين السورية واللبنانية من جهة والجنرال
كاترو من جهة ثانية اتفق فيه على نقل الصلاحيات المشتركة الى
الحكومتين الوطنيتين مع حق الادارة والتشريع ، اعتباراً من
مطلع العام ١٩٤٤ (٢) واعتبر العمل من ثمرات جهود القوتلي (٣) .

ب - المرحلة الثانية (١٩٤٤ - ١٩٤٩) :

ظهور المعارضة البرلمانية : طالب بعض النواب « بايجاد »

(١) الجريدة الرسمية : مذاكرات مجلس النواب سنة ١٩٤٤ جلسة

١ كانون الاول .

(٢) نفس المصدر نص الاتفاق في جلسة ٢٣ كانون الاول ١٩٤٣ .

(٣) المصدر السابق .

فرقة معارضة في المجلس الى جانب الفريق المؤيد في ٥ تشرين الاول ١٩٤٤ ، ولكن لم تكن فكرة (ايجاد) المعارضة صحيحة عملياً ، فالمعارضة لا تنشأ انشاء ولكن تخلق بحكم الظروف .

وفي ١١ تشرين الثاني ١٩٤٤ فاجأ الجابري النواب وزملاءه الوزراء باستقالته من الحكومة بعد ان القى بياناً مطولاً صرح فيه ان الفرنسيين طالبوا بعقد معاهدة يعترف لهم فيها بمركز ممتاز في سورية ولكن الحكومة رفضت هذا العرض .

ولت هذه الاستقالة أزمة وزارية وظهرت التكتلات الشخصية التي برزت في انتخابات مكتب مجلس النواب ، فتنافس على رئاسته سعد الله الجابري ورشدي كيخيا فنال الاول ٦٧ صوتاً ونال الثاني ٣٣ صوتاً . وألقى رئيس المجلس كلمة ذكر فيها ، الحكومة الجديدة التي ألفها فارس الخوري في ١٤ تشرين الاول ، بواجبها تجاه « الوطن والأمة والرئيس » . فكان هذا التوجيه خطيراً على مستقبل البلاد ، بعد ان اصبح لقب الزعم الرئيس الذي أطلقه الجابري نفسه على القوتلي ، تقليداً ، مما أفضى الى تقوية نفوذ رئاسة الجمهورية على حساب سلطة مجلس النواب ، وأدى في النهاية الى اخطاء في الحكم ، وفي الحياة الدستورية .

وقد تعرضت حكومة فارس الخوري في مجلس النواب لمعارضة قوية من النواب على اختلاف نزعاتهم (١) . فأوضح النائب صبري العسلي سعة

(١) انظر مذاكرات مجلس النواب جلسة ٢٦ تشرين الاول ١٩٤٤

الهوة بين الحكومة والشعب بقوله « ان الناس يشكون البطء ،
وقلة الدقة وعدم المبالاة وان اكثر الناس ، لا يفقهون من
الحكومة الا انها اداة جباية في غير عدل واداة اتفاق في
غير حق » .

ظهور الكتل البرلمانية :

وقد اعلن النائب المعارض هاني السباعي بصراحة ان المجلس
فرقة واحدة في تأمين الاستقلال التام وفي السياسة الخارجية
« ولكنه في الحقيقة فرقان في بقية الشؤون فقط واختلافنا في
الشؤون الداخلية لا يؤدي الى وقف الاعمال وعرقلتها بل يؤدي
الى اصلاح الحالة الداخلية ، فنحن بهذه الصفة نراقب اعمال
الحكومة مراقبة دقيقة ونتمنى ان لا ننجذ في اعمالها ابدأ
ما يستوجب الانتقاد او المعارضة » . وفسر النائب عدنان الاتاسي
ما تطلبه الكتلة النيابية المعارضة بأنه « احداث انقلاب تام ينقذ
البلاذ من المفسد التي تتخبط فيها من الناحية الدستورية
والادارية » .

وقد أعلن فارس الخوري سياسة حكومته بأنها « عدم
الارتباط بأي عهد او ميثاق او اتفاق يحل او ينقص من
استقلالنا الحقيقي التام اسوة بكل دولة تتمتع بهذا الاستقلال ،
وقد نالت وزارته الثقة باستئناف اربعة نواب هم اكرم الخوراني
ورئيس الملقى وقاسم الهندي وعلي هارون .

ولم تكن وزارة فارس الخوري حزبية وإن كانت بأكثريتها
مؤلفة ممن كانوا في الكتلة الوطنية . كذلك لم تبين حتى الآن
الفئات البرلمانية بصورة واضحة .

خطاب رئيس الجمهورية في مجلس النواب في ٢٦ شباط :

ألقى رئيس الجمهورية هذا الخطاب (١) بعد عودته من رحلته
إلى الحجاز ومصر واجتماعه ببعض اقطاب الحلفاء . وقد استعرض
فيه أهم الاحداث الدولية وموقف سورية منها ، واعلن ثقته
بأن الاستقلال بات مضموناً ، وعارض مشروع سورية الكبرى
الذي أثاره الأمير عبد الله مجدداً . ولكن ظهرت في هذا
الخطاب بادرة تفيد معنى الاتجاه الى المفاوضة مع الفرنسيين واقامة
صلات معهم « تقتضيها طبيعة الحياة الدولية من تجارية واقتصادية
وثقافية ورعاية مؤسسات خاصة وغير ذلك من الامور » . وقد
شعر رئيس الجمهورية بخطورة هذا التصريح الذي لم ينتظر النواب
صدوره فأضاف « ولا يساور احد الشك في انه يجري تساهل
ما بحقوق البلاد أو ان يعس استقلالها ، فلا رجحان ولا مراكز
ممتازة ، وما يمكن ان يعقد بيننا وبين فرانس يمكن ان يعقد
مثله مع امريكا مثلاً وغيرها من الدول الحليفة دون ان يكون
هناك ما يعس استقلالنا » .

وقد كان رد نواب المعارضة على هذا البيان رداً عنيفاً فقد

(١) راجع نص الخطاب في مذاكرات المجلس النيابي ١٩٤٥ .

طالب بعضهم في جلسة ٢٨ آذار ١٩٤٥ بإطلاق الحرية أمام الشعب والصحافة والهيئات السياسية للأفصاح عن رأيهم بمشروع سورية الكبرى ، وعدم جواز انفراد البعض بحق ابداء الرأي بالقبول او الرفض . وحمل النواب رئيس الحكومة مسؤولية ما جاء في خطاب رئيس الجمهورية ، الذي تصرف تصرفاً مغالفاً لأحكام الدستور ، الذي يعتبر الرئيس غير مسؤول .

واوضح النائب حلمي الاتابي موقف الشعب من الحكومة « بمختلف رئاساتها » وسلطاتها بقوله انه « اوشك ان يكون ما بينها شبيهاً بالفراق او الطلاق » وتساءل عن « هذه المناشير المختلفة الماثورة في كل يوم بالالوف بين أيدي الخلق » وقال انها نتيجة طبيعية لازمة لتقييد الحريات وخنق الاصوات عن طريق رقابة « تجمع بين الغباوة والشدة » .

وقد استقالت حكومة فارس الخوري على أثر هذا الهجوم متذرة بأن البلاد دخلت في مرحلة جديدة تقتضي ان تغير حكومتها ، بعد ان دعت الى مؤتمر سان فرانسيسكو . ولكن فارس الخوري أعاد تأليف وزارته في ٧ نيسان وتقدم ببرنامجه وزارى مفصل الى المجلس النيابي جاء فيه :

« انه يقتضي ان يرافق الوضع الجديد ضرورة قيام احزاب سياسية في المجلس لها مناهج مكتوبة ، معروفة الاشخاص والقيادة والعدد ، مسجلة لدى مكتب المجلس على الاصول الديمقراطية ، ولا خشية من ذلك اذا كانت متضامنة في السياسة

الخارجية ومختلفة في مناهج السياسة الداخلية ، وصرح ان العلاقات مع فرنسا قد تمت تصفيتها بصورة نهائية وانه لم يبق من الامور التي لم يتفق عليها الا مسألة استلام الجيش وتبادل التمثيل الدبلوماسي .

ولكن الحكومة لم تنل الثقة الا تسهلاً لمهمتها في مؤتمر سان فرانسيسكو وقد خجبت عنها الجوراني والهندي واستنكف رشدي كخنيا وعقيف الصلح .

ولما تأزمت الامور بين الجانب الفرنسي والجانب السوري وبدأت المصادمات الدموية في شوارع العاصمة أقر مجلس النواب عدة قوانين لم يكن لها الا قيمة رمزية ومعنوية منها تشكيلات الدفاع الوطني ، ودعوة المواطنين القادرين على حمل السلاح الى تسجيل أنفسهم . وأطلعت الحكومة المجلس النيابي على شروط الفرنسيين التي تقدموا بها في ١٨ أيار وهي انهم يعترفون باستقلال سورية ، ويوافقون على تسليم الجيش السوري ولكن على ان يبقى تحت القيادة الفرنسية العليا ، وعلى ان تؤمن مصالح فرانس الجهورية ، في سورية ولبنان باتفاق ثقافي ، واقتصادي واستراتيجي وان يسمح لها باقامة قواعد عسكرية ، كما اطلع وزير الخارجية المجلس على مذكرة الحكومة الجوابية المؤرخة في ٢٠ منه برفض هذه المذكرة وطلب تسليم الجيش (١) .

(١) راجع مذكرات المجلس النيابي أيار ١٩٤٥ .

وقد أصدر مجلس النواب على الأثر قانوناً لحماية الاستقلال في ٢٦ أيار اقترحه اكرم الخوراني ، لحفظ وحدة الوطن ومعاقة مثيري النعرات الدينية او الطائفية او العنصرية او الاقليمية او التجسس بأية وسيلة كانت .

وبعد حوادث العدوان الفرنسي في ٢٩ أيار ، عادت حكومة فارس الخوري لتواجه المجلس في ٢٠ آب ١٩٤٥ فتعرضت لنقد شديد لم يستطع رئيس الوزارة تلافيه بقوله : « لا تكونوا جميعاً من ملائكة اليسار الذين يسجلون السيئة ثم لا يظهر احد من ملائكة اليمين الذين يسجلون الحسنة ، فقد اضطر الى تقديم استقالته في ٤٢ آب على اثر تلاوة تقرير وقعه اثنان وخمسون نائباً بسحب الثقة من الحكومة ، وكانت الحكومة قد عرضت على المجلس مشروع قانون باستلام الجيش ، وتأمين نفقاته ، وقد ورد في العريضة « ... فاننا لا نسعد ان نوافق على ما ورد في هذا المشروع من اعطاء الصلاحية الواسعة الواردة في مواد هذا القانون والتفويض بصرف هذه الملايين الا بعد ان تتقدم امام المجلس حكومة تتمتع بثقته » .

وقد كانت غاية هذا التقرير قاب الحكومة لوجود جميل مردم فيها كوزير للدفاع .

وزارة فارس الخوري الثالثة وظهور الكلمة الدستورية :

أدى التقرير المذكور الى استقالة الوزارة ، وأعاد فارس الخوري تأليف الوزارة للمرة الثالثة ، ولم يترك فيها جميل مردم

الذي كان في الوزارة السابقة وزيراً للخارجية والدفاع .
ولما تلا رئيس الوزارة بيانه في المجلس النيابي في ٢٨ آب
صرح انه فشل في تأليف وزارة تجمع الفرقين الكبيرتين في
المجلس ، وأعلن حرصه على التعاون بين السلطين التشريعية والتنفيذية
وحماية الاستقلال . ولكن الحكومة تعرضت لأعنف هجوم برلماني
واجهته وزارة سورية حتى ذلك الوقت تركّز حول النواحي
الداخلية والدستورية والخارجية .

وقد اخرج احد النواب رئيس الحكومة عندما أُلح عليه في
التصريح عن موعد جلاء الفرنسيين فاضطر الرئيس الى الاجابة
بأنه لا يعرف متى سيتم ذلك وانه لا يستطيع ان يقرر بمفرده
هذا الأمر . واجاب على سؤال آخر بأن خطة الحكومة في
العمل لاعادة لواء الاسكندرون هي خطة ساهية « فنحن لا نقصد
ان نجعل من هذه القضية بيننا وبين تركيا مثارا للاخلال بالسلم
الدولي » (١) . واعتبر النواب تأليف الوزارة من ثمانية وزراء
مخالفة دستورية طالما ان الدستور ينص على ان عدد الوزراء لا
يجوز ان يزيد عن سبعة ، فاضطر احد الوزراء احمد الشرباتي
الى الاستقالة لتلافي الموقف .

ولم يوفر النواب على الحكومة الانتقاد في اية ناحية من
النواحي . وكانت كلمة النائب رثيف الملقى معبرة عن اتجاه المعارضة

(١) راجع مذكرات المجلس النيابي سنة ١٩٤٥ جلسة ٢٨ آب .

ومراميتها آنشد فقال : « لقد نص الدستور على ان لرئيس المجلس
النيابي الصفة التشريعية المحضة ، والمسؤول الوحيد هو رئيس
الحكومة والوزراء ... ان ما نراه ونؤكدده هو ان هناك يداً
خفية تدير الحكومة في اكثر الاحيان وتسوقها الى اخطاء لو
تركت لنفسها لما وقعت فيها » وهو يشير بذلك الى تدخل رئيس
الجمهورية في شؤون السلطة والتشريع وأضاف : « اننا لا نعطي
ثقتنا لوزراء تعاونوا مع الاجنبي في العهد الماضي » وبعد نقاش
دام ثلاث جلسات اجلت ، واستؤنفت عدة مرات نالت وزارة الخوري
الثقة بأكثرية ٥٢ صوتاً مقابل ٢٩ صوتاً واستنكاف خمسة نواب .
وفي هذه الجلسة نشأت الكتلة المعارضة في مجلس عام ١٩٤٣
باسم الكتلة القومية اولاً ثم **الكتلة الدستورية** مقابل الكتلة الأخرى
المؤيدة للحكومة وهي التي عرفت باسمها القديم **الكتلة الوطنية** .
ولم يكن لكلا الكتلتين برنامج مكتوب واضح ولا عدد
معروف ولا يمكن للمرء تمييز اشخاصها بسهولة .
واستمرت المعارضة على الاسلوب السابق حتى تقدمت حكومة
سعد الله الجابري في ٥٢ نيسان ١٩٤٦ باستقالتها وألف الجابري
وزارة جديدة ، اصدرت ، مستفيدة من الصلاحيات التشريعية
الممنوحة لها ، مرسوماً برقم (٥٠) في تشرين الاول ١٩٤٦
أثار ضجة كبيرة في اوساط الشعب باعتباره انه يحد من الحريات
التي كفلها الدستور للمواطنين ، ويجعل وزير الداخلية يتصرف
بحرية الرأي والصحافة ، ومراقبة نشاط الاحزاب ، فاضطر

المجلس النيابي أمام ضغط الرأي العام الذي قابله بمظاهرات صاحبة الى رد المرسوم ، بقانون اصدره في ١٤ تشرين الثاني ١٩٤٦ ، ولم تلبث الوزارة ان استقالت في أواخر كانون الاول وألف جميل مردم حكومة جديدة ، اشترك فيها لأول مرة نائب من الكتلة الدستورية هو عدنان الآتاني .

وفي عهد هذه الحكومة خاض الشعب معركة ثانية من معارك الحرية الدستورية فاضطرت حكومة جميل مردم « عن غير قناعة » (١) وبضغط المعارضة الحاسية والشعبية الى اقرار مبدأ الانتخاب المباشر في ٢١ نيسان ١٩٤٧ .

انتخابات ١٩٤٧ : ثم جرت هذه الانتخابات في تموز ١٩٤٧ في جو مشبع بالضغط ، واستخدمت الحكومة لتأييد مرشحيها ومؤيديها جميع وسائل الضغط التي كانت بحوزتها ، وهزأت بسرية الاقتراع وتلاعبت في فرز الاصوات ، وقد جرت حوادث التزوير في دمشق والغوطة بشكل لا يتفق مع واجبات حكومة عايتها ان ترعى حقوق الشعب الدستورية والاجتماعية . فان من يطالع على الصحف الصادرة في ١٧ تموز ١٩٤٧ يدرك ان الشعب الذي ارغم الحاكمين على الاعتراف بساطانته لاقرار مبدأ الانتخاب المباشر كان عاياه أن يخوض معارك اخرى ليحفظ هذا الحق من الاعتداء ولم يكن ما حدث في الاقضية دون ما حدث في العاصمة ،

(١) كبحالة ، ذكريات نائب ١٤ دمشق ١٩٥٠ .

وقد كان لهذه الانتخابات التي اسفرت عن نجاح أغلبية كبيرة تؤيد الحكومة القائمة ، ذبول وترتب عليها نتائج هامة في تاريخ البلاد .

ج - مجلس عام ١٩٤٧ :

اجتمع هذا المجلس في ٢٧ ايلول ١٩٤٧ وصدقت الانتخابات كما هي دون الالتفات الى الطعون التي وجهها المرشحون غير الفائزين (١) . وقد اتضح ان هذه الانتخابات كانت مدبرة لاحداث أمر خطير هو :

تعديل الدستور : تقدمت الحكومة بمشروع لتعديل بعض مواد الدستور ليتسنى اعادة انتخاب الرئيس القائم على الحكم رئيساً للجمهورية للمرة الثانية ، بعد ان كانت مدته آذنت بالانتهاء وكذلك ليتمكن تأليف الوزارة دون تحديد لعدد افرادها . ولكن مشروع التعديل لم يتعرض الى النقاط الجوهرية التي كان من الواجب تعديلها في بدء العهد الاستقلالي ، وهي المواد التي عدلها المفوض السامي عندما نشر الدستور في سنة ١٩٣٠ ، وانهتقص فيها من حقوق البلاد الطبيعية وسيادتها . اما طريقة التعديل فقد كانت طريقة استهتر فيها بالطرق الدستورية المعتبرة ، ولم يفسح

(١) راجع مذكرة الطعون التي قدمها المرشحون عن دمشق غير الفائزين في انتخابات تموز ١٩٤٧ .

فيها المجال للمواطنين والصحافة والنواب المعارضين بالاعراب عن موقفهم بصراحة .

ولكن مشروع الحكومة نجح بطبيعة الحال واعيد انتخاب القوتلي رئيساً للجمهورية للمرة الثانية في ١٠ نيسان ١٩٤٨ .

الحزب في مجلس عام ١٩٤٧ :

لم يكن في هذا المجلس المؤلف من مئة وأربعة عشر نائباً احزاب بالمعنى الصحيح ، ولكن تألفت فيه تكتلات جمعت ما بين اعضائها الصداقة والاقليمية والمصالح المتوافقة ، وظهر بادی الامر حزبان هما : الحزب الوطني ، وحزب الشعب ، ثم ظهرت فيما بعد الكتلة الجمهورية .

أما الحزب الوطني فقد قام على انقراض الكتلة الوطنية

السابقة بعد ان تصدعت اركانها ، فقد حاول بعض رجالها الذين

شاهدوا انقراض عقدها تمد انشقاق الكثيرين عنها ، ان يجددوا

فيها بمظهر جديد فدعوا الى مؤتمر عقد في شهر نيسان ١٩٤٧

في دمشق انشق عنه الحزب الوطني واختير لولاسته سعد الله

الجاربي ثم خلفه بعد وفاته نبيه العظمه ولكن هذا ما لبث حتى

استقال عام ١٩٤٨ . فأسندت الرئاسة الى الدكتور عبدالرحمن الكيالي

والامانة العامة الى صبري العسلي .

أما منهاجه فهو يؤكّد من الناحية القومية وحدة الامة العربية

ويقول بالاسمي لتحريرها ويعتبر الجامعة العربية مؤسسة قومية

سعد الله
نبيه العظمه
الجاربي

يعلق عليها اكبر الآمال ويعتبر الصهيونية حركة عدائية خطيرة على الكيان العربي .

وهو يبني سياسته الخارجية على اساس اقامة الصلات الودية مع الدول الاجنبية على مبدأ المساواة والمصالح المتقابلة .

والحزب الوطني يناادي « بالمحافظة على استقلال سورية مطلقاً سليماً والذود عنه بجميع الوسائل » . ويرمي في السياسة الداخلية الى « رعاية الدستور وتطبيق القوانين » ولكنه عندما عمل على اعادة النظر في الدستور لم يكن ذلك « لكي يأتي منطبقاً مع حاجات الامة في العهد الاستقلالي الانشائي .. » كما جاء في المادة الحادية عشر من منهاجته ، ولكن في سبيل اعادة انتخاب رئيس الجمهورية آنئذ .

وينص برنامج الحزب أيضاً على ضرورة « تنسيق قوى البلاد المختلفة في جميع نواحي حياتها العامة وتوجيهها في سياسة انشائية تقوم على خطة شاملة منظمة تكفل تطورها الرفيع وترمي الى رفع مستواها من جميع الوجوه وتحقيق العدل الاجتماعي فيها » . أما فيما يتعلق بالناحية الاقتصادية والمالية فالحزب الوطني يقول بضرورة استثمار مرافق البلاد وزيادة انتاجها ولا يرى مانعاً من الاستفادة من رأس المال الاجنبي والخبرة الاجنبية « بتعويض لا يمس المصلحة العربية ولا يخل باستقلال الوطن وتقدمه الطليق من المؤثرات الاجنبية » .

وفي الوقت نفسه يأخذ الحزب بفكرة السياسة الاقتصادية

الموجهة وحماية الصناعات الوطنية خصوصاً في طور تكوينها الى ان تصبح قادرة على المنافسة الحرة .

وقد كان لرجال الحزب الوطني دور كبير في حياة البلاد السياسية ، وقد تمتع بتأييد الصناعيين وكبار رجال التجار والملاكين ، وكانت له فروع وشعب في بعض المحافظات ، وهو يعتمد بالدرجة الأولى على الوجهاء والافراد الذين تربطهم برجاله روابط تعود الى عهد الكتلة الوطنية . وصلته بالشعب صلة على الاكثر شخصية لا حزبية ، وهو لم يسع الى تحقيق برنامجة إلا عن طريق الحكم ، ولكن حرصه على تولي الحكم كان من اكبر لانصراف الناس عنه (١) . وتطلعهم الى الاحزاب الاخرى .

حزب الشعب :

ومن جهة ثانية اجتمع نواب الكتلة الدستورية ومؤيدوها في مؤتمر في لبنان عام ١٩٤٨ انبثق عنه حزب الشعب . كان مؤسسو هذا الحزب كمؤسسي الحزب الوطني من أعضاء الكتلة الوطنية السابقة . وقد انقسموا عن الكتلة عام ١٩٣٩ على أثر الحوادث التي مرت في ذلك العام .

وقد أقر برنامج حزب الشعب بوحدة الأمة العربية ونص على السعي لتحقيق الوحدة العربية ، اما عن طريق اتحاد دولي بين البلاد العربية جميعاً ، والثاني اتخاذ الجامعة العربية كوسيلة

(١) كرد علي ، محمد : المذكرات ٣ : ٩٠٤ طبع ودقق ١٩٥١ .

تتمهيد الطريق للاتحاد بتمكين اواصر الروابط بين البلاد العربية في جميع النواحي الاقتصادية والثقافية والسياسية ، كما ينص البرنامج على ان فلسطين « كلها » هي جزء من الوطن العربي وعلى العمل على مقاومة النفوذ الاجنبي في البلاد العربية .

وفي الميدان الدولي يرى ان تسير سياسة سورية الخارجية على أساس المصلحة المتقابلة ، وعدم تفضيل واحدة على اخرى إلا بالقدر- الذي تقتضيه المصلحة القومية .

ويلج الحزب في السياسة الداخلية على تحقيق شرط التوازن بين السلطات لتوطيد النظام الجمهوري والحكم الشعبي ، ويرى ضرورة تعديل دستور عام ١٩٣٠ « تعديلاً جوهرياً يحقق سيادة الأمة وسلطانها ، وسلامة مبدأ فصل السلطات من طغيان احداها على الأخرى ومسايرة التطور ضمن حدود النظام النيابي » ولكنه هو بدوره أيد تعديل الدستور لاعادة انتخاب رئيس الجمهورية ، مقرأ مشروع الحكومة آنذاك في هذا الصدد ، رغم انه كان الحزب البرلماني الذي يمثل المعارضة ، المؤثرة بتأييد نسبة كبرى من الشعب . ويتضمن منهاج الحزب فصلاً مستفيضاً عن السياسة الاجتماعية يرمي الى العمل على رفع سوية المواطنين ، ويؤيد فيه الحركة النقابية العمالية ويطالب بوضع تشريع لضمان حقوق الفلاح .

وبينما يذهب الحزب الوطني الى العناية بالناحية الصناعية في منهاجه لاعتماده على تأييد رجال الصناعة ، يميل حزب الشعب الى اعتبار الزراعة أساس الحياة الاقتصادية ويضع بنوداً لتحديد الملكية

في المستقبل أي دون أن يكون لذلك مفعول رجعي .
ويلاحظ في برنامج الحزب اتجاه معتدل نحو الاشتراكية فهو
يقر مبدأ التأميم ، ويهتم بالتشريع الاجتماعي . وان دستور ٥ ايلول
١٩٥٠ الذي سنته الجمعية التأسيسية المؤلفة اكثريتها من حزب
الشعب تعبر تقريباً عن مبادئ برنامج هذا الحزب .
أما رئيس الحزب فهو رشدي كيخيا ومن اقطابه الدكتور
ناظم انقدي والدكتور عبد الوهاب حومد والدكتور معروف
الدواليبي . وفي الحزب عناصر محافظة من الملاكين اصحاب
الأموال كما ان فيه عناصر تقدمية معتدلة من المثقفين .
ومع ذلك فهو حزب له برنامج للحكم وليس له عقيدة او
فلسفة او فكرة عامة ، وليس له نشاط شعبي فنشاطه محصور في
داخل البرلمان ويشهد ايام الانتخابات النيابية . وقد سلك مسلك
المعارضة منذ اواخر عام ١٩٤٤ منذ عهد الكتلة الدستورية وكان
عدد نوابه في مجلس ١٩٤٧ ثلاثين نائباً .

الكتلة الجمهورية :

ظل جميل مردم بك على رأس اطول مدة من حياة هذا
المجلس ، وقد تمكن من ذلك بجمعه النواب المنفردين في كتلة
نيابية سماها الكتلة الجمهورية ضمت نواب الاقضية والمدن الصغيرة
كان عددها اربعين نائباً تقريباً .

ومهما يكن فانه يلاحظ في هذه الكتلة جميعاً عدم الانضباط

الحزبي ، وكان يلاحظ عدم اتفاق رأي اعضاء الكتلة الواحدة على المشاريع المعروضة . وقد جرت محاولات ائتلاف بين كتلتي الحزب الوطني وحزب الشعب لتولي الحكم ولكنها لم تنجح (١) . وقد ظلت حكومة مردم على رأس الحكم في اثناء ازمة فلسطين وقامت في عهدها المظاهرات الشعبية الصاخبة في دمشق والمدن السورية الأخرى ، ولجأ رئيس الوزارة الى تسليم الادارة العرفية للجيش واضطر الى الاستقالة بعد ان وقع في المظاهرات الشعبية الصاخبة عدد من القتلى في تشرين الأول ١٩٤٨ . وقد حدثت على اثر ذلك ازمة وزارية لم تحل بسهولة ، الى ان ألف خالد العظم وزارة من عناصر مختلطة من المستقلين والحزب الوطني ، ومؤيدي القصر ، لم تلبث مدة قصيرة حتى وقع الانقلاب العسكري في ٣٠ آذار ١٩٤٩ وتسلم الجيش مهام الحكم وابتعدت الاحزاب عن الحياة السياسية العلنية في البلاد .

د - الاحزاب غير البرلمانية:

هذا فيما يتعلق بالكتل البرلمانية ولكن هناك احزاب نشأت في هذه الفترة لم تتوصل الى المجلس النيابي ، لا بد من الاطلاع على دورها في هذه الفترة للاطلاع على تطور الحياة الحزبية : - وهي الحزب السوري القومي الاجتماعي ، وحزب البعث العربي

(١) كحالة :- ذكريات نائب ص ١٨٤ .

والحزب التعاوني الاشتراكي ، والحزب الشيوعي ، وجماعة
الاخوان المسلمين .

الحزب السوري القومي :

تعرض هذا الحزب الذي تكلمنا عنه في الفصول السابقة ،
في هذه الفترة الى هزات في صفوفه الداخلية مبعتها انفراد المجلس
الاعلى للحزب الذي اوكل اليه امر الاشراف عليه خلال غياب
زعيمه بتقرير امور اعتبرها سعادة فيما بعد منافية للاتجاه الفكري
للحزب وأدت الى حركة تطهير واسعة في صفوفه .

ويتضح موقف زعيم الحزب من الاحداث في تلك الفترة في
بيان وجهه في حزيران ١٩٤٠ من الارجتين^(١) ، نبه الى خطورة
دور الجيش في تقرير مصير الامة ، وصرح بأن الحزب « لا
ينتصر لفريق محارب ضد فريق آخر » .

وعلق احد احد المسؤولين في الحزب على تصريح كاترو في
صيف عام ١٩٤١ باعلان الاستقلال طالباً من السلطة ، ان تفسح
مجال العمل الحر^(٢) » للحزب بعد ان روقب نشاطه في عهد
الفيشيين ، لاثامه بالعمل مع دول المحور .

(١) راجع نص الخطاب في النشرة الرسمية للحركة القومية
الاجتماعية ٣٠ مارس ١٩٤٨ .

(٢) راجع نص المقال في كتاب البعث القومي ١٥٨ - ١٥٩ : -
فائز صائغ بيروت ١٩٤٦ .

الحزب السوري القومي الاجتماعي وعودة زعيمه : عاد سعادة
في ٢ آذار ١٩٤٧ ، وألقى فور عودته في مطار بيروت في
حشد كبير أقامه الحزب لاستقباله ، خطاباً خطيراً حدد فيه
اتجاهات الحزب المقبلة .

وقد أكد فيه احترام كيان لبنان السياسي ، وتحدث عن
الجامعة العربية فاعتبرها « تحقيقاً لما نادى به الحزب السوري
القومي الاجتماعي » ، وأضاف « نحن اصحاب العروبة الحقيقيين
وغيرنا اصحاب العروبة الباطلة . . . فنحن جبهة العالم العربي
ونحن صدره ونحن سيفه ونحن ترسه . . . » ، وأعلن في خطابه
هذا عن فلسفة جديدة للحزب هي الفلسفة المدرحية التي لا تقول
بالمادية وحدها كالماركسية ولا بالروح وحدها وقدمها كفلسفة
جديدة ، اعتقد انها تصلح أسسها لكل مجتمع .

وقد تلا هذا الخطاب مشادة بين الحزب والحكومة اللبنانية
واضطر سعادة الى التواري عن الانظار الى ان استردت الحكومة
مذكرة التوقيف في ٩ تشرين الاول .

وكانت قد احدثت في مبادئ الحزب تعديلات هامة في
ثلاثه مبادئ اساسية ، شملت تعديل الحدود حتى ضمت « سورية
القومية الاجتماعية » باقي العراق ، أي ما وراء دجلة ، وجزيرة
قبرص ايضاً . كما عدلت مبادئ اخرى للملاءمة مع الفلسفة
الاجتماعية التي كانت قد تكاملت لدى سعادة في غيته

الطويلة (١) . ويمكن اجمال غاية الحزب بعد التعديلات في
الفقرة التالية :

« ان غاية الحزب السوري القومي الاجتماعي هي قضية شاملة
تتناول الحياة القومية من اساسها ومن جميع وجوها ، انها غاية
تشمل جميع قضايا المجتمع القومي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية
والروحية والمذاقية واغراض الحياة الكبرى ، فهي تحيط بالمثل
العليا القومية ، وبالغرض من الاستقلال وبانشاء مجتمع قومي
صحيح ، وينطوي تحت ذلك تأسيس عقلية اخلاقية جديدة ووضع
اساس مناهجي جديد وهو ما تشتمل عليه مبادئ الحزب السوري
القومي الاجتماعي الاساسية والاصلاحية التي تكون قضية ، ونظرة
الى الحياة كاملة أي فلسفة كاملة » (٢) .

ومنذ العام ١٩٤٦ اصبح الحزب يعرف باسم السوري القومي
الاجتماعي ، ونتيجة لهذه التعديلات المذكورة تفصح سعادة كتابه
« نشوء الأمم » ، وعدله تعديلات قصد منها الى ادخال العراق
في حدود « الوطن السوري القومي » ، وقد عقد الاستاذ ساطع
الحصري مقارنة بين الطبعتين استخرج فيها هذه التعديلات
بوضوح (٣) . وأدت هذه التعديلات الى اخراج عدد من

(١) للمقارنة راجع مبادئ الحزب ١٩٣٦ ومبادئ الحزب في
كتاب التعاليم السورية القومية الاجتماعية وكلاهما مشروح بقلم سعادة .

(٢) سعادة : المحاضرات العشر : ١٥٠ .

(٣) الحصري ، ساطع : العروبة بين دعائها ومعارضها ١١٥-١١٨ .

المسؤولين من صفوف الحزب ، بينهم فايز صايغ عميد الثقافة والاذاعة الذي اعتبر تصرف سعادة بمبادئ الحزب تعدياً على صلاحياته المحددة في دستور الحزب واعتبر صايغ الحزب السوري القومي الاجتماعي « حزباً مستجداً وبين وجهة نظره في كتاب صدره عام ١٩٤٧ (١) . بينما كان رد الحزب هو ان : المطرودين ، كانوا يستغلون قوة الحزب لمصالحهم الخصوصية ، ويؤيدون الافكار الفردية (٢) . ويلاحظ في هذه الحادثة شدة الضغط الفكري الذي كان يمارسه الحزب على اعضائه فوق الضغط الاداري الحزبي الواضح .

وبعد هذه الاجداث الداخلية في صفوف الحزب ألف سعادة لجنة للنقد العقائدي التي كانت مهمتها الحقيقية مراقبة الفكر داخل الحزب ، وصدرت مجلة باسم النظام الجديد في بيروت ، ومجلة توجيهية مركزية ، وأسس ندوة ثقافية القى فيها عدداً من المحاضرات عام ١٩٤٨ . ونشر في صحف بيروت عدة مقالات منها مقال بعنوان « العروبة أفلست » تهكم فيها على العروبة والفاثلين بها .

- (١) صايغ فايز : الى أين ؟ بحث تحليلي في موقف الحزب السوري القومي الاجتماعي من الفكر والدين وحريةها بيروت ١٩٤٧ .
- (٢) انظر النشرة الرسمية للحركة القومية الاجتماعية المجلد ٣ العدد ١٠ ، ١٥ تشرين الثاني ١٩٤٧ والمجلد الثاني العدد الاول ١ كانون الثاني ١٩٤٧ .

ولم يكن الحزب مرخصاً له في سورية ولم يكن له ممثلين في المجلس النيابي . وقد اراد ان يكتسب الترخيص للحزب بالعمل العلني فأيد بادئ الأمر إعادة انتخاب شكري القوتلي لرئاسة الجمهورية ولكنه عدل عن هذه الخطوة لما اتضح له ان الحزب لن يكسب شيئاً من هذا التأييد (١) .

وأما فيما يتعلق بفلسطين فقد ظل الحزب يعتقد ان أية معالجة لمسألة فلسطين على غير الاساس السوري القومي الاجتماعي هي معالجة خاطئة . وقد اراد زعيم الحزب ان يشترك حزبه في معركة فلسطين معتقداً ان بإمكانه تقرير مصيرها . واذاع على اعضاء الحزب انه وضع في هدوء خطة المعركة (٢) !

واستمر نشاط الحزب على هذا الشكل الى ان اعدم زعيمه في بيروت فجأة على اثر حركة عصيان مسلح قام بها الحزب في لبنان لقلب الحكم ، وذلك في ٨ تموز ١٩٤٩ .

حزب البعث العربي :

لم يكن في هذا الحزب شيء جديد في عقيدته القومية كالحزب الآنف الذكر ، بل كان حزباً قومياً عربياً له مبادئه

(١) النشرة الرسمية للحركة القومية الاجتماعية المجلد الاول العدد

الثاني ١ كانون الاول ١٩٤٧ .

(٢) نفس المصدر العدد الاول المجلد الاول ١٥ تشرين الثاني ١٩٤٧

ومبذاته ووسائله . وكان أوسع منظمة قومية عربية شعبية ظهرت حتى الآن في سورية .

وقد لأمر بادئاً امر في مرحلة النشوء الطبيعية للأحزاب ، وهي المرحلة الفردية والتي استمرت من عام ١٩٤٠ الى العام ١٩٤٣ . وقد أسس الحزب ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار وقد كانا مدرسين في مدارس المعارف بدمشق حتى العام ١٩٤٢ وكانت حوادث العراق في سنة ١٩٤١ دافعاً لهما للعمل باسم جماعة نصرة العراق لتأييد حركة التحرر فيه ، وحوادث لبنان في ١٩٤٣ واسطة لإخراج الحركة الى حيز الوجود بإصدار النشرات التي تحض على العمل العربي المشترك وترك السياسة المحلية .

ثم أتت حوادث ١٩٤٥ في دمشق واسطة لإظهار الحزب والاشتراك مع الهيئات الأخرى في قيادة الطلاب والشعب ضد فكرة عقد معاهده ، والمطالبة بالاستقلال التام .

وبعد الجلاء أصبح الحزب حقيقة واقعة واتخذ مقرأ له في القنوات وأصدر صحيفة منذ تموز ١٩٤٦ باسم « البعث » . وعقد الحزب أول مؤتمر له في نيسان ١٩٤٧ في دمشق أقر فيه دستور الحزب المفصل ونظامه الداخلي .

وناهض حزب البعث محاولة خنق الحريات في المرسوم ذي الرقم خمسين المعروف ، وعارض باعادة انتخاب شكري القوتلي لرئاسة الجمهورية واعتقل احد قادته صلاح الدين البيطار لإصداره منشوراً بهذا المعنى وأثير اعتقاله في مجلس النواب مرتين وطالب بعض

النواب بترك أمره الى القضاء ، وبأنه لا يجوز ان يبقى في الاعتقال والنفي بأمر السلطة التنفيذية وحدها (١) .

ووقفت الحكومة دون مرشحي الحزب في الانتخابات عام ١٩٤٧ ، واغلقت جريدته .

مبادئ حزب البعث وأهدافه : يسعى حزب البعث العربي في سبيل اهداف ثلاثة الحرية والاشتراكية والوحدة العربية وتتلخص فكرة الحزب في شعاره « أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة » . ويتصف بالصفات الاساسية الآتية :

فهو حزب قومي : يؤمن بالقومية العربية ووحدة الأمة العربية وحريتها وبأن لها شخصية حية قابلة للتجدد والانبعاث و « يتميز انبعاثها مع مدى حرية الفرد ومدى الانسجام بين تطوره وبين المصلحة القومية » (المبدأ الثاني الاساسي) وهو يعتبر ان للأمة العربية رسالة خالدة تظهر بأشكال متجددة متكاملة في مراحل التاريخ وترمي الى تجديد القيم الانسانية وحفز التقدم البشري وتنمية الانسجام والتعاون بين الأمم ، (المبدأ الاساسي الثالث) .

وهو يرى ان القومية العربية حقيقة خالدة حية والفكرة

(١) راجع مذاكرات المجلس النيابي سنة ١٩٤٥ مجلدة ٢٨ شباط وجلسة ٤ نيسان .

القومية التي يدعو إليها هي « ارادة الشعب العربي في ان يتحرر ويتوحد وان تعطى له فرصة تحقيق الشخصية العربية في التاريخ (المادة الثالثة من المبادئ العامة) .

والوطن الذي يؤمن به الحزب هو الوطن العربي المعروف من الاطلسي الى الخليج الفارسي . والحزب راية رسمية هي راية الثورة العربية عام ١٩١٦ ويعتبر ان العربي هو « من كانت لقلته العربية وعاش في الارض العربية او تطلع الى الحياة فيها وآمن بانتسابه الى الأمة العربية » وهو يعتبر الرابطة القومية العربية هي الرابطة الوحيدة ويكافح سائر العصبية الطائفية والمذهبية والاقليمية .

والحزب لم يخض في بحث القومية وأسسها ومقوماتها فهو يعتبرها حقيقة خالدة ، القومية هي حب قبل كل شيء فهي العاطفة التي تربط الفرد بأمة ووطنه وهي قدرنا المحتوم . وهو يرفض ان يجعل القومية العربية موضوعاً قابلاً للجدل : « ان القومية العربية ليست نظرية ولكنها مبعث النظريات ، ولا هي وليدة الفكر بل مرضعته ، وليست مستعبدة الفن بل منبعه وروحه ، وليس بين الحرية وبينها تضاد لأنها هي الحرية ، اذا ما انطلقت في سيرها الطبيعي وتحققت ملء قدرتها . . . » (١) والحزب يرفض ان يبحث الآن في الانسانية والعلوم والمخترعات

(١) راجع كتاب في سبيل البعث : ميشيل عفلق طبع عام ١٩٥٣ .

« لأن مرحلة قضيتنا القومية الحاضرة هي استجماع للقوى في الداخل واهتمام بالنفس لا مرحلة غيرة ورحمة بالآخرين » .
والاديان في نظر الحزب على اختلافها متساوية ومقدسة ومحترمة ولكن الاسلام « من حيث هو حركة روحية امتزجت بتاريخ العرب واصطبغت بعقريتهم وأتاحت ظهور نهضتهم الكبرى له مكانة خاصة في القومية العربية وثقافتها وحركة انبعاثها الا ان هذه المكانة لا تفرض فرضاً بل تولد من الحرية وتستمد من قوة الروح ومدى اتصال العرب بروحهم وتجاوبهم الحر العميق معها » (١) .

وهو حزب شعبي : يؤمن بأن السيادة والسلطة مصدرها الشعب ولكن الحزب بقي بعيداً عن الاوساط الشعبية حتى العام ١٩٤٩ ، وظل في هذه الفترة محصوراً تقريباً في أوساط الطلاب والمثقفين .

وهو حزب اشتراكي : يؤمن بأن الاشتراكية « ضرورة » منبعثة من صميم القومية العربية ، وهي التي تكفل للعرب تحقيق امكانياتهم . ولكن الاشتراكية التي يتنادي بها البعث تختلف عن الاشتراكية الشيوعية اختلافاً كبيراً فمنذ حزيران ١٩٤٤ اصدر ميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار كراساً يحددان فيه موقف القومية العربية من الشيوعية (٢) أرادوا ان يثبتا فيه ان حقيقة

(١) راجع المصدر السابق : مقال الاسلام في البعث العربي .

(٢) عفلق وبيطار : القومية العربية وموقفها من الشيوعية دمشق ايلول ١٩٥١ الطبعة الثانية .

وجود القوميات والامم لا تقسر بأسباب اقتصادية وينكران فيه مبدأ صراع الطبقات كمبدأ نهائي ، وهما يقولان ان اكبر خطأ ينسب الى ماركس على الاطلاق هو تجاهله قوة القومية . ويعتبران الشيوعية « غربية وغربية عن كل عربي ، وانها تنفي الرسالة العربية الخالدة ، وتربط العرب بالعالم ربطاً حزياً خطراً وهي كذلك معاكسة للنهضة العربية الحديثة » ولكنها يدعوان الى اشتراكية عربية مستمدة من روح العرب وحاجاتهم الاجتماعية ونهضتهم الحديثة ، وتقتصر على ايجاد نظام اقتصادي معقول عادل يحول دون الاحقاد والتزاعات الداخلية ودون استثمار طبقة لآخري « وتكون الاشتراكية بذلك خادمة للقومية العربية وعنصراً هاماً من عناصر بعثها وتحقيقها » .

واشتراكية البعث هي كما عرفها ميشيل عفلق « ... دين الحياة وظفر الحياة على الموت فهي بفتحها باب العمل امام الجميع وسماحتها لكل مواهب البشر ان تتفتح وتنطلق وتستخدم تحفظ ملك الحياة للحياة ولا تبقى للموت الا اللحم الخاف والعظام النخرة » (١) .
والصفة الأساسية للحزب هي انه انقلابي : أي أنه لا يقول بالاصلاح والتطور كوسيلة لتصحيح الأوضاع الفاسدة في البلاد العربية . وهو يقول بالنضال في سبيل الانقلاب : « البعث العربي

(١) عفلق : حول الاشتراكية العربية ١٦ منشورات البعث

يتلخص في كلمة الانقلاب « أما هذا الانقلاب » فيجب ان نصعد اليه صعوداً دائماً شاقاً لذلك فالنضال ليس اسلوباً فقط بل هو غاية في حد ذاته « أما اداة الانقلاب بنظر الحزب فهي « طليعة تمثل عقيدة الانقلاب ... ونصرها مؤكداً لانها تقايل بمصلحة العدد الاكبر » اما معنى العدد الاكبر فهو الشعب بمجموعه دون الفئات الحاكمة او المستثمرة .

تنظيمه الداخلي : تشكيلات الحزب تؤلف هرماً مرتباً من الأدنى الى الأعلى : الهيئة العامة ، الفروع ولجانها الادارية ، مجلس الحزب وهو بمثابة مجلس تشريعي ، ينتخب اللجنة التنفيذية للحزب التي تدير اعمال الحزب وتشرف على تنفيذ قرارات مجلسه . وتنتخب اللجنة التنفيذية عميداً للحزب وأميناً عاماً .

لم يتوصل أحد من مرشحي الحزب الى المجلس النيابي ، حتى عام ١٩٤٩ ولكن كان للحزب تأثير على توجيه سياسة البلاد بتأثيره على الرأي العام وانتشاره في صفوف الطلاب والمثقفين .
نشاطه : وكانت صحيفة الحزب : البعث « تعبر عن اتجاه الحزب وآرائه بجرأة تعرضت في سبيلها الى وجوه تعسف السلطة ، من إغلاق وتعطيل ومحكمة محريها واعتقالهم وملاحقتهم .

فبينما كان الحاكمون لا يرون ضرورة لقيام احزاب معارضة بعد الجلاء كانت جريدة البعث تقول « المعارضة هي الصيغة الجديدة للوطنية لان الحكم اصبح مشبوهاً » (١) .

وكتب عميد الحزب في آب ١٩٤٦ يقول « ان اطمئناننا على سلامة ارضنا واخلاق امتنا ومستقبل اجيالنا لأعز علينا وأعلى عندنا من الحرص على هية الحكم وراحة الحاكمين » (١) .

وفي الذكرى السنوية لانتخاب رئيس الجمهورية في ١٨ آب ١٩٤٦ كتبت البعث تقول : « إن عرب سورية والفئة الواعية منهم الأمانة للروح العربية والفاهمة لشروط النهضة الحديثة تعتبر النظام الجمهوري خيراً ما يلائم في المستقبل روح الأمة العربية ويسهل بعث امكانياتها وازدهار نهضتها ، ان هذا النظام كما هو مطبق في سورية يحتوي على تناقض عميق يهدده في كيانه ذلك انه لا يقيم للحرية وزناً » (٢) .

وكان الحزب يطالب بسياسة خارجية حرة للبلاد العربية ، ومنذ عام ١٩٤٨ شرح ميشيل عفلق موقف الدول العربية من المعسكرين الدوليين المتناحرين بقوله : « لو أن العرب كانوا اليوم في وضع خال من الاستعمار والاحتلال والتجزئة وأرادوا أن يقفوا من التناحر العالمي موقفاً حراً هو أقرب ما يكون الى مثلهم ومصالحهم القومية ، فلربما كان هذا الموقف اميل الى جانب الامم الديمقراطية ، منه الى جانب الدول الديكتاتورية بالرغم من النواقص الفاضحة التي يتبينونها في ديمقراطية الغرب ، وبالرغم

(١) البعث العدد ٢٧ ٩ آب ١٩٤٦

(٢) البعث العدد ٣٣ ١٨ آب ١٩٤٦

من امكانيات التحرر والتقدم التي يرونها كامنة في ديكتاتورية
المعسكر الاوربي الشرقي ، ذلك لانهم يعرفون حق المعرفة أن
الحرية هي جوهر حياتهم وانما كانت الاساس المتين لنهضتهم الماضية
وستظل كذلك في المستقبل .

ولكن وضع البلاد العربية وموقف الكتلة الغربية منها وسياسة
الاتحاد السوفياتي نفسه من قضية فلسطين تؤدي الى ان مصلحة
العرب لا يمكن ان تكون بشكل من الاشكال بجانب الكتلة الغربية
أو أي عضو من أعضائها... وينادي أخيراً باتباع سيادة الحياد (١).
واعتبر الحزب قضية فلسطين اخطر مشكلة في حياة العرب
القومية وان اتقادها لا يكون بعمل الحكومات بل بالعمل الشعبي
ووصف عميد الحزب الخطر الصهيوني بأنه ايس مجرد غزو اقتصادي
يحركه المال والطمع المادي وانما هو بالدرجة الاولى غزو ديني
لا يشبهه في التاريخ الا الحروب الصليبية . وطالب الحكومات
العربية وجامعتها لكي تبرهن على انها لم توجد لخدمة الاجنبي
والعمل بوحية ان لا تضع العقبات والعراقيل في وجه الشعب
المتعطش للجهاد (٢) . ولم يقتصر تأييده عند هذا الحد فقد اشتركت
كتيبة من متطوعي الحزب عملياً في معركة فلسطين .
وكان الحزب يحمل كل مسؤولية ذلك للفئة الحاكمة في سورية

(١) البعث العدد ٢١٧ ، ٢١ ، كانون الثاني ١٩٤٨ .

(٢) البعث العدد ٢٤ ، ٦٠ آب ١٩٤٦ .

وعلى رأسها الحزب الوطني ، وبتهمها بتشويه الحكم الدستوري بغية الوصول الى حصر جميع السلطات في ايدي افراد معدودين يمثلون مصالح اسر اقطاعية ، وكان الحزب يجهد في كل نشاطه السياسي الى ازاحة الحزب الوطني عن الحكم . وكانت ابرز الحركات التي تبناها وكان لها اكبر الاثر في حياة البلاد السياسية مقاومة المرسوم رقم (٥٠) المقيد للحريات العامة ومعارضة تعديل الدستور لاعادة انتخاب شكري القوتلي للرئاسة مرة ثانية ، كما سعى من جهة اخرى للمساهمة في العمل على اقرار مبدأ الانتخاب المباشر .

أما وسائله فهي تحريك المظاهرات عن طريق الطلاب الذين له بينهم نفوذ واسع ، أو عن طرق وسائل النشر والدعاية .

ومهما كان الامر فان حزب البعث الغربي يعتبر عاملا قويا في تهيئة النفوس لقبول الانقلاب الذي وقع في ٣٠ آذار ١٩٤٩ على يد الجيش السوري .

الحزب النعالي الاشتراكي :

أعلن عن قيامه النائب فيصل العسلي في ٢٧ كانون الاول ١٩٤٨ في المجلس النيابي بخطاب قوي حمل فيه على الاوضاع القائمة آنذ وحمل حكومة مردم مسؤولية « الحكم الجائر » وهاجم سياسة الارتجال فيما يتعلق يقلسطين وطالب بالغاء الاحكام العرفية وبمحاكمة « المجرمين » لينالوا جزاء ما اقترفوه من جرائم بحق هذا الشعب . ثم اعلن مبادئ حركته التعاونية الاشتراكية

في برنامج يتألف من عشر مواد (١) . يطالب فيها بالعمل على إقامة اتحاد سنياني بين العرب والمسلمين تدعمه قوة عسكرية موحدة، وتنهج السياسة الاقتصادية على أساس انماء اقوى المنتجة وتنسيقها تنسيقاً يضمن رفع مستوى الشعب المادي والثقافي، وتقدماً زراعياً على اساس المزارع التعاونية واتجهاً نحو التصنيع . وهو يقول بتأميم المرافق العامة وتوزيع حق التصرف بالارض توزيعاً تعاونياً اشتراكياً . يؤمن الانتفاع المشترك للمالك المتصرف والدولة ، وينادي بصيانة حق الملك ومصادرة التملك غير المشروع . وتقديس حق العمل .

ويهتم الحزب بالناحية الروحية ، فبإدائه مصدره بالآية القرآنية الكريمة « وأزنانا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز » .

ويؤمن الحزب بمبادئ القوة والنظام والطاعة والتعاون وقيادته قامت على أساس الزعامة والطاعة .

وقد اعتمد الحزب في نشأته على عنصر الشباب ، وانتشر خاصة في دمشق وضواحيها .

وقد كان هناك تقام بين الرئيس القوتلي وزعيم الحزب التعاوني افاد منه الأول لمناوأة خصومه السياسيين من رجال الأحزاب

(١) راجع نص الخطاب في كراس مبادئ الحزب اصدره مكتب

الدعاية للحزب في ٢٩ آذار ١٩٥٠ .

المعارضة الناشئة. ولكن الحزب تعرض لهزة كبرى بعد انقلاب ٣٠ آذار ١٩٤٩ إذ قبض حسني الزعيم على زعيم الحزب وألقى به في السجن وأمر بمعاملته معاملة قاسية انتقاماً لمهاجمته له في مجلس النواب .

الحزب الشيوعي (١٩٢٩ - ١٩٤٩)

ظل الحزب الشيوعي السوري - اللبناني يعمل سراً ، منذ حله في ايلول ١٩٣٩ حتى عام ١٩٤٢ ، حين دخلت الحرب العالمية الثانية مرحلة جديدة بتسكتل قوى المفاء للقضاء على المحور ، فمنح الحزب من جديد رخصة العمل العلني ، وعادت صحيفته صوت الشعب الى الصدور في بيروت في آذار ١٩٤٣ ، وذلك بقرار من الجنرال كاترو القائد الأعلى لجيوش الشرق ، وتكاثر نشرات الحزب الدورية وغير الدورية حتى عام ١٩٤٧ .

وقد اتخذ المكتب السياسي للحزب قراراً في ٢٦ ايار ١٩٤٣ ، وقعه اعضاء المكتب : خالد بكداش وفرج الله الخلو ونقولا شاوي ، ورشاد عيسى ويوسف خطار ، وافق فيه على اقتراح اللجنة التنفيذية للأمية الشيوعية ، « بحل الأمية الشيوعية كركز قيادي لحركة العمل الأمية وبتحرير فروع الأمية الشيوعية على متابعة النضال ضد النازية والفاشستية الى جانب جميع الشعوب الشغوفة بالحرية ، وإلى تعبئة القوى الشعبية في سبيل تحقيق الاتحاد الوطني . واصبح خالد بكداش رئيساً للحزب الشيوعي السوري بعد حل الأمية الثالثة .

وعند ما جرت الانتخابات صيف عام ١٩٤٣ خاضها الحزب الشيوعي وقدم بعض المرشحين ولكن لم يفز احد منهم بالنيابة إذ لم تكن له القوى الشعبية التي تمكنه من ولوج المجلس النيابي ، ولكن الحزب عزا هذه النتيجة الى فساد القوانين والانظمة السائدة وفي رأسها قانون الانتخاب . ومع ذلك فقد ايد الحزب الحكومة الدستورية التي تألفت بعد الانتخابات ودعاها الى العمل لاستكمال معالم الاستقلال وتوسيع الحقوق الديمقراطية بعد مقابلة جرت بين الرئيس القوتلي وقادة الحزب الشيوعي في القصر الجمهوري في كانون الأول ١٩٤٣ (١) .

وتزايد نشاط الحزب في السنوات الاخيرة من الحرب واستست عدة منظمات سياسية وثقافية مؤيدة له منها جمعية اصدقاء الاتحاد السوفياتي في سورية ولبنان ضمت عدداً من الأدباء والاساتذة والمثقفين ، وعصبة الطلاب الديمقراطيين العرب ، وعصبة مكافحة النازية والفاشستية ، كما أسست وكالة انباء صحفية باسم وكالة الانباء السوفياتية في ٢٨ كانون الثاني ١٩٤٣ .

وقد بسط الحزب الشيوعي السوري سياسته لهذه الفترة في الميثاق الذي أعلنه في المؤتمر الذي عقده الحزب من ٣١ كانون الأول ١٩٤٣ حتى ٢ كانون الثاني ١٩٤٤ في بيروت وقرره المجتمعون بالاجماع ، وقد تضمن مواداً أهمها : العمل لاستقلال سورية وسيادتها التامة ، وتحررها الوطني الكامل ، والحفاظ على نظامها الجمهوري

(١) صوت الشعب ١٢ كانون الاول ١٩٤٣ .

الديمقراطي ، والتضامن مع البلاد العربية لاستكمال تحررها ،
وتوثيق الروابط بينها ، وبسط السيادة الوطنية على المؤسسات
الأجنبية ، وتأمين الحريات الديمقراطية ورفع مستوى البلاد الاقتصادي
بحماية صغار المنتجين ، ومعالجة البطالة وحماية العمال بوضع تشريع
لهم ، وتحرير الفلاح من البؤس وتوزيع الضرائب توزيعاً عادلاً .

وعندما اشترك خالد بكداش في انتخابات عام ١٩٤٧ في ظل
قانون الانتخاب الجديد القائم على أساس الاقتراع المباشر ، نال
أصواتاً أكثر مما ناله في السابق ولكنه لم يفز بمقعد النيابة .

ولكن الحزب تعرض لنقمة الرأي العام حين أيد ، تمشيّاً
مع موقف الاتحاد السوفياتي والدول الشيوعية الأخرى ، قرار
تقسيم فلسطين الصادر في عام ١٩٤٧ عن هيئة الأمم المتحدة ،
زاعماً ان القرار يخلص فلسطين من الانتداب البريطاني ، ناسياً
انه يعترف باقتطاع ارض من الوطن للعاصيين ؛ فقد هوجمت مكاتب
الحزب في دمشق والمدن الأخرى من قبل المتظاهرين واحرق
بعضها ، واتلفت محتويات مكتب اصدقاء الاتحاد السوفياتي في دمشق
ونتج عن هذه المصادمات بين الشيوعيين والمهاجرين وقوع عدد
من القتلى والجرحى ، وحل الحزب واغلقت صحيفته عقب ذلك
فاضطر للعودة الى العمل السري ، وتوارى خالد بكداش عن
الانظار منذ ذلك اليوم .

الافخوان المسلمون :

وهم جماعة دينية من حيث الأساس ولكنها قامت بدور سياسي لا يمكن تجاهله عند تأريخ الحياة الحزبية في سورية .

فقد تأسست منذ عام ١٩٢٨ جمعية الاخوان المسلمين في مصر ، وانتشرت واتسع نفوذها حتى اصبحت جماعة لها كيائها البارز ، فبني « هيئة اسلامية جامعة تعمل لتحقيق الاغراض التي جاء من أجلها الاسلام » كجاء في المادة الثانية عشر من نظامها الأساسي . وهي تقوم على أساس أن الاسلام معنى شامل ينظم شؤون الحياة كلها ويفتي في كل شأن من شؤونها ويضع له نظاماً محكماً دقيقاً . أما اهدافها فمتنوعة منها اهداف علمية : اي شرح دعوة القرآن وعرضها عرضاً يوافق روح العصر ، واهداف عملية : ترمي الى تقريب وجهات النظر بين الطوائف الاسلامية وحسم الخلافات بينها ، واقتصادية تهدف الى تنمية الثروة القومية ورفع مستوى المعيشة ، ووطنية تناضل ضد الاستعمار وتحرير المسلمين من النفوذ الاجنبي والسير الى الجامعة الاسلامية سيراً حثيثاً ومناصرة التعاون العالمي مناصرة صادقة واقامة الدولة الصالحة التي تنفذ فيها احكام الاسلام وتعاليمه عملياً والمشاركة في بناء السلام العالمي والحضارة الانسانية على أساس جديد من تآزر المادة والروح (١) .

(١) راجع كتاب الاخوان المسلمون كبرى الحركات الاسلامية

الحديثة للدكتور اسحق موسى الحسيني طبع في بيروت ١٩٥٣ .

أما سبيلها الى الوصول الى هذه الأهداف فيكون ببناء جيل مؤمن بأن الاسلام دين ودولة .

على هذا الأساس انتقلت دعوة الاخوان المسلمين من مصر الى سورية وبدأ تأسيس الجمعيات الاولى بأسماء مختلفة منذ عام ١٩٣٧ في حلب ودمشق وحمص وحماة ، ثم انضمت هذه الجمعيات تحت اسم واحد هو جمعية « شباب محمد » الى ان اتخذ مؤتمر عام عقد في حلب عام ١٩٤٤ قراراً بتأليف لجنة مركزية عليا في دمشق لها مكتب عام دائم برئاسة مراقب عام هو الشيخ مصطفى السباعي واصبح اسم الجمعية « الاخوان المسلمون » . فتوحدت بذلك بالاهداف والاسم مع جماعة الاخوان المسلمين في مصر .

وبشرت الجمعية منذ ظهورها بنشاط اجتماعي واسع النطاق ، فأستت المعهد العربي بدمشق شاملاً مراحل التعليم من المرحلة الابتدائية حتى نهاية المرحلة الثانوية ، وأستت دار للطباعة وأصدرت صحيفة « المنار » وأنشأت شركة نسيج في حلب وألفت عدة لجان للاهتمام بالشؤون الثقافية والسياسية والاجتماعية العامة .

وفي المؤتمر السادس الذي عقد في بيروت (في سورية) عام ١٩٤٦ حدد الجماعة اهدافها في النقاط التالية :

تحرير الأمة وتوحيدها وحفظ عقيدتها على اساس الاسلام واصلاح المجتمع ومحاربة الاستعمار بالتعاون مع الهيئات المختلفة ، ومحاربة محاولات التفرقة بين الطوائف والاديان ، واصلاح جهاز الدولة بتنفيذ القوانين دون محاباة .

وقد خاضت جماعة الاخوان المسلمين في سورية اول معاركها السياسية عند ما اشتركت في الانتخابات التي جرت عام ١٩٤٧ ففاز عدد من مرشحيها عن دمشق .

أما موقفها من الحكومات المتعاقبة حتى عام ١٩٤٩ فقد كان موقف الرقيب الحسيب واسهمت بما كان لها من صلات مع الجماهير الشعبية في تحريك النقمة على الحكم القائم آنئذ . واشتركت كتيبة من متطوعيها في معركة فلسطين .

وهكذا فان الحياة الحزبية في سورية بين ١٩٣٩ و ١٩٤٩ قطعت شوطاً واسعاً في ميدان التقدم ، شمل الأفكار والمبادئ ، التي اصبحت اكثر مسابرة لروح العصر واكثر تفهماً لحاجات المجتمع واكثر صلاحية لحل المشاكل القائمة ؛ والاتجاهات التي غدت اكثر شعبية ، وظهرت على المسرح السياسي الى جانب الاحزاب التقليدية المتطورة احزاب جديدة انقلابية النزعة ، قومية العقيدة . ولكن هذه الاحزاب بقيت متباينة الأهداف فيما بينها ، فيما نجد احزاباً تعمل للسياسة المحلية نجد احزاباً اخرى يعمل احدها لوطن اقليمي وآخر لوطن العربي وثالث للعالم الاسلامي بينما كان الرابع امتداداً لحركة تعمل في المجال العالمي .، كما كانت الاحزاب ايضاً مختلفة الوسائل فيما كان بعضها ديمقراطياً وشعبياً كانت هناك أحزاب اتخذت لنفسها انظمة تخضع لسلطة زعيم واحد .

الفصل الثامن

بمحل الفسّاط الحزبي بين ١٩٤٩ - ١٨٥٥

انقضت في هذه المرحلة حقيقتان : الأولى منذ انقلاب ٣٠ آذار ١٩٤٩ حتى توقيع ميثاق حمص في ايلول ٢٩٥٣ والثانية منذ توقيع هذا الميثاق الى قيام الحكم الدستوري الجديد في تشرين الأول ١٩٥٤ . وكان من ثمرات النشاط الحزبي خلال هذه السنوات الخمس نمو الوعي السياسي الشعبي ، وسن دستور ١٩٥٠ ، وعلان الميثاق الوطني عام ١٩٥٣ الذي أدى الى تقويض الحكم الديكتاتوري . وسنستعرض بإيجاز النشاط الحزبي خلال هذه الفترة ونختم البحث بكلمة عن ميثاق حمص والائتلاف الحزبي .

أ - الفسّاط الحزبي :

عرض الزعيم حسني الزعيم على الاحزاب تأليف وزارة قومية غداة الانقلاب ، انتقاداً للموقف ، ولكن هذا الحل لم ينجح لتعنت الاحزاب المجلسية فتسلم قائد الجيش بنفسه زمام الحكم ، وأخذ يصرف سياسة بطش وارهاب لم تعرف البلاد لها مثيلاً من قبل .

ولم يظفر حسني الزعيم بتأييد حزب من الأحزاب الى نهاية

عهده . فانه لم يستطع ان يتفاهم مع حزب الشعب الذي كان الحزب المعارض في عهد القوتلي ، كما انه لم يستطع التعاون مع رجال الحزب الوطني .

أما حزب البعث العربي الذي أيد حركة الانقلاب بقوة في الايام الاولى فقد علق عليها الآمال العريضة ، وتقدم اركانه من الزعيم قائد الجيش بالذاكرة تلو الاخرى عارضين الحلول التي يقترنها الحزب لحل المشاكل الطارئة . كما أنهم كانوا يطالبون « بالاسراع بتشكيل حكومة مؤقتة حائزة على ثقة الشعب وتطهير الجهاز الحكومي من جميع صنائع العهد السابق ومحاكمة المسؤولين عن فضائحه ، وتأمين الحريات العامة التي نص عليها الدستور ، واجراء انتخابات حرة في المدة المحددة بالدستور ، وعودة الحياة الدستورية الجمهورية الى مجراها الطبيعي .. »

ولم يستمع ايضاً الى نصائح الاخوان المسلمين في مذكرتهم التي رفعوها اليه مطالبين « بحكم الشورى ومحاكمة المسؤولين وتقوية عقيدة الامة وروحها الاخلاقية . »

وأقدم الزعيم أخيراً على حل الاحزاب قبل انقضاء الشهر الاول من حكمه انسياقاً مع رغبته في الحكم الدكتاتوري وتخلصاً من مراقبة الاحزاب له في سياسته التي اعتزم السير فيها . ولم يكتف بذلك بل فرض الاقامة الجبرية على اركان بعض الاحزاب واعتقل قادة حزب البعث العربي وشبابه وعاملهم معاملة قاسية اضطرت عميد الحزب الى ان يكتب الى الزعيم رسالة يعلن فيها

اعتزاله السياسة . وأمر بمعاملة زعيم الحزب التعاوني الاشتراكي الذي اعتقل ليلة الانقلاب ، معاملة عنيفة تشفياً مما لحقه من مهاجمته له في المجلس النيابي قبل الانقلاب .

وأقدم على تسليم انطون سعادة زعيم الحزب السوري القومي الاجتماعي الى الحكومة اللبنانية لاعدامه بعد أن كان قد وعده بتأييد حركته الثورية في لبنان .

وتعرض الشيوعيون في عهده لاضطهاد شديد . واستطاع بهذه السياسة الارهابية ان يقضي على نشاط الاحزاب الى أن قامت الحركة العسكرية الثانية بقيادة الزعيم سامي الحناوي في ١٤ آب ١٩٤٩ فاستعادت الاحزاب المرخصة سابقاً نشاطها العلني وتسلمت مكاتبها التي بقيت طوال حكم الزعيم مختومة بالشمع الاحمر .

وألف الرئيس هاشم الاتاسي حكومة قومية من حزب الشعب والحزب الوطني وحزب البعث العربي وبعض اركان المستقلين واللواء عبد الله عطفه اشرفت على انتخابات عامة للجمعية تأسيسية ، ومارست المرأة السورية المتعلمة لأول مرة حقها في الانتخاب . وفاز حزب الشعب بأغلبية نسبية اذ حصل على ٤٩ مقعداً من ١١٦ مقعداً ، ودخلت البرلمان احزاب لم يسبق لها دخوله وهي حزب البعث العربي الذي حصل على ثلاثة مقاعد وحصل الحزب السوري القومي الاجتماعي على مقعدين . وألفت في المجلس جهة دعت بالجهة الاشتراكية الاسلامية من اربعة نواب .

أما الحزب الوطني فقد قاطع الانتخابات رسمياً ولكن خاضها بعض أعضائه منفردين ففاز عدد منهم ولكن لم يكن لهم دور في الحياة البرلمانية خلال هذه الفترة .

أما الحزب التعاوني الاشتراكي فقد مثله نائب واحد في الجمعية التأسيسية . وظل الحزب الشيوعي ملاحقاً من قبل دوائر الأمن . ومرت في هذه السنوات الخمس بسورية أحداث سياسة حرجية وتناولت الاتجاهات السياسية مسألة كيان الجمهورية السورية ومصير الجمعية التأسيسية والدستور . ولكن النشاط الحزبي بقي مع ذلك مقيداً أو خاضعاً لرقابة الشرطة .

وانقسمت الاحزاب في عهد الجمعية التأسيسية الى فريقين : يتبنى احدهما الوضع القائم بينما يسعى الفريق الآخر الى اعادة العهد السابق ، عهد القوتلي .

فبينما كانت الجمعية التأسيسية ماضية في الدستور الجديد تألفت جهة من الحزب الوطني والحزب التعاوني الاشتراكي والحزب الجمهوري الديمقراطي الذي اسس في حزيران ١٩٥٠ وضم عدداً من مؤيدي القوتلي على رأسهم الدكتور احسان الشريف ، واصدرت هذه الاحزاب بياناً مشتركاً في ١٥ آب ١٩٥٠ حملت فيه على الجمعية التأسيسية واعتبرت الدستور القديم قائماً وطالبت به بدعوة المجلس النيابي الذي حله حسني الزعيم الى الانقضاء وان تنشق عن هذا المجلس حكومة جديدة ، او اجراء استفتاء شعبي في ظل حكومة ائتلافية او حيادية او إجراء انتخابات جديدة في

ظل ذلك الدستور ، لاعطاء الصيغة الشرعية التي تتفق مع ما تهدف اليه البلاد « (١) . وقادت الاحزاب الثلاثة في ٢٤ آب ١٩٥٠ مظاهرة الى القصر الجمهوري لتقديم مطالبها المذكورة دون جدوى .

وقد سلك **الحزب الوطني** هذه الخطة عندما اتضح له ان مقاطعته انتخابات الجمعية التأسيسية لم تؤخر سير الامور فراح يسعى لايقاف عمل الجمعية التأسيسية واجراء انتخابات جديدة قد يتسنى له بعدها العودة الى الحكم .

ولم يكن للحزب رأي موحد بشأن عودة القوتلي الى الحكم فاذا كان في الحزب فريق ينادي بهذه الفكرة فقد ظهر فيه فريق آخر يقول بعدم عودته . ومهما يكن فان مساعي الحزب الوطني لم تؤد الى نتيجة اذ أعلن الدستور الجديد في ٥ ايلول ١٩٥٠ وانقلبت الجمعية التأسيسية الى مجلس نيابي وظل الحزب بعيداً عن الحكم . الى ان اشترك بعدئذ في التوقيع على ميثاق حمص . واقلع عن خطته السلبية ليساهم مع الاحزاب السياسية في الحكومات التي تعاقبت بعد ابعاد الشيشكلي .

أما **الحزب التعاوني** فرغم ان زعيمه بقي معتقلاً بعد الانقلاب الثاني فان المحكمة العسكرية تولت محاكمته وافرجت عنه بعد مدة . وقد وقف الحزب التعاوني بجانب الحزب الوطني يناهض

حكومة حزب الشعب كما ينادي بالمحافظة على النظام الجمهوري ،
واقام في دمشق مهرجاناً شعبياً كبيراً تأييداً لهذه السياسة .

وعندما قبض الشيشكلي على زمام الحكم بعد الغاء الجمعية
التأسيسية وتعطيل الدستور غادر زعيم الحزب البلاد لمدة سنتين
عاد بعدها عندما اخذ الشيشكلي يلوح باعادة الحياة النيابية فجرت
بينها اتصالات أدت الى التقاء وجهات النظر في بعض النقاط
منها اعتراف فيصل العسلي بنظام الشيشكلي الرئاسي ، وكان
من نتائجها النداء (١) الذي وجهه رئيس الحزب التعاوني الى
« رئيس البلاد الأعلى » الزعيم الشيشكلي والى « الهيئات
والجماعات الوطنية في البلاد » اوضح فيه خطته الايجابية الجديدة
التي اعترم السير فيها لتأييد الحكم القائم بعد اعلان الدستور
الذي قدر بأنه « سيمنح المواطنين حريات هم أحوج ما يكونون
اليها للتعبير عن آلامهم وآمالهم والمطالبة بحقوقهم » ، ودعا فيه :
الى طرح الخصومات وتناسي الاحقاد لمجابهة مشاكل الوطن
الدخلية والخارجية وتلمس الحلول الصحيحة والمخارج السليمة لها ،
والى ميشاق وطني عام وعقد رجاء على رئيس الجمهورية لدعم
هذه الدعوة وشد أزرها ، على ان تشمل الهيئات السياسية
جميعاً . ولكنه اعلن بالوقت نفسه باسم الحزب التعاوني « استعداد

(١) نص النداء في جريدة اللواء (دمشق) العدد (٢٥٢) ٣

ان يظل بعيداً عن الانتخابات وانه في الوقت الذي يرى فيه ان الشمل قد اجتمع وان الكلمة قد اتحدت ، لا يتردد في التعاون صادقاً مع المخلصين ، اذا ما حزموا امرهم على العمل في ظل ميثاق وطني عام .

وبالفعل فان الحزب لم يشترك في الانتخابات التي جرت في عهد الشيشكلي في ٩ ايلول ١٩٥٣ انسياقاً مع موقف الاحزاب التي امتنعت عن التعاون مع الشيشكلي .

وهكذا الى ان وقعت ثورة الجيش الاخيرة التي أطاحت بالحكم الدكتاتوري فعاد الحزب الى ممارسة نشاطه ، وخاض المعركة الانتخابية في اربعة دوائر بستة مرشحين فاز منهم اثنان عن دمشق وعن دوما احدهما زعيم الحزب نفسه .

ومارس الحزب **الجمهوري الديمقراطي** نشاطاً مؤقتاً في عهد الجمعية التأسيسية ولم يستطع ان يستأنف عمله بعد اعادة حرية النشاط الحزبي ، وهو الآن في حكم المنحل من تلقاء نفسه . أما الاحزاب التي مثلت في الجمعية والتي تبنت العهد الذي أقيم على اساس دستور ١٩٥٠ فهي : حزب الشعب والاخوان المسلمون ، والبعث العربي ، والعربي الاشتراكي .

فحزب الشعب كان هو الحزب الذي تولى تزعم المعارضة البرلمانية حتى ٣٠ آذار ١٩٤٩ ، واسهم في الحكم في ١٤ آب في الحكومة التي أُلْهِفَها الرئيس الاتاسي على أثر انقلاب الحناوي وتولى فيها عميده رشدي كيخيا وزارة الداخلية .

واصبح لحزب الشعب الدور الرئيسي بين الاحزاب التي تولت الحكم في تلك الفترة وقد جابه خصومه ودافع عن مهمة الجمعية التأسيسية ، ودعا الى العمل في سبيل الاتحاد العربي وطالب الى ان يتحقق ذلك الاتحاد السعي لعقد اتفاقيات اقتصادية وثقافية وعسكرية وسياسية بالسرعة الممكنة مع من يمكن عقدها معه من البلاد العربية ، كما جاء في بيانه الذي اصدره في نيسان ١٩٥٠ .

وقد تعرض الحزب لضغط سياسي لم يستطع معه ان يتولى الامور بصورة مستمرة ولم يكن دائماً على وفاق مع العقيد أديب الشيشكلي الذي تزعم منذ فجر ٢٠ كانون الاول ١٩٤٩ حركة عسكرية أدت الى ابعاد اللواء سامي الحناوي ومعاونيه عن الاركان العامة للجيش ، دون التعرض للسلطة المدنية القائمة .

أما الحجة التي تدرع بها الشيشكلي فهي المحافظة على الكيان الجمهوري المهدد ، ومن ثم اخذ يعمل على توجيه الاحداث من وراء ستار فتدخل في تأليف الوزارات وفي اسقاطها . مما أدى الى احتدام خلافه احياناً مع حزب الشعب .

وقد تبدى هذا الخلاف في أحداث بارزة في صحائف السنوات الخمس الماضية من تاريخ سورية ، فان الاكثرية النسبية التي تمتع بها حزب الشعب في الجمعية التأسيسية كانت تتيح له توجيه اعمالها وجهة معينة ، كما انه وضع على بساط البحث مسألة مصير الكيان السوري ، عندما ترك للجمعية التأسيسية تقرير

شكل نظام الحكم ، وربما هدف من وراء ذلك الى اقرار نوع من انواع الاتحاد مع العراق عن طريق شرعية .

ولقد كان يبدو ان حزب الشعب كان متفاهماً مع الزعيم سامي الحناوي في هذه الخطوات ، ولكن مشاريعه اصبحت تلاقي العقبات منذ تنحية الحناوي واعوانه وحلول ضباط آخرين في رئاسة الاركان العامة يؤمنون بضرورة المحافظة على استقلال سورية وكيانها الجمهوري ، في ١٠ كانون الاول ١٩٤٩ .

ومنذ ذلك الحين ذر الخلاف قرنه وظهرت في البرلمان كتلة تؤيد الجيش وتناوى الاكثرية الشعبية . وكانت الاحداث تناقش علناً وصراحة في المجلس النيابي وتنتقل الى الرأي العام عن طريق الصحافة ، وكان الشيشكلي يرد على خصومه بما يدلي به من تصريحات الى الصحفيين وبما يلقيه من خطب في المناسبات والاحتفالات العسكرية ، كما انه كان يصر على ان يتولى وزارة الدفاع الوطني رجل عسكري ، هو الزعيم فوزي سلو .

واحتدمت الأزمة منذ أواسط العام ١٩٥٠ عندما اعتقل النائب منير العجلاني في ٢٧ ايلول ١٩٥٠ وحوكم امام محكمة عسكرية مع بعض الضباط والمدنيين بتهمة التآمر على الدولة . وتلا ذلك تفتيش دور بعض النواب من انصار الاتحاد السوري العراقي من قبل السلطة العسكرية في ٢٩ ايلول .

وتوالت الحوادث ، ففي ١٢ تشرين الاول اطلق الرصاص

على سيارة الشيشكلي قرب دمر واعتقل حسين توفيق المصري
واتهم الدكتور رويحة وهو من حزب الشعب بتحريضه .
ومنع الشيشكلي تشييع جثمان الحناوي في دمشق ، بعد أن
اغتيل في بيروت من قبل محمد حرشو البرازي . فتولى حزب
الشعب تشييعه رسمياً في حلب .

ولم تكن وزارة من الوزارات المتعاقبة تستطيع الاستمرار في
الحكم في مثل الظروف الداخلية العصيبة التي مرت على سورية
في السنوات الماضية . وجاءت أخيراً مسألة الاشراف على قوات
الامن الداخلي بالإضافة الى حجة تدخل الجيش في السياسة
لتكون مثار أزمة وزارية استمرت منذ السابع من تشرين الثاني
عندما استقالت وزارة حسن الحكيم الى فجر ٢٩ تشرين الثاني
١٩٥١ عندما اعتقل الجيش أركان حزب الشعب وبعض المستقلين .
وأذاع الشيشكلي بياناً اتهم فيه حزب الشعب بالتجني على الجيش
وبالسعي الى تقويض أركان الدولة ، وكان ذلك بعد ان قرر
حزب الشعب مجابهة العقيد عندما الف احد أركانه الدكتور
معروف الدواليبي وزارة بأكثرية شعبية احتفظ لنفسه فيها بوزارة
الدفاع الوطني .

أما الفترة الرئيسية التي تولى فيها حزب الشعب زمام الحكم
في البلاد فهي المدة الواقعة بين ٦ حزيران ١٩٥٠ - ٨ آذار ١٩٥١
في عهد وزارة الدكتور القدسي وفيها تم اعلان دستور ٥ ايلول
١٩٥٠ الذي يتسم بالطابع العربي القومي وبنزعة اشتراكية معتدلة ،

وتقدم الرئيس القدسي بمشروعه المعروف الى اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية لتحقيق شكل من اشكال الاتحاد بين الدول العربية . وأعلن سياسة الحياد بين المعسكرين العالمين الشرقي والغربي عندما وجه الغربيون مساعيهم لضم سورية والدول العربية الاخرى الى جانبهم . ونفذت بعض الاصلاحات الادارية وأتمت بعض الشركات الاجنبية كشركي كهرباء دمشق وحلب .

وقد كان انقلاب الشيشكلي عام ١٩٥١ موجهاً ضد هذا الحزب على الأخص . وقد اظهرت الانتخابات الاخيرة انه خسر كثيراً من شعبيته وان كان مازال يحتفظ بالاكثريه النسبية التي كان يتمتع بها .

الامضون المسلمون

وقد اشتركوا في انتخابات الجمعية التأسيسية وحصلوا على مقعدين نيابيين ، فألفوا مع نائبين آخرين الجبهة الاشتراكية الاسلامية داخل المجلس . وقد دافعوا في الجمعية التأسيسية عن فكرة النص على ان « دين الدولة الاسلام » توصلوا الى هدفهم الرئيسي وهو اقامة الدولة الدينية . ولكنهم قبلوا أخيراً بتعديل هذا النص وان يكفي بأن يكون دين رئيس الدولة الاسلام وان يكون الفقه الاسلامي هو المصدر الرئيسي للتشريع . وقد اشترك احد نوابهم وهو محمد المبارك في اكثر الوزارات المتعاقبة وصار لهم في الاوساط الشعبية نفوذ واسع .

وقد حلت هذه الجمعية في عهد الشيشكلي في ١٧ كانون الثاني ١٩٥٢ ثم عادت الى مزاوله نشاطها بعد استئناف الحياة الدستورية ، ولكن الاخوان لم يخوضوا المعركة الانتخابية هذه المرة على نطاق واسع ولم يرشحوا للنيابة أحداً منهم بل اكتفوا بتأييد بعض المرشحين ، ولهم الآن في المجلس الحالي اربعة نواب يعطفون عليهم ويؤيدونهم .

اما حزب الشعب العربي

فقد تخلص من الضغط الذي تعرض له اثناء عهد حسني الزعيم واشترك في الوزارة القومية التي الفت برئاسة الرئيس هاشم الاتاسي بعد الانقلاب الثاني ، لوضع اسس العهد الدستوري الجديد . وحاض الانتخابات للجمعية التأسيسية فحصل على ثلاثة مقاعد نيابية . وفي عام ١٩٥٠ كان النائب اكرم الحوراني قد اسس الحزب « العربي الاشتراكي » وغايته العمل « لانعاش الامة العربية بالرجوع الى قيمها الاصلية ولتوحيد العرب وسيادتهم عن طريق الحياض بين المعسكرين العالمين » . وقد انتشر الحزب اول الامر في حماه ، قاعدة الحوراني الانتخابية ، ثم امتد الى قرى حمص والمعرّة وبعض قرى حلب . واعتمد نفوذ الحزب في الاكثر على شخصية الحوراني السياسية ، الذي دعا الى مناهضة الاقطاعية والدفاع عن النظام الجمهوري .

وقد كان الحوراني على وفاق مع الشيشكلي اول الامر ولكنه

اختلف معه بعد قيام الأخير بحركته ، وانضم وحزبه الى حزب البعث العربي اثناء النضال السري لمناهضة الحكم الدكتاتوري تحت اسم « حزب البعث العربي الاشتراكي » مع الاحتفاظ بمبادئ حزب « البعث العربي » كاملة كما هي دون أي تعديل . وكان هذا الحدث أبرز الاحداث الحزبية منذ عام ١٩٤٩ .

وقد قاوم حزب البعث العربي الاشتراكي عهد الزعيم الشيشكلي بعنف ، بتوزيع النشرات ، وقيادة المظاهرات ، والقاء المفرقات ، وتحريك الثورة المسلحة ضد الدكتاتورية في محافظة السويداء ، فزعج الكثيرين من البعثيين من طلاب وأساتذة في السجون ، واضطر قادة الحزب : ميشيل عفلق ، واکرم الحوراني ، وصالح الدين البيطار الى مغادرة البلاد مدة من الزمن الى لبنان ثم الى ايطاليا ولم يعودوا الا بعد اعلان الدستور الرئاسي واطلاق الحريات في ١١ تموز ١٩٥٣ .

ثم اشترك الحزب في التوقيع على ميثاق حمص ولكنه لم يشترك في الوزارة التي الفت عقب ثورة الجيش والشعب على الشيشكلي في ٢٥ شباط ١٩٥٤ ، وطالب بحكومة حيادية للإشراف على الانتخابات التي فاز فيها بستة عشر مقعداً من مقاعد المجلس النيابي الحالي .

وهو ينادي اليوم بسياسة الحياد بين المعسكرين العالميين وان يكون تحرير البلاد العربية من الاستعمار وتوحيدها هدف كل سياسة خارجية . كما انه يطالب في السياسة الداخلية بسن قوانين

تحفظ حقوق العامل والفلاح وتؤدي الى رفع سوية معيشة الشعب (١).

الحزب القومي العربي الديمقراطي

استعاد هذا الحزب نشاطه بعد انتهاء عهد حسني الزعيم واشترك في انتخابات الجمعية التأسيسية فحصل على مقعدين نيابيين فقط عن دمشق وطرطوس ، نالهما بعطف الشعب على الحزب بعد مقتل سعادة ، الذي احسن الحزب استقلاله .

ولئن اصاب نشاط الحزب بعض التوسع في الجمهورية السورية بعد مقتل زعيمه ، فان عقيدة الحزب القائلة « بقومية سورية » ما زالت تلقى أعراضاً ومقاومة بسبب شعور المواطنين الفطري بقوميتهم العربية . حتى ان الحزب نفسه لجأ الى اعطاء تعبير « الجبهة العربية » التي يدعو اليها مفاهيم اوسع مما يتضمنه معناها الاصلي ، تذهب الى « أن امم العالم العربي امم شقيقة عربية تؤلف فيما بينها عالماً خاصاً يتميز عما سواه من العوالم والأمم » وان على سورية رسالة الى العالم العربي وهي مسؤولة عن النهوض به (٢) . ولكن هذه النظرة لم تكن تعبر عن الاتجاه القومي العربي في سورية .

(١) البعث العدد ٦٦٦ والعدد ٦٦٩ والصرخة (دمشق) ملحق العدد ١٠٠ في تشرين الاول ١٩٥٤ ،

(٢) اجاث في الققيدة القومية الاجتماعية . المحاضرة الثالثة :

العزوبة السودوية القومية الاجتماعية بقلم عصام الحايري أيار ١٩٥٤ .

وقد وقف الحزب موقفاً قلقاً مضطرباً من عهد الشيشكلي فقد أيده بادی الأمر عندما قيل يوماً ان الشيشكلي عضو قديم في الحزب السوري القومي ، ثم عدل من خطته هذه بعد ان اعلن الشيشكلي تأسيس حركة التحرير العربي . ثم إنه أيد الشيشكلي مرة أخرى بتحفظ عندما اصدر المرسوم ٤٧ القاضي بالسماح بتشكيل الاحزاب وفق نظام يتيح للحكومة مراقبتها ادارياً ومالياً (١) . وكان قد دعمه في خطواته الأولى عندما اعلن الدستور الرئاسي ونصب نفسه رئيساً للجمهورية . ولكن سقوط مرشحي الحزب في انتخابات ٩ تشرين الاول ١٩٥٣ ادى الى مهاجمة الحزب السوري القومي الاجتماعي للحكومة الشيشكلي والى اتهام السلطة القائمة بتزوير نتائج الانتخابات .

ثم عندما جرت الانتخابات التي اعقبت انهيار الديكتاتورية خاضها الحزب بكل قواه وصرف فيها اهتمامه لمقاومة التيار القومي العربي والتيار الاشتراكي ، على أساس البيان (٢) أعلنه ضمنه النقاط التالية :

- ١ - تقدير الحزب الدين واعلانه « رفض التسليم ان اساس الارتقاء الانساني هو اساس مادي بحت . »
- وكان هذا احد وسائله لكسب الرأي العام ضد المرشحين

(١) البناء العدد ٣١٣ ١٤ ايلول ١٩٥٣ .

(٢) البيان الانتخابي للحزب السوري القومي الاجتماعي في ١٥ ايلول ١٩٥٤

الشيوعيين مع انه هو نفسه يقول بفصل الدين عن الدولة .
 ٢ - أما في برنامجه الاقتصادي فيؤيد الرأسمال متذرعاً بحماية
 الرأسمال القومي . ويؤيد اشتراك الرأسمال الأجنبي ، في مشاريع
 الاستثمار في البلاد .

٣ - ويحمل الحزب الجمهورية السورية مسؤولية « قيادة معركة
 التحرير والوحدة في الوطن السوري كله » .

٤ - ويرى الحزب إعادة تنظيم الجامعة العربية على اساس
 اتاحة المجال للعمل في سبيل توحيد الهلال الخصيب وهو يرى في
 هذا الأساس شرطاً اولياً « لتحقيق التعاون العربي الفعال . »
 وقد اعلن الحزب تأييده صراحة لمشروع فاضل الجمالي للاتحاد
 السوري - العراقي ورأى فيه « مسعى مباركاً يجب ان يقابل
 بالدرس وبتخطيط المخططات العملية ليأتي سليماً من كل الشوائب
 والادران قادراً على ان يسهل للوحدة القومية الصحيحة طريق
 التحقيق ، مخفياً وراء كل ذلك الاغراض الحقيقية للمشروع الرامي
 الى ربط البلاد نهائياً بمجلة الغرب وتقويض نظام الحكم الجمهوري
 في الجمهورية السورية .

ومضى الحزب بعد كل ذلك عند نشوب معركة الاحلاف في
 الدعوة في جريدته « البناء » الى التفاوض مع الغرب والى مخاصمة
 المعسكر العالمي الآخر علناً بدعوى الخلاف العقائدي مبدئياً .
 ولكن هذا الحزب لم تلق دعوته صدى شعبياً عند الانتخابات

الاحيرة فلم ينتخب من مرشحيه الا اثنان فقط (١) .
وهكذا فلم يلق هذا الحزب المخالف للعقيدة القومية العربية
في دعوته وللأساليب الديمقراطية في تنظيمه ، أرضاً خصبة في
سورية التي كانت وما زالت منبع الالهام القومي العربي . رغم
ان هذا الحزب استعمل للتبشير بمبادئه مختلف الاساليب حتى لجأ
الى تدبير الاغتيالات فقد اقدم ثلاثة من اعضائه على اغتيال
رياض الصلح في صيف ١٩٥٠ في عمان ، انتقاماً لاعدام سعادة .
وفي ٢١ نيسان ١٩٥٥ اقدم احد افراد الحزب على اغتيال
العقيد الركن المجاز عدنان المالكي . فكانت جريمة هزت البلاد من
اقصاها الى اقصاها وادت الى اعتقال بعض اركان الحزب وبعض
اعضائه رهن المحاكمة . كما لوحق آخرون فروا الى خارج البلاد
ومنهم جورج عبد المسيح الذي تولى رئاسة الحزب بعد اعدام سعادة .
ومن المنتظر ان تكشف محاكمة المتهمين عن خفايا نشاط
الحزب واغراضه واتجاهاته السياسية خاصة بعد ان وضعت السلطات
يدها على نشرات الحزب ووثائقه عقب حله من قبل السلطات
الادارية .

أما الحزب الشيوعي :

فقد بقي حزباً غير مرخص له منذ حله في عام ١٩٤٧ ولكن
بين ٣٠ آذار ١٩٤٩ و ٢٥ شباط ١٩٥٤ اجتاز فترة قاسية جداً في

(١) فسخت نيابة احدهما عن طرطوس لثبوت الطعون الانتخابية ضده .

حياته ، وفي خلال هذه المدة كان أعضاؤه مطاردون ملاحقون ، كما أن عدداً كبيراً منهم عاني الاعتقال القاسي لفترات متفاوتة . فكانت هذه المرحلة امتحاناً للأعضاء في حرصهم على حزبهم وفي تحملهم للشدائد ولذا أقدم الحزب في هذه الفترة على إبعاد من لا يستطيعون احتمال قساوة المرحلة من صفوفه .

وقد أبدى الحزب في كل مناسبة رأيه بالنشرات الكثيرة التي كانت توزع بالألوف سراً داعية لمناهضة الحكم الديكتاتوري وللمقاومة مشاريع الأحلاف والدفاع المشترك التي عرضت بأشكال مختلفة على الحكومات السورية المتعاقبة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها بوساطة الموفدين المتعدين والمذكرات الدبلوماسية كما أنه كان يحرص على توجيه الأنظار صوب الاتحاد السوفياتي الذي يصفه دائماً بأنه بلد الاشتراكية والسلم وصديق العرب الوفي دون أن يتذكر موقف الاتحاد السوفياتي في الأمم عندما اتفق مع الدول الغربية لأول مرة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، لإقرار مشروع تقسيم فلسطين والاعتراف بدولة إسرائيل .

على أن الشيوعيين هادنوا الشيئكلي فترة من حكمه عند ما أعلن مناهضته للدفاع المشترك ثم عادوا إلى مقاومته . وقد اشتركوا في معركة الانتخابات التي جرت في ظل النظام الرئاسي مستفيدين من الحرية النسبية التي أعلنت بمناسبة بلث أفكارهم ومبادئهم في الاجتماعات الشعبية التي سمح للمرشحين بإقامتها . ولكن أحداً من مرشحيهم لم ينجح لأن السلطة القائمة تصرفت بنتائج الاقتراع ،

على الرغم من ضآلة نسبة المقترعين لمصلحة مرشحي الحكومة ، بسبب مقاطعة الانتخابات من قبل الأحزاب الاخرى .

ثم خاض الحزب معركة الانتخابات بكل قوته ، في العهد الدستوري الجديد ، وأعد لها عدتها التامة ورشح الحزب بضعة عشر مرشحاً في دمشق وحلب وحمص والجزيرة ومحافظة اللاذقية فأحرز مقعداً نيابياً واحداً عن دمشق ناله الأمين العام للحزب خالد بكداش ، كما حصل مرشحوه الآخرون على نسبة لا بأس بها من الاصوات تدل على ما بلغه الحزب من التأييد في الاوساط الشعبية من جهة كما تدل على مدى رد الفعل السلبي ، الذي يوجهه الى الضغط الغربي على سورية ، باعطاء الناخبين أصواتهم الى مرشحي الحزب الشيوعي .

أما الاساس الذي خاض على أساسه الحزب معركة الانتخابات فهو الدعوة لتحقيق الجبهة الوطنية لمناهضة مشاريع الاحلاف الغربية ، وفي سبيل توطيد أسس النظام الجمهوري البرلماني وتأمين الحريات الديمقراطية وتحقيق اصلاحات جذرية لمصلحة الطبقة العاملة . وقد اذاع الحزب برنامجه هذا في مهرجان كبير اقامه في دمشق في ١٠ ايلول ١٩٥٤ لتأييد مرشحيه الذين قدمهم تحت شعار « الاتحاد الوطني » خطب فيه خالد بكداش (١) لأول مرة بعد احتجاجه مدة ثماني سنوات .

(١) نص الخطاب في ملحق جريدة الصرخة البيروتية العدد ٢٤٥

وكان خالد بكداش هو الفائز الوحيد عن الحزب الشيوعي في الانتخابات الاخيرة رغم ان الحزب حشد للمعركة كل جهوده ولا شك ان نجاحه كان انتصاراً معنوياً واحداً للدلائل البارزة على حرية الانتخابات .

حركة التحرير العربي :

عندما اقدم الشيشكلي على تنفيذ حركته الاخيرة عام ١٩٥١ وتسلم السلطة مع اعوانه ، واجه مقاومة الاحزاب الكبيرة ، وهو ان لقي بعض التأييد من بعض الاحزاب في فترات متقطعة ، فانه لم يكن بمكنته الاعتماد على هذه الاحزاب الصغيرة فلجأ بعد حل الاحزاب جميعاً في ٦ نيسان ١٩٥٢ الى ايجاد مرتكز شعبي لحكمه بتأسيس حزب سياسي أسماه حركة التحرير العربي متعاوناً في ذلك مع أركان حزب صغير محلي في حلب هو الحزب القومي العربي المؤسس منذ عام ١٩٤٧ والذي لم يتعد عدد افراده العشرات .

وقد اراد المسؤولون عن هذه الحركة ان تكون منظمة ايجابية تسهم شعبياً في دعم حكم الزعيم الشيشكلي ، ولذا فقد كان القائمون عليها يحرصون على عدم وصفها بالحزب السياسي ، إذ كانت هي المؤسسة الوحيدة التي مارست النشاط السياسي علناً ولمصلحة الحكم القائم مستخدمة الجهاز الحكومي كله في وقت كان فيه النشاط السياسي والحزبي محرمين على المؤسسات والمنظمات الحزبية الاخرى . ولم يكن في مبادئ الحركة شيء جديد فقد اتخذت القومية

العربية مبدأ أساسياً لها وتبنت النظام الجمهوري ومبدأ العدالة الاجتماعية، ونادت بضرورة تنظيم العلاقات بين المالكين والمستثمرين والعمال ضمن حدود العدل الاجتماعي، وأن تمنع الدولة تحت طائلة العقوبات كافة الاتاوات والعائدات الاقطاعية والعشائرية. كما تنص هذه المبادئ على المطالبة بتحقيق مبدأ الضمان الاجتماعي والعمل على إزالة النعرات والعصبيات .

أما السياسة الاقتصادية فتستهدف زيادة إمكانية الدولة الدفاعية وتعزيز الاستقلال بتنمية الثروة العامة والدخل القومي . وتنص على توزيع أملاك الدولة غير المستثمرة على الفلاحين وعلى تحقيق مبدأ التعاونيات الزراعية واتباع سياسة الضرائب التصاعدية والمباشرة . وتستوحي السياسة الخارجية للحركة من المصلحة القومية فتساعد الدولة على تحرير الشعوب العربية وتبذل الاستعمار بجميع أشكاله وتحافظ على السلام .

وتعتبر الجندية فرضاً على المواطنين على أن تتولى الدولة التعبئة العامة .

وقد قامت حركة التحرير العربي بنشاط واسع قبل اتخاذ الاجراءات لاعلان الدستور الرئاسي فقام المسؤول الأول عن الحركة الزعيم الشيشكلي بعدة زيارات الى المدن السورية وألقى عدداً من الخطب واتبعت مختلف الطرق لتوسيع نطاق الحركة والتبشير بها واستخدم لذلك جهاز الدولة الرسمي والاذاعة .

ولما اجريت الانتخابات العامة للمجلس النيابي في ظل الدستور

الرئاسي في ٩ تشرين الاول ١٩٥٣ ، وهي الانتخابات التي قاطعتها الاحزاب ولم يشترك فيها عدا حركة التحرير إلا الحزب السوري القومي الاجتماعي والحزب الشيوعي ، كان اكثر الذين أعلن فوزهم ، هم من مرشحي حركة التحرير العربي فحصلوا على ستين مقعداً من مجموع مقاعد السبعين .

وقد اتضح ان هذا المجلس كان شكلياً ولا سلطة بيده ، وما كان إلا ستاراً للتمويه بأن سورية كانت في ظل حكم دستوري .

وكما ان حدث ٢٥ شباط ١٩٥٤ كان خاتمة حكم الزعيم الشيشكلي ، كذلك كان هذا الحدث خاتمة للدور الذي لعبته حركة التحرير العربي في ذلك العهد . إذ أنها اعتبرت منظمة متهمه بالاشتراك في اغتصاب السلطة ولو حقت قضائياً . ولئن كان حكم القضاء مبرئاً لها من هذه التهمة . فان الحركة لم تستطع أن تخرج على المسرح السياسي من جديد على الرغم من الجهود التي يبذلها القمّون عليها في هذا السبيل . كذلك لم تؤد محاولات بعض النواب من أعضاء هذه الحركة السابقين ، وهم لا يزيدون على السبعة للوقوف في هذا المجلس النيابي موقف الكتلة البرلمانية الواحدة ، إلى أي نتيجة ايجابية .

وقد ظهرت في أواخر العهد الديكتاتوري على الصعيد الحزبي بادرة هامة ، هي توقيع ميثاق حمص من قبل الاحزاب الثلاثة : الشعب والوطني والبعث العربي الاشتراكي . واشترك معهم عدد

من المستقلين . وكانت جهود القائمين على هذا الميثاق من أهم الأسباب التي أدت الى تقويض الحكم الفردي .

ب - ميثاق صحفى والائتلاف الحزبي :

بذلت المساعي لتوقيع ميثاق بين الأحزاب منذ عهد الجمعية التأسيسية ، فقد حاول حزب الشعب إيجاد تعاون بين الأحزاب في تلك الجمعية للوقوف أمام الجهة التي فيها الحزب الوطني مع بعض الأحزاب المعارضة خارج الجمعية التأسيسية ، ولكن المحاولات لم تؤد الى النتيجة المطلوبة ولم تتفق أحزاب الجمعية التأسيسية إلا في قضية قومية هي تأييد مصر في موقفها من بريطانيا بعد الغاء المعاهدات ورفض مشروع الدفاع المشترك المقدم من الدول الغربية . وقد قامت في ١٤ تشرين الثاني ١٩٥١ مظاهرة كبرى مشتركة سار في مقدمتها زعماء أحزاب الشعب والبعث العربي والعربي الاشتراكي والاخوان المسلمون والسوري القومي الاجتماعي ، تلبية لنداء من الاحزاب المذكورة الى المواطنين يدعوم الى التظاهر لتأييد مصر ورفض الدفاع المشترك .

ولكن الخلاف بين الاحزاب عاديذر قرنه من جديد ، وكان مما ساعد على احتدام الازمة الوزارية التي أدت الى الاطاحة بدستور الجمعية التأسيسية والى قيام حكم فردي بين ٢٩ تشرين الثاني ١٩٥١ - ٢٥ شباط ١٩٥٤ نشوب خلاف بين احزاب الجمعية التأسيسية لم يتمكن المسؤولون عنه من إيجاد طريق لمعالجته .

Handwritten notes in the left margin:

Handwritten notes in the left margin:

وقد حلت الاحزاب في عهد حكومة الزعيم فوزي سلو في ٦ نيسان ١٩٥٢ ، وهذه الاحزاب هي : العربي الاشتراكي والسوري القومي الاجتماعي ، والبعث العربي والتعاوني الاشتراكي والوطني والجمهوري الديمقراطي ، والشعب والجهة الاشتراكية الاسلامية وبيعت موجودات مكاتبها ، بعد مصادرتها ، بالمزاد العلني .

وبعد اعلان الدستور الرئاسي في ١٠ تموز ١٩٥٣ صدر في ١٢ ايلول المرسوم التشريعي رقم ٤٧ المنظم للاحزاب وفيه وضعت قيود للحد من نشاطها ، كما نظمت طريقة مراقبة ادارتها ومواردها المالية من قبل السلطات الرسمية .

وقد اعترفت بعض الاحزاب بالوضع الجديد ، وسوت اوضاعها وفق التشريع المذكور . فاستأنف الحزب التعاوني الاشتراكي نشاطه ونال وصلاً نهائياً من المراجع المسؤولة بالترخيص له بالعمل بعد أن عدل نظامه الداخلي ليتلاءم مع نصوص المرسوم المذكور فاصبحت رئاسة الحزب وهيأته تؤلف بالانتخاب بعد ان كانت تعين من قبل الزعيم . ونال الحزب السوري القومي الاجتماعي وصلاً مؤقتاً ، عندما طلب الترخيص له ، وأجل اعطاؤه الوصل النهائي لدراسة مدى تطابق مبادئه مع إحدى مواد المرسوم التي تنص على « عدم جواز تأليف احزاب تتعارض اهدافها مع السعي لاستكمال حرية الأمة العربية وتحقيق وحدتها » وكان الحزب قد تقدم لايضاح موقفه من هذه المادة بمذكرة ضافية اراد ان يوضح فيها ان مبادئه لا تناقض السعي لحرية العرب واتحادهم ،

وأكد فيها « عروبة الشخصية السورية القومية (١) » !
ولكن الأحزاب الأخرى عرضت عن التعاون مع ذلك العهد ،
فلم تتقدم بطلب الترخيص لها بالعمل ، لعدم اعترافها بالسلطة
القائمة ، وبقيت تعمل سراً حتى انتهاء ذلك العهد .

وقد اتفقت الأحزاب الثلاثة : الشعب والبعث العربي الاشتراكي
والوطني على مناهضة حكم الزعيم الشيشكلي فألفوا « جبهة وطنية »
بعد مؤتمر عقد في حمص في ايلول ١٩٥٣ « تعبيراً عن رغبة الشعب
في حياة حرة كريمة لا ينغصها منغص داخلي أو خارجي »
واتفقوا على العمل لتحقيق الأغراض الآتية :

١ - عدم الاعتراف إلا بالحكم الديمقراطي وما يصدر عنه .
٢ - اطلاق الحريات العامة وضمائها حتى يشعر كل مواطن
انه سيد في حمي القانون .

٣ - حماية الاستقلال من المؤامرات الداخلية والخارجية .
٤ - الجيش ملك الأمة عليها واجب تقويته واعداده لمهمته
المقدسة في الدفاع عن البلاد .

وقرروا مقاطعة انتخابات ٩ تشرين الاول ١٩٥٣ التي جرت
في ظل حكومة الشيشكلي واصلوا تأليف لجنة مركزية لتنظيم
العمل القومي وتوجيه الشعب (٢) .

(١) انظر هذه المذكرة في جريدة صدى لبنان العدد ٤٣٤ ٢١ ايلول ١٩٥٣ .

(٢) نص الميثاق في السوري الجديد (حمص) العدد ١٩ - ٩ - ١٩٥٣ .

وقد اعتبرت هذه الوثيقة ميثاقاً وطنياً وقعه الرئيس هاشم الأتاسي والقائد العام للثورة السورية سلطان الأطرش وممثلو الأحزاب الثلاثة ، وعدد كبير من رجال السياسة المستقلين .

وقد ادت جهود هذه الجبهة الوطنية الى استعادة المواطنين ثقتهم بأنفسهم فأقبلوا على تلقف بياناتها التي كانت توزع سرّاً داعية الشعب الى التماسك ومقاومة الحكم القائم آنذاك ، الى ان قام الجيش بحركته ، بعد تطور الحوادث ، استجابة لرغبة الشعب في ٢٥ شباط ١٩٥٤ فأنهى الحكم الفردي .

واختلف الموقعون على ميثاق حمص بعد الانقلاب مباشرة ، فلم تتألف لذلك حكومة قومية بل تألفت حكومة ائتلافية وطنية - شعبية مع بعض المستقلين برئاسة صبري العسلي الأمين العام للحزب الوطني . ولكن بقاء حزب البعث العربي الاشتراكي الذي خرج من هذه التجارب اقوى مما كان في السابق ، كان مما أدى الى استقالة الحكومة الائتلافية في ١١ حزيران لترك مهمة الاشراف على الانتخابات العامة لحكومة حيادية تألفت برئاسة سعيد الغزي في ١٩ حزيران ونالت ثقة احزاب المجلس جميعاً تسهيلاً لمهمتها . وقد تخطت هذه الحكومة عدداً من العقبات التي وضعت امامها لتحول دون تنفيذ مهمتها ، أهمها مسألة اضراب العمال للمطالبة بتحسين احوالهم . كذلك واجهت معارضة من حزب الشعب ، الذي اتهمها بعدم القدرة على المحافظة على حرية الانتخاب واصدر

بياناً في ٤ ايلول ١٩٥٤ برر فيه قراره بمقاطعة الانتخابات (١). ثم جرت الانتخابات في ايلول وتشرين الاول ١٩٥٤ واشتركت فيه الاحزاب جميعاً بما فيها حزب الشعب بعد ان عدل عن قرار المقاطعة. وكانت انزعه انتخابات اجريت في سورية خلال تاريخها السياسي، وانبثق عنها المجلس النيابي القائم، الذي بدأ بممارسة سلطاته التشريعية منذ ١٤ تشرين الاول ١٩٥٤ في ظل دستور ١٩٥٠ الذي اعيد العمل بموجبه بعد ٢٥ شباط مباشرة.

وبنتيجة تلك الانتخابات حصل حزب الشعب على الاكثية النسبية في المجلس الحالي ولكنها دون الاكثية التي كان يتمتع بها في المجلس السابق. اما الصحف الناطقة باسمه فهي الشعب في دمشق والندى في حلب والسوري الجديد في حمص. وسياسته البرلمانية قائمة على الاستمساك بمبادئ الدستور، وقد نص بيانه الانتخابي على المحافظة على انظام الجمهوري.

أما حزب البعث العربي الاشتراكي فقد فاز بستة عشر مقعداً وسياسة الحزب قائمة في هذه المرحلة على القول بسياسة الحياد الايجابي بين المعسكرين العالميين والسير في سياسة عربية قومية والعمل لسن تشريعات ديمقراطية.

وقد تخلى الحزب الوطني في هذا الدور عن سياسته السلبية وعاد الى العمل على الصعيد السياسي الايجابي فقد اشترك في ميثاق

(١) راجع البيان في كتاب (الاحزاب في سورية) نشر دار

حمص مع الحزبين الآخرين واشترك في الحكومة الائتلافية ثم في الانتخابات التي فاز فيها بما يزيد على عشرة مقاعد ، وبذلك اعترف بالدستور القائم الذي لم يكن يعترف به ولم يشترك ممثلوه في الجمعية التأسيسية . وتنطق بلسانه القبس في دمشق والشباب في حلب .

وفي المجلس كتلة اسلامية من اربعة نواب ، ونائبان تعاونيان ونائب قومي اجتماعي واحد (١) وشيوعي واحد . ويتوزع النواب الآخرون في كتل متعددة مستقلة ليست ثابتة العدد أهمها الكتلة الديمقراطية التي يرأسها خالد العظم وكتلة أخرى يرأسها الدكتور منير العجلاني وكتلة نواب العشائر .

والحقيقة انه ليس من السهل ضبط عدد اكثر الكتل البرلمانية في المجلس لعدم تماسك اعضاء هذه الكتل .

وقد وضعت مسألة عدم وجود اكثرية حزبية واضحة يمكنها ان تتسلم الحكم بعفدها ، على بساط البحث ، واتضح ان لا بد من قيام ائتلاف حزبي من حزبين أو اكثر يتحمل مسؤولية الحكم إذا تعذر قيام حكومة قومية تشترك فيها الاحزاب جميعاً . فتألفت وزارة فارس الخوري التي دامت من ١٩ تشرين الأول ١٩٥٤ — ٧ شباط ١٩٥٥ واشترك فيها حزب الشعب والحزب الوطني وبعض المستقلين والعشائر . ولم تستطع الاحتفاظ بالحكم طويلاً لانفراط عقد الائتلاف بين الحزبين الوطني والشعب بسبب

(١) فسخت نيابته لاتهامه بالاشتراك بمؤامرة اغتيال المرحوم العقيد المالكى .

الاختلاف على مسائل داخلية تمس المصلحة الانتخابية لكل من
الحزبين ، فأعقبت تلك الوزارة وزارة جديدة هي القائمة على
الحكم اليوم ، ويرأسها الرئيس صبري العسلي ويشترك فيها الحزب
الوطني والكتلة الديمقراطية وحزب البعث العربي الاشتراكي . وقد
كان السبب الاول لاتفاق هذه الاحزاب على الاشتراك في الحكم
معاً رغم اختلافهم السابق هو اتفاقهم على مبادئ السياسة الخارجية
في رفض مشاريع الاحلاف الاجنبية وفي القول بوجوب اتباع
سياسة عربية قومية مستقلة .



خاتمة

لقد حاولنا في هذه الدراسة أن نسجل تاريخاً لتطور الحياة الحزبية في سورية منذ نشأتها الى الوقت الحاضر ، فلعلنا نكون في هذه المحاولة قد تقربنا من الهدف الذي رجونا الوصول اليه وهو وضع دراسة موضوعية تاريخية مبنية على المصادر التي استطعنا الوصول اليها .

ولكن مما لا شك فيه ان فيها كثيراً من النقائص وكثيراً من الغموض يحتاج الى ايضاح . فنحن نحتاج الى مزيد من التعرف على ظروف نشأة هذه الاحزاب ، كما ان كثيراً من وجوه نشاطها بقيت خافية علينا لنقص الوثائق او لعدم وجودها ، واذا كان من غير المضمون احياناً الوصول الى الحقيقة عن طريق المصادر الحزبية وحدها لحزب ما فان هذه المصادر قد يؤدي التعرف عليها الى القاء ضوء على كثير من الاحداث والتصرفات .

ولقد كان من الضروري ايضاً ، لاستكمال البحث ، التطرق الى تصارع التيارات الحزبية والى معالجة التجاوب الشعبي بشكل أعمق مما ألقنا اليه .

فلعل محاولتنا تكون بداية لدراسات أشمل وأوسع قد يمكن القيام بها فيما بعد .

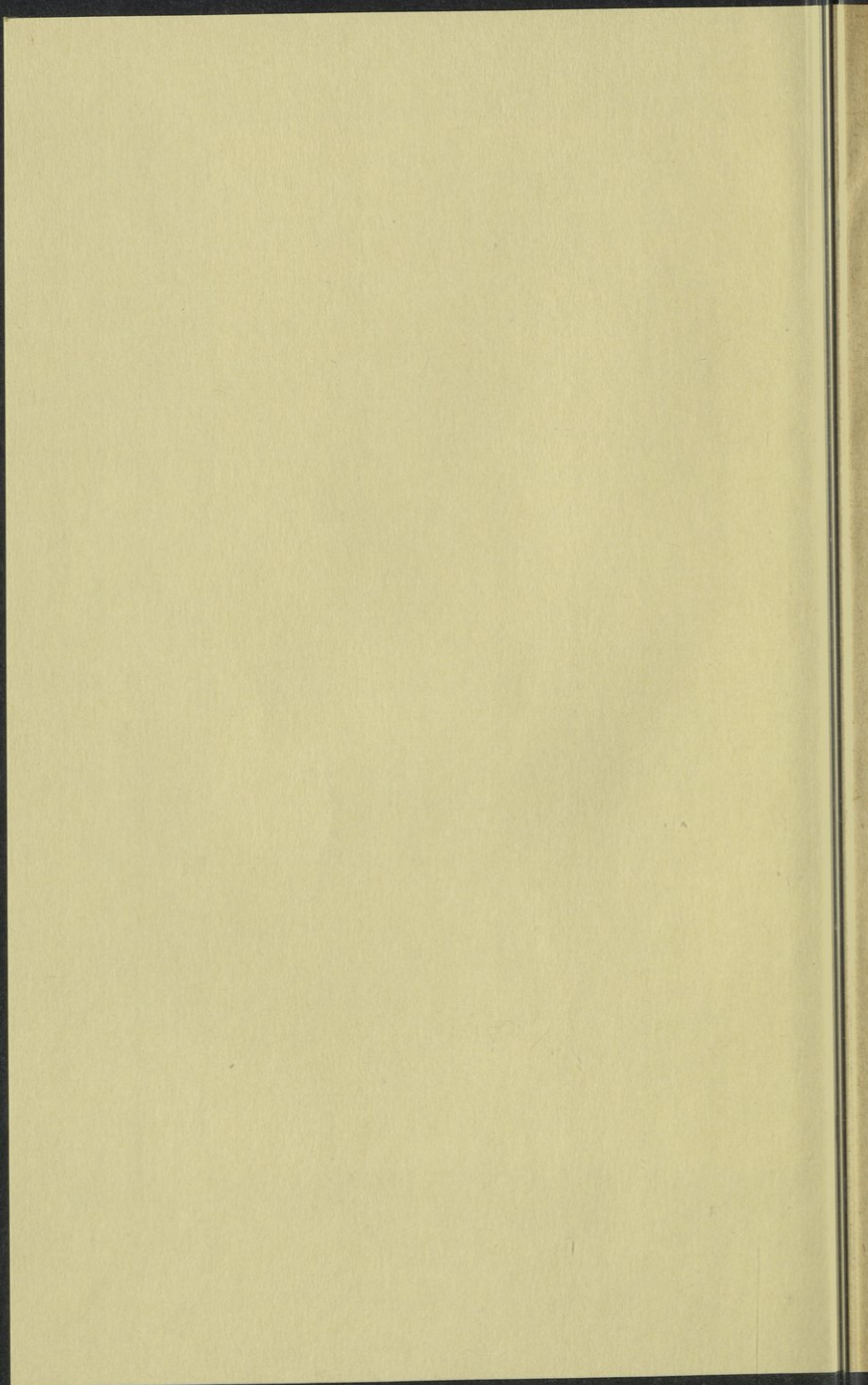
لقد بدا لنا في هذه الدراسة ان الحياة الحزبية مرتبطة أشد الارتباط بتطور البلاد السياسي ، ولذا فقد كان لا بد من التعرض لهذا التطور بالقدر الذي تقتضيه طبيعة الموضوع ، ومن هذه الناحية قد يكون هذا الكتاب بنفس الوقت تاريخاً مختصراً لتاريخ سورية السياسي الحديث .

أما في طريقة البحث التاريخي الموضوعي فلم نتطرق الى المناقشة والتعليق الا بصورة غير مباشرة ، وجهدنا في وضع الحقائق أمام القارئ تاركين له حرية التصرف واستنتاج النتائج المناسبة .
على اننا نلاحظ خلال متابعتنا لمراحل الحياة الحزبية تعدد الاحزاب بشكل لا مبرر له أحياناً ، وهذا ربما يعود الى سيادة النزعة الفردية على تفكيرنا السياسي .

إلا أننا نجد ان الاحزاب تميل الى ان تنحصر في عدد قليل محدود . على أن الظاهرة البارزة ان الحزبية تبدو لكثيرين في بلادنا على غير وجهها الصحيح فيرونها ضرراً وشرّاً ، وهذا مما يسيء الى الحياة النيابية عندنا إذ يكثر عدد النواب المستقلين غير المنتمين للاحزاب ، ولا شك ان هذه النظرة تعود من ناحية الى نقص التربية السياسية والاجتماعية كما تعود من ناحية اخرى الى تهاون الاحزاب نفسها في مراقبة سلوكها ، فعلى الاحزاب أن تبذل مزيداً من الجهد لكسب ثقة الرأي العام ، وأن تراعي في خططها واهدافها الظروف التاريخية التي يمر بها الشعب العربي .
لقد رأينا بعد السنوات الخمس العصيبة الماضية التي مرت على

البلاد ان الانتخابات الاخيرة عام ١٩٥٤ اسفرت عن نتائج لا
 يمكن التغاضي عنها لادراك المدى الذي بلغه صدى الشعارات التي نادى
 بها الاحزاب في صفوف الشعب . ولعله أصبح واضحاً ان الاتجاه
 الشعبي أخذ يسير بقوة نحو المبادئ الاشتراكية القومية العربية
 والديمقراطية الحرة . كما بدأنا نلمح بنفس الوقت فشل الحزبية
 القائمة على الصلات الشخصية . ولا شك ان تزايد الوعي الشعبي
 سيكون كفيلاً بتطهير الحياة الحزبية وضامناً لنجاحها .

انتهى



BEIRUT LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00502604

